تاريخ التربية

عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة
بين عهدي الصادق (عليه السلام) والطوسي





عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة
بين عهدي الصادق عليه السلام والطوسي

الدكتور عبد الله فياض

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

كلية الآداب - جامعة بغداد

وعميد كلية أصول الدين وكالة

مصدر الفهرسة	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC	BP194.1 .F3 2019
المؤلف الشخصي	فياض، عبد الله، ١٩١٧-١٩٨٤ -- مؤلف.
العنوان	تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي
العنوان الموازي	The Emamite and That Of Their Forefathers Education From The Time Of Al-Sadiq To Than Of Al-Tusi
بيان المسؤولية	الدكتور عبد الله فياض ؛ تقديم محمد توفيق حسين.
بيانات الطبع	الطبعة الاولى.
بيانات النشر	كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠١٩ / ١٤٤٠ للهجرة.
الوصف المادي	٤٧٢ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧١٨).
سلسلة النشر	(مركز كربلاء للدراسات والبحوث ؛١٨٢).
تبصرة ببليوجرافية	يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٤٧٤-٤٨٧) وكشافات.
تبصرة مستخلص	المستخلصات بالغة الانجليزية.
مصطلح موضوعي	التربية الاسلامية (الشيعة الامامية) - تاريخ.
مصطلح موضوعي	الشيعة - تاريخ.
مصطلح موضوعي	المدرسون (الشيعة الامامية) - تاريخ.
مصطلح موضوعي	التعليم الديني الاسلامي (الشيعة الامامية) - تاريخ.
مؤلف اضافي	حسين، محمد توفيق - مقدم.
اسم هيئة اضافي	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية





الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الكتاب: تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة
بين عهدي الصادق والطوسي

المؤلف: د. عبد الله الفياض

الناشر: مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الطبعة: الأولى

السنة: ١٤٣٩ هـ / ٢٠٢٠ م

جمهورية العراق/ كربلاء المقدسة

00964 7719491210
00964 7814187625

www.c-karbala.com
info@c-karbala.com
karbala.center1@gmail.com
karbala.center1@yahoo.com

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٢٧٠٠) لسنة ٢٠١٤م





تصـــدير

بقلم الاستاذ محمد توفيق حسين
من أساتذة التاريخ بجامعة بغداد

تبوأت الثقافة العربية الإسلامية مقاماً رفيعاً في تاريخ الفكر الانساني بحفاظها على التراث البشري في العلوم والآداب والدين والفلسفة، وبما أضافته الى هذا التراث من جديد أصيل في المادة والاسلوب ومناهج البحث العلمي.

وقد امتازت الثقافه العربية الإسلامية، في عصورها الاولى الزاهرة بإنسانيتها وشمولها، وبحرية الضمير أي حرية البحث والتفكير والتعبير. وكان ضمان حرية الضمير، وإلغاء التعصب القبلي والعنصري والديني، من أهم عوامل ازدهار الحركة العلمية التي أسهم فيها أبناء مختلف الامم والملل والنحل، والتي تلاقت فيها تيارات الفكر المختلفة فتفاعلت، وأغنى بعضها بعضاً.

وامتازت الثقافه العربية الإسلامية باعتمادها على مناهج علمية محكمة في البحث والتأليف كانت أساساً، وطليعة لمناهج البحث العلمي المعاصرة. يظهر ذلك في مناهج البحث عند المحدثين والفقهاء والمؤرخين، وعند كبار علماء المسلمين الذين وضعوا قواعد المنهج العلمي، بما تقوم عليه تلك القواعد من مشاهدة وملاحظة واستقراء واستنباط وتجربة، وطبقوها عملياً في مؤلفاتهم ومراصدهم وأماكن تجاربهم، كالجاحظ، والمقدسي الجغرافي، وجابر بن حيان،

والرازي، وابن سينا، والحسن بن الهيثم، وابن النفيس، وابن البيطار، وكثيرين وغيرهم.

وقد امتاز الكثيرون من أكابر علماء العرب والمسلمين بمحبتهم للعلم، وشغفهم بالمعرفة لذاتها، وكانوا يطلبون الحق لذات الحق، ولايترددون في الاعتراف بالخطأ إذا ظهر لهم وجه الصواب. وكان لهم في المناظرة والجدل مُثُلٌ عليا يهتدون بها، وآداب يسيرون عليها، لم يتوصل العلماء الى ماهو أسمى منها حتى يومنا هذا، وكانوا يُربّون تلامذتهم على محبة العلم، والتعمق في البحث والفهم، والجدّ في الدرس، والصبر على مالا يسهل فهمه بالتصفح السريع والقراءة العجلى.

وكان مدار العلوم الإسلامية على الدين بحكم طبيعة الأحوال في تلك العصور على انّ العلماء لم ينصرفوا كلهم الى العلوم الدينية، ولم يعكفوا على المعرفة المجردة بمعزل عن الحياة الاجتماعية، وانما واجه عدد كبير منهم الحياة بكل مشكلاتها، واجتهدوا في ايجاد الحلول لها يتمثل ذلك في الفقه الذي كان يساير تطور المجتمع، ويضع لكل مشكلة جديدة حلاً، وفي المستشفيات والمراصد والمختبرات العلمية العامة والخاصة، وفي تطويرهم للصنائع والحرف والفنون المختلفة، وفي اهتمامهم بالزراعة، ونقلهم أصنافاً عديدة من النبات وأقلمتها في مناطق مختلفة من البلاد الإسلامية.

ولم يخل التاريخ من فترات ساد فيها الجهال، وفشا فيها التعصب الديني والمذهبي والعنصري، واضطهد فيها المفكرون الذين أعلنوا مخالفتهم للسائد من الافكار، ولم يكن للعلماء كلهم كما وصفنا من محبة العلم لذاته، والتجرد من المنافع

في طلبه، وتقبل للحقيقة من حيث جاءت بلا عناد ولا غرور، ولكنَّ العبرة في مجمل الصورة لا في تفاصيلها، وفي القاعدة العامة لا في الشواذ، وفي الكبار من رجال العلم والدين لا في أشباه العلماء والجهلة المتزيين بزيهم، والذين غمرهم التاريخ في ظلامه فأصبحوا نسياً منسياً، والعبرة في عصور الانفتاح العقلي، والتحرر الفكري، والتسامح الديني والمذهبي، وهي عصور طويلة مجيدة، لا في فترات انغلاق العقل على العقيدة الضيقة، واستبداد الحكام، وسيطرة الجهل والهوى والعواطف الضالة على عامة الناس.

وقد انتجت الحضارة العربية الإسلامية نظاماً تربوياً كان من أهم أسس الحركة العلمية الاسلامية، ومصدراً غنياً من مصادر حيويتها ونشاطها، وقد هيأ المجتمع ما احتاجه هذا النظام التربوي من المؤسسات التعليمية المختلفة من كتاتيب الاطفال ومدارس الكبار الى المكتبات ودور العلم وبيوت الطلبة، وكان هذا النظام التربوي، بالقياس الى حاجات تلك العصور، والى الامكانات المادية والتعليمية المتوافرة، نظاماً متقدماً وافياً لحاجات المجتمع ومتطلباته. كانت معظم المدن في العالم الإسلامي مراكز للحركة العلمية، فلم تخل واحدة منها من مدرسة ومكتبة، وعلماء اشتهروا بفن أو أكثر من فنون العلم والادب، على ان بعض المدن كانت تحتل مركز الصدارة في الحركة العلمية فترة من الزمن، فيقصدها العلماء والطلاب، وقد تبقى الحركة العلمية مزدهرة فيها مدة طويلة، وقد تركد فيها بعد حين تبعاً لتقلبات الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولكن شعلة العلم لم تنطفئ في العالم العربي والإسلامي ككل، منذ عصر الرسولﷺ الى يومنا هذا، فهي ان خبت في مدينة او قطر توهجت في مدينة اخرى أو قطر آخر، وأقدم مراكز الحركة العلمية المدينة ومكة، وقد اشتهرتا بالتفسير والحديث

والفقه والتاريخ، وانتجتا الى ذلك فنونا بديعة في الشعر والأدب، وازدهرت الحركة العلمية بعد ذلك في الكوفة والبصرة، وقد اشتهرتا بعلوم اللغة والدين والفلسفة والكلام، وكانت الحيرة جارة الكوفة مركزاً لدراسة كتب الفلسفة والطب وترجمتها في الجاهلية وصدر الاسلام، وفي منتصف القرن الثاني للهجرة أصبحت بغداد عاصمة الدنيا في العلم، ومن مراكز العلم الاخرى في العراق: واسط والنجف، والحلة، والموصل، وازدهرت الحركة العلمية في ما وراء النهر، وايران، والشام، ومصر، والاندلس، وصقلية، ومن الاندلس وصقلية شعت العلوم العربية الإسلامية على اوربا، فكانت من أهم عوامل انبعاثها الحضاري ونهضتها العلمية الحديثة، وفي القرنين السادس عشر، والسابع عشر الميلاديين أصبحت الهند وايران ومواطن من الخليج العربي مراكز مهمة للعلوم العربية والإسلامية.

نشأ التعليم في المسجد نشأة بسيطة، بساطة المجتمع الإسلامي الاول، وكان الرسولﷺ أول معلم في الاسلام، يتلو القرآن على الناس، ويفسره لهم، ويبين لهم امور دينهم ودنياهم، وسار الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون، والصحابة والتابعون على هذه السُّنة الحميدة، وقد حمل العلماء والفقهاء مهمة تعليم الناس وإرشادهم حيث امتدت الفتوحات من البلاد، ولم يكن اولئك المعلمون موظفين عند الدولة أو يتسلمون عن تعليمهم أجراً، وانما كانوا يعلّمون طلباً للثواب، واستجابة لحاجات الناس، وكان المعلّم يجلس في زاويه من المسجد ويلتف حوله الناس في حلقة، فيعظهم، أو يسألونه هم فيجيب عن أسئلتهم، وقد تكون الاسئلة في موضوع معين، وقد تتعدد فتشمل موضوعات مختلفة في الشعر والنحو واللغة أو في التفسير والفقه والحديث، أو في أي علم من العلوم الاخرى، ومن هنا كان

التعليم متصلاً اتصالاً مباشراً بالمجتمع، يعبِّر عن حاجاته ويخدمه، ويضع حلولاً لمشكلاته، وكان التعليم حراً، والمعلم حراً، يعلّم ما يشاء، وفي أي وقت شاء، وكانت حرية المعلم في اختيار موضوع درسه، وحرية المتعلم في اختيار معلمه، وتحرر العالم والمتعلم والتعليم من هيمنة الدولة من أهم نشاط الحركة العلمية وازدهارها وتنوعها وابتكارها في القرون الإسلامية الأربعة الاولى، وكان كثير من العلماء والفقهاء في تلك العصور المجيدة، ملتزمين بقضايا الامة، يدافعون عنها أمام الحكام والولاة، وكثيراً ما كانوا يشاركون الناس في وقوفهم أمام السلطة الجائرة، متحملين في سبيل ذلك نقمة الحكام وأذاهم.

وقد ازداد إقبال الناس على العلم حتى أصبح يعقد في المسجد الواحد أكثر من حلقة دراسية، ولم يعد المسجد يحتمل الصلاة والتدريس معاً، فأُنشئت أماكن مستقلة للتعليم سميت بدور العلم ثم بالمدارس وكان بعضها ملحقاً بالمسجد، وبعضها مستقلاً بذاته، وخصص بعضها لتعليم الاطفال وسميت بالكتاتيب، وقد تطورت المدارس، واتخذ التعليم فيها شكلاً منظماً معيناً حين اصبحت مؤسسة من مؤسسات الدولة، أو تابعة لجماعة من الناس، حيث أصبح هدفها نشر المذهب الذي تعتنقه الدولة القائمة، او المنشئون للمدرسة من الاهالي.

وقد بدأ إنشاء المدرسة بمعناها المعروف في أواخر القرن الرابع، ولكنه انتشر وأصبح ظاهرة اجتماعية عامة في القرن الخامس وما بعده، فقد أنشأ الفاطميون الجامع الأزهر في القاهرة سنة (٣٦٠هـ-٩٧٠م)، وخصص للدراسات والابحاث منذ سنة ٣٧٨ هـ، وكان هدف التدريس فيه نشر المذهب الاسماعيلي، وأنشأ البويهيون في المناطق التي احتلوها من فارس والعراق دور علم لنشر مذهبهم

الشيعي، وأنشأ السلاجقة المدارس المعروفة بالنظامية، أشهرها المدرسة النظامية في بغداد التي أُسست في سنة ٤٥٧ هـ، ١٠٦٥ م، ومن أشهر أساتذتها الإمام الغزالي، وكانت المدراس النظامية واسعة، حسنة البناء، متعددة المرافق، وكان هدفها نشر مذهب أهل السُّنة وخاصة المذهب الشافعي، وكانت تُدَرَّس فيها الى جانب الفقه الشافعي، علوم اللغة والادب والعلوم الإسلامية الاخرى، وسار على هذا النهج، في العهود التالية، الزنكيون في بلاد الشام، والايوبيون في مصر والشام، حيث أنشأوا خمساً وعشرين مدرسة، وكذلك صنع المماليك من بعدهم حيث انشأوا خمساً وأربعين مدرسة، وأخذ أهل كل مذهب ينشئون المدارس لتعليم أولادهم مذهبهم، وقد اتجهت المدرسة الى خدمة العلوم الدينية، وتأييد مذهب الدولة القائمة أحياناً إن كانت تابعة لها أو مذهب المنشئين لها من الأهالي، هذا في الأعم الأغلب، وأشهر مدارس بغداد هي المدرسة المستنصرية التي أنشأها الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة (٦٣١ هـ-١٢٣٣م)، وكانت أقرب المدارس الإسلامية من حيث الشكل الى الجامعة بمفهومها الحديث، فقد كانت تدرس فيها المذاهب السنية الأربعة، ولها مكتبة كبيرة تحوي آلاف المجلدات في مختلف العلوم والمعارف، وأُنشئ الى جانبها دار لتعليم الاطفال القرآن الكريم،وانشئ مقابلها إيوان فسيح في صدره ساعات ترشد الناس الى أوقات الصلاة، وقد خصص هذا الايوان للطب، فكان به جماعة من المشتغلين بالطب ولهم شيخ يعلّمهم ويداوي الفقراء من المرضى، وكان للمستنصرية أوقاف ينفق منها على الاساتذة والطلاب مايسد حوائجهم من الطعام والصابون والنور وأدوات الكتابة ومستلزماتها.

ولم يقتصر التعليم على المساجد والمدارس، فقد كانت الدروس الدينية تقدم في الزوايا والربط الصوفية، وكان بعض العلماء يعلّمون في بيوتهم حيث كان

يقصدهم الطلاب ليدرسوا علوماً معينة، وكانت مجالس المناظرة تعقد في بيوت العلماء والامراء، وظهرت في البلاد الإسلامية دكاكين الوراقين أو ما يسمى في وقتنا الحاضر بدور النشر ومكتبات بيع الكتب والقرطاسية، وقد نتج عن إقبال الناس على الكتب وازدهار صناعة الورق التي نقلها العرب من الصين، ومنهم انتقلت الى اوربا، فكانت العوامل الممهدة للنهضة العلمية الحديثة، وانتشار المعرفة في اوربا، ولم يكن الوراقون مجرد باعة للكتب أو ناسخين لها، وإنما كان منهم علماء وادباء ذوو ثقافة عالية وإطلاع واسع على جوانب المعرفة المختلفة كابن النديم مؤلف كتاب الفهرست، وياقوت الحموي مؤلف معجم البلدان ومعجم الادباء، وكان يجتمع في حوانيت الوراقين العلماء والفلاسفة والادباء، فيقرأون الكتب وينسخونها، ويناقشونها، ويتناظرون في مختلف فنون العلم والمعرفة.

واهتم المسلمون بإنشاء خزائن الكتب أي – المكتبات العامة – وهي المكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس أو المستقلة كدار الحكمة ودار العلم ببغداد، وكانت تعير الكتب للطلاب أو لعامة القراء.

ولم تقتصر الحركة العلمية على المسلمين، فقد كان لأبناء الملل الاخرى، كالصابئة والنصارى، مراكز علمية يدرس فيها الطلاب لغتهم ودينهم وتراثهم العلمي والادبي، وكانت الكنائس والأديرة والمكتبات الملحقة بها والمكتبات التابعة لها، من أهم مراكز العلم والترجمة.

لقد أسهم في إرساء قواعد النظام التربوي الإسلامي وتطويره أعداد كبيرة من العلماء من مختلف الطوائف والمذاهب، ومن الفرق التي اهتمت بالتعليم وأسهمت في وضع أُسسه وتطويره، الفرقة الشيعية الامامية، ولا يختلف النظام

التربوي عند هذه الفرقة من حيث الشكل عن النظام التربوي الإسلامي العام، وانما يتفرد عنه ببعض السمات الخصوصية في منهج البحث وفي مواد بعض موضوعات الدرس.

وقد أثرت في توجيه التعليم عند الإمامية وإكسابه شيئاً من الاستقلال والملامح والخصوصية، عوامل عديدة منها : إعتقاد الإمامية بعلم أئمتهم المعصومين المحيطين بالعلوم الإلهية، وكان الأئمة يعلّمون شيعتهم علوم القرآن، ويروون لهم الأحاديث، ويحثونهم على تعلم علوم آل البيت وتعليمها، وكانوا يوصون علماء شيعتهم بتعهد أتباعهم وتعليمهم أحاديث آل البيت لئلا ينحرفوا عن المذهب القويم كما يعتقدون. وبعد غيبة الإمام المهدي، في حدود سنة (٢٦٠هـ-٨٧٣م)، تولى شيوخ الشيعة الإمامية مهمة تعليم علوم آل البيت والعناية بنشرها، وقد لجأ الأئمة وشيوخ الطائفة من بعدهم بحكم الظروف السياسية الى التستر وعدم البوح في الغالب بعلومهم أمام من يخالفهم في العقيدة أو من له صلة بالسلطان، واتخذوا مؤسسات تعليمية خاصة بهم، كالكتاتيب، والمساجد، ومنازل العلماء، ودورالكتب، ودور العلم وغيرها، وكان للتدريس في المنازل أهمية خاصة عندهم، ففي هدوء المنزل، وبعيداً عن رقابة عيون السلطان والمناوئين كان الإمام أو الشيخ ينصرف الى التدريس بحرية واطمئنان، وكان في الدار التي تستعمل للتعليم موضع خاص يتخذ للصلاة والتدريس ويسمى مسجداً، وقد اختص فريق من شيوخ الشيعة بمساجد يدرّسون فيها، وكانوا يعقدون فيها الحلقات للدرس والوعظ والمناظرة، وقد نشط التعليم في مساجد عرفت في ما بعد بالعتبات المقدسة، كمرقد الإمام علي بن أبي طالب في النجف، ومرقد الإمام موسى الكاظم في بغداد، ومرقد الإمام علي الرضا في طوس،

ومشهد السيدة فاطمة بنت موسى الكاظم في قم وغيرها، وقد ازدادت أهمية هذه المساجد، شيئاً فشيئاً خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة وما بعدها. وكذلك أنشأ الشيعة الإمامية مكتبات عامة ومن أشهرها دار علم سابور ودار علم الشريف الرضي ببغداد، وقد تطورت المدرسة عن نظام التعليم في المساجد ومنازل العلماء ودور العلم، ولكن إنشاء المدارس عند الشيعة لم ينتشر إلا بعد القرن الخامس.

كان المعلمون أصنافاً أدناهم درجة معلمو الصبيان، وأرفعهم منزلة الأئمة ومن بعدهم شيوخ الطائفة المعتمدون. ولم يكن المعلّمون يُعدون إعداداً مهنياً خاصاً، وإنما كانوا يتلقون الضروري من العلم عن طريق الدراسة على الشيوخ والإتصال بهم، وقد يسرت الدولة الإسلامية بما أزالت من الحدود بين البلاد والأُمم وبحمايتها طرق التجارة والحج، رحلة الطلاب في طلب العلم، كانت الرحلة تتم، غالبا، في أوقات الحج، لأن الأئمة كانوا يقيمون في الحجاز الى منتصف القرن الثالث، وبعد ذلك أصبحت وجهة رحلة الطلاب نحو المراكز الدينية الإمامية في الكوفة وبغداد والنجف في العراق وقم في إيران.

وكان للشيوخ والطلبة مُثُلٌ عليا يهتدون بها، وآداب خاصة في سلوكهم الشخصي والاجتماعي، وفي مجالس الدرس والوعظ والمحاضرة، فمن آداب الشيخ ألاّ ينتصب للتدريس حتى يظهر استحقاقه لذلك، وأن يبذل العلم عند وجود المستحق له، وأن يصونه ولا يذله ببذله لغير أهله، وأنْ يعمل بعلمه، وأن لا يذهب الى مكان المتعلم مهما كبر قدره إلا أنْ تدعو إليه ضرورة، وتقتضيه مصلحة دينية، وأنْ يؤدب طلابه على التدرج، بالآداب الدينية والشيم المرضية، وأن يلين

للمتعلمين ويتواضع لهم ولا يتعاظم عليهم، وأن يكون حريصاً على تعليمهم، باذلاً وسعه في تفقيههم وتقريب الفائدة من أفهامهم وأذهانهم، وأن يُفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه ولا يعطيه ما لا يحتمله ذهنه، ولا يبسّط الكلام بسطاً حتى لا يضعف نشاط الطالب عن التفكير، وأن يزجرهم من سوء الخلق، وارتكاب المحرمات والمكروهات بطريق التعريض ما أمكن، لا بطريق التصريح، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة، ومن آداب الشيخ في مجلسه أن يخرج الى الدرس كامل الأُهبة، مستكملاً ما يوجب له الوقار والهيبة، وأنْ يُحسن خلقه مع جلسائه، ويعاملهم حسب تقدمهم ومنازلهم في العلم، وإذا سئل عن شيء لا يعرفه، أو عرض في درسه مالا يعرفه، يجب عليه أن يقول لا أعرفه، أو لا أتحققه، أو لا أدري حتى أُراجع النظر في ذلك، ولا يستنكف من ذلك، فمن علم العالم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم، ومن آداب الطالب أن يغتنم التحصيل في الفراغ والنشاط وحالة الشباب، وأن يقطع ما يقدر عليه من العوائق الشاغلة والعلائق المانعة من تمام الطلب وكمال الإجتهاد وقوة الجد في التحصيل، وأن يكون حريصاً على التعلم مواظباً عليه ليلاً ونهاراً، وأن يعتقد في شيخه أنه الأب الحقيقي والوالد الروحاني وأنه أعظم من الوالد الجسماني، وأن يحضر المجلس قبل حضور الشيخ حاملاً أدوات الكتابة، مستعداً لتلقي الدرس بسكينة ووقار، سلام ورحمة على شيوخ الإمامية الأجلاء الذين سجلوا لنا هذه الآداب الرائعة، والمثل العليا في سلوك المعلم والمتعلم، وجدير بأساتذتنا وطلبة العلم عندنا ان يهتدوا بهديها، ويسيروا على نورها، ويطبقوها في حياتهم قولاً وفعلاً.

وتعددت أساليب التدريس وطرقه باختلاف استعداد الشيوخ وكفاءتهم وظروفهم، ومن أعم هذه الطرق شيوعاً السماع من المعلم حيث كان الطلبة

يحضرون مجلس الشيخ في أوقات معينة، فيحدثهم من حفظه أو من كتاب، أو يملي عليهم الدرس إملاءً، وكان الدرس أو المحاضرة يسمى مجلساً أو إملاءً، ومن أشهر الأمالي التي وصلتنا من شيوخ الإمامية : أمالي الشيخ الصدوق، وأمالي الشيخ المفيد، وأمالي الشريف المرتضى، وأمالي الطوسي، ومن طرق التدريس الاخرى القراءة على الشيخ أو العرض، وذلك بأن يقرأ الطالب في كتاب، أو من حفظه، والشيخ يستمع إليه، أو أن يستمع الطالب الى من يقرأ في حضور الشيخ، وطريقة الإجازة في نقل الحديث وتحمله، وهي أن يأذن الشيخ للطالب، شفاهاً أو تحريراً، برواية كتاب معين، إجمالاً أو تفصيلاً.

والظاهر أن منهج التعليم لم يكن مقسماً الى مواضيع معينة كالتفسير والحديث والفقه وغير ذلك من العلوم الشرعية، وإنما كان الطلبة يدرسون كتباً معينه موروثة عن الأئمة، أو ألفها شيوخ موثوقون تلقوها عن الأئمة مباشرة أو مواسطة، وكان الطالب يدرس، في الغالب، موضوعات شتى في العلوم الدينية واللغوية وغيرها، و كان عدد الاصول التي تبحث في العلوم الشرعية حتى نهاية عصر الأئمة في منتصف القرن الثالث أربعمئة أصل، ثم حلت محلها أربعة كتب أصبحت هي الأصول المعتمدة وهي: كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩ هـ)، وكتاب من لا يحضره الفقيه لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، وكتاب تهذيب الاحكام، وكتاب الاستبصار فيما اختلف من الأخبار لشيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠ هـ).

هذه الصورة الموجزة عن أساليب التربية عند الإمامية لا تختلف في ملامحها الجوهرية عن الأساليب التربوية عند المسلمين عموماً، ولا عجب في ذلك فهي جميعاً نتاج الإسلام الواحد، وثمرة الحضارة العربية الإسلامية الواحدة، وإنما تنفرد التربية الشيعية بمادة بعض الموضوعات التي تقدم للطلبة، لقد كان هدف التربية الإسلامية عموماً، تحقيق التربية الدينية، وإعداد الطالب ليكون مستقيم السلوك في الدنيا، مهيئاً لنيل السعادة في الآخرة، وقد سار علماء الإمامية على هذا المنهاج، فاهتموا بالإعداد للحياة الآخرة إهتماماً عظيماً، وعدّوا العلوم الشرعية أساس كل معرفة. يقول الإمام الصادق : (وجدتُ علوم الناس كلها في أربع خلال: أولها أن تعرف ربك، والثانية أن تعرف ما صنع بك، والثالثة أن تعرف ما أراد منك، والرابعة أن تعرف ما يخرجك من دينك).

تقوم خصوصية التعليم عند الشيعة الغمامية على التركيز على علوم آل البيت، ومن أهم خصائص منهج البحث عندهم عدم الأخذ، الا في حالات نادرة، بحجية الخبر الذي لا يكون في سنده واحد من أئمتهم، وقد تكامل الفقه خلال القرون الخمسة الاولى، وامتازت عملية استنباط الأحكام الشرعية من الاصول ومن أدلتها التفصيلية بالحيوية والنشاط بفضل حرية الباحثين من الفقهاء في الإجتهاد والتأويل. لقد كان للشيوخ الحرية الواسعة في الاجتهاد ضمن اطار المبادئ العامة والعناصر المشتركة لأدلة الأحكام الشرعية، وكان تكامل الفقه الشيعي سبباً ونتيجة لتكامل خصائص الطائفة الشيعية العقيدية والاجتماعية، وقد استمر نمو الفقه بعد القرن الخامس، ولكنه كان في الغالب نمواً في الكم، وفي الامور الفرعية بخاصة، ولعل من عوامل ذلك استقرار أُسس المذهب فلم يبق مجال لإضافة جديد إليها، ولم يحدث في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ما يستدعى تغييراً جوهرياً. ثم

إن نشوء المدارس، وان ساعد على نـشر العلم بين أعداد كبيرة من الطلبة، فقد كان عامل محافظة على التقاليد الموروثة، وتكرار لآراء العلماء السالفين، وقد انحـصر دور العقل في الغالب في التأكد من صحة نقل الحديث بفحص سنده، والتأكد من سلامة متنه من التصحيف حسب الطرق التي استقرت عندهم في نقد الحديث، دون أن يتعدى ذلك الى نقد محتواه. كان النظام التربوي في القرون الأربعة الاولى عموماً، حراً يقوم على مجهود الأفراد، ولم تكن هناك مؤسسات رسمية أو طائفية تسيطر عليه، وكان الشيوخ في تلك العصور، يسعون لفهم الدين، وتفسيره، وتوضيحه للناس، ولكن بعد أن تكاملت المذاهب واُنشئت المدارس، أصبح هدف التربية حفظ التراث، وصيانته، وتنظيمه، وشرحه والتعليق عليه، على أن العصور المتأخرة لم تخل من علماء أفذاذ جددوا وابتكروا واجتهدوا.

امتازت التربية والتعليم في القرون الأربعة الاولى من التاريخ الإسلامي، كما أسلفنا بالابتكار والأصالة والحيوية والشغف بالبحث والتساؤل، ومن هنا أهمية كتاب (تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عَهْدَي الإمام الصادق والشيخ الطوسي) لصديقنا الكريم الاستاذ الدكتور عبد الله الفياض. لقد تناول الدكتور الفياض نظام التربية عند الإمامية، وهو في طور التكون والتطور، وفي دور الأصالة المبدعة الغنية، فهذا العصر الذي كرّس له المؤلف هذا الكتاب، من أخصب عصور العلم في الإسلام وأعظمها حيوية وازدهاراً، وقد نبغ فيها من الأئمة وشيوخ الفكر الإمامي كثيرون كالإمام الصادق والشيخ الصدوق والمفيد والشريفين الرضي والمرتضى والطوسي، وفي هذا العصر اُلفت الاصول الأربعة المعتمدة في الحديث عند الإمامية، ولم تقتصر جهود الإمامية، في هذا العصر على العلوم الدينية، وإنما أسهموا في الثقافة الإسلامية عامة، فنبع

منهم الأعلام المشهورون في الشعر واللغة والأدب والفلسفة والكلام والعلوم الرياضية والطبيعية.

عرّف المؤلفُ الشيعة الإمامية، وأوضح نشأتها وتكونها، وأوجز عقائدها الأساسية، وألَمَّ بتاريخ أئمتها الإثني عشر، وقد قصر بحثه على الفرقه الإمامية، مستبعداً فرق الشيعة الفرعية الاخرى كالسبأئة والكيسانية والزيدية والإسماعيلية، وبذلك أتاح لنفسه مجال التعمق بدراسة موضوعه والإحاطة بتفاصيله والغوص إلى دقائقه، وقد تناول العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الإمامية، وبحث في مراكز التعليم وأمكنته، وفصل القول في المعلمين على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم، والطلبة في مراحل دراستهم المختلفة، وأساليب التعليم ومناهجه، وفي مصادر تمويل التعليم والإنفاق عليه.

ولم تكن طريق المؤلف معبدة سهلة، فلم يؤلف القدماء من علمائنا إلا القليل من الرسائل الخاصة بالموضوع، وقد ضاع معظم هذا القليل، وما كتب في العصر الحديث على قلته، وعلى تفاوت مستوى التدقيق العلمي فيه، عام لا يفيد الباحثين على الدقائق والتفاصيل، وقد رجع المؤلف إلى أكثر من ثلاثين ومئة مصدر أولي، ومرجع ثانوي بين موضوع أو مترجم أو في لغته الأجنبية، فقرأها قراءة تمحيص وتدقيق، وجمع مافيها من معلومات عن التربية، ولم يكن أمام المؤلف من الكتب الخاصة بموضوع التربية عند الشيعة سوى رسالتين صغيرتين تعودان الى عصور متأخرة عن الفترة التي تناولها بالبحث وهما: (آداب المتعلمين) لمؤلف مجهول، و(منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) للشيخ زين الدين العاملي المتوفي سنة ٩٦٥ هـ، ولكن المؤلف بما بذل من جهد صبور في البحث والتقصي تمكن من أن يؤلف

من المعلومات المتناثره في المصادر والمراجع صورة واضحة المعالم والسمات لهذا الموضوع الخطير، وقد اتبع المؤلف في كتابه هذا القيِّم مناهج البحث التاريخي المعتمدة في تقصي الوقائع، والربط بينها وتفسيرها، وكتب نتائج بحثه بلغة سليمة، وعبارة واضحة، واسلوب رصين، وحرص المؤلف على تقصي دقائق الموضوع وتوضيح الظروف التي أحاطت بنشأته وتطوره جعل من كتابه أكثر من كتاب في التربية عند الإمامية. فهو يقدم بالإضافة إلى ذلك، صورة وافية للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الإسلامي في عصوره الاولى، وفي العراق بخاصة، الى خلاصات وافية عن سير أئمة الفرقة الإمامية وكبار شيوخها ومعلميها ومؤلفيها. وكتاب الدكتور عبد الله الفياض، في رأيي أول كتاب يؤرخ للتربية عند الشيعة الإمامية بحسب المنهج التاريخي العلمي، ومن أهم الكتب في تاريخ التربية عند المسلمين عموماً، وهو يستحق من المعنيين بالحركة العلمية العربية الإسلامية عموماً، وبالتربية الإسلامية خصوصاً، كل تقدير وإكبار.

محمد توفيق حسين

بغداد ١٧/ ٦/ ١٩٧٢





المقـدمة

الكتاب(*) الذي أضع بين يدي القارئ كان حصيلة عمل شاق امتد لسنوات عديدة، وكان الهدف من إعداد هذه الدراسة بحث النظام التربوي عند فرع من جماعة إسلامية كبيرة عرفت في البداية بشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، واختص فرع شيعي، من بين جماعات الشيعية المختلفة، بالتمسك بالنص على خلافة علي عليه السلام، وقال بتعيينه من قبل النبي صلى الله عليه وآله للإمامة والخلافة، واطلق على الشيعة المذكورين، بعد أن تكونت الفرق الإسلامية في القرن الثاني للهجرة، اسم (الترابية) نسبة الى أبي تراب كنية علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم (الجعفرية) نسبة الى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وبعد حصول غيبة الإمام الثاني عشر في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة سمي الشيعة الذين تناولهم بالبحث بـ (الإمامية) أو الاثني عشرية كما سنفصل ذلك بعد قليل.

ولما كان اولئك الشيعة يتمسكون بالنص والتعيين بالخلافة والإمامة قبل الغيبة وبعدها، وانهم سموا في كتب التاريخ والفرق بالإمامية أو الاثني عشرية بعد تلك الغيبة، آثرنا انْ نسميهم في الفترة السابقة للغيبة (أسلاف الإمامية)،

(*) ان هذا الكتاب اطروحة قدمها المؤلف للجامعة الامريكية ببيروت في عام ١٩٦٦م ونال بها شهادة الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة المذكورة.

وذلك ان اولئك وهؤلاء كانوا جماعة واحدة يجمعها القول بالنص والتعيين، وان اختلفت تسميتهما في فترتين مختلفتين.

ويترتب على ما سبق يكون عنوان الاطروحة التي نقدمها للقارئ (تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عَهْدَي الإمام الصادق والشيخ الطوسي)، وقبل أنْ أعرض المصادر التي اعتمدتها لهذه الرسالة، أود أنْ احدد الملامح العامة للشيعة أسلاف الإمامية ولخلفائهم الإمامية الذين خصصت رسالتي لبحث التربية عندهم.

إن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام قديمون في التاريخ الإسلامي إذ يرجع كثير من المحدثين والمؤرخين ظهورهم الى عهد النبي صلى الله عليه وآله، ولم تكن شيعة علي في بادئ الأمر فرقة دينية ذات عقائد معينة بل كانوا مجرد أنصار وموالين، ثم تحولوا مع الزمن الى فرق تمسكت إحداها، وهي ماتعنينا هنا، بالنص على خلافة الإمام علي عليه السلام، وتعيينه من قبل النبي صلى الله عليه وآله، للإمامة والخلافة.

ولكي يطلع القارئ على تطور شيعة علي، ثم تحولها مع مر الزمن الى مجموعة من الفرق والجماعات الفرعية أمثال الكيسانية، والزيدية، والجعفرية، (أسلاف الامامية)، ثم الإمامية نحيله الى طائفة من الكتب التي تناولت الموضوع[1].

(١) الاشعري ، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق (طهران ، ١٩٦٣م) ؛ ابن رستم، الطبري، محمد بن جرير، المسترشد في إمامة علي عليه السلام، (النجف، لا . ت) ؛ الاشعري، علي بن اسماعيل، مقالات الاسلاميين (القاهرة، ١٩٥٠م) ؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل (القاهرة، ١٩٥٦م) ؛ النوبختي، الحسن بن موسى ، فرق الشيعة (استانبول، ١٩٣١م) ؛ العكبري، الشيخ المفيد، الارشاد (اصفهان ، ١٣٦٤هـ) ؛ المرتضى الشريف، تنزيه الانبياء، (النجف ، ١٩٦٠م) ؛ ابن شهراشوب، محمد بن علي، مناقب آل ابي طالب (النجف ، ١٩٥٦م) ؛ فلهاوزن، يوليوس، الخوارج والشيعة - ترجمة : عبد الرحمن بدوي (القاهرة ،

أما الإمامية وأسلافهم من الشيعة الذين يتناول هذا الكتاب بحث النظام التربوي عندهم فهم الشيعة الذين كانوا الرواد الأُول للتشيع وواضعي بذرته في عهد الرسولﷺ، كما كانوا أشهر بناة الفكر الشيعي، وكان هؤلاء ومازالوا في عصرنا العمود الفقري للشيعة، وتمسك اولئك الشيعة منذ بداية ظهورهم بتأييد الإمام علي ﷺ كما التزموا بالنص على إمامته، وقالوا بوصية النبي)ص) لهﷺ بالإمامة والخلافة، وبقيت تلك الجماعة الشيعية تسير على المنهاج الأول الذي وضعه النبيﷺ وتتمسك بوصيته بعد أن تفرقت بالشيعة السبل وتقطعت بينهم الأسباب، وانفصلت منهم مع الزمن فرق الغلاة التي وصفت بالمروق عن الإسلام، أمثال الكيسانية والخطابية والهاشمية وغيرها، ثم انبثقت عنهم الفرق الشيعية غير الإمامية كالزيدية والإسماعيلة وفروعهما.

واستمر الشيعة الذين قالوا بالنص والتعيين على تبني سلسلة من الأئمة عرفوا فيما بعد بالأئمة الإثنى عشر المعصومين أولهم علي بن أبي طالبﷺ، وآخرهم الإمام الحجة الغائبﷺ، وكون الشيعة القائلون بالنص، والذين اطلقت عليهم في أعلاه إسم أسلاف الإمامية، فرقة شيعية في القرن الثاني للهجرة اطلقت عليها حينذاك أسماء مختلفة منها:الترابية، نسبة الى أبي تراب كنية علي بن ابي طالبﷺ، ومنها: الجعفرية، نسبة الى الإمام جعفر الصادقﷺ، ومنها الرافضة وهو الاسم

١٩٥٨م) ؛ الفياض، عبد الله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة (بغداد، ١٩٧٠م)

Vloten ، G.V ، Recherches sur la Domination arabe ، le chitisme et Les Croyances Messianiques le khalfat des Omaydes ، Amsterdam ، 1894.

Guillaume ، A. ، Islam Ediinburgh ، 1954.

Donaldson ، D. ، M. ، the Shi te Religion ، London ، 1933.

Mez ، A. ، The renaissance of Islam ، 1933.

الذي اطلقه عليهم خصومهم.

وبعد أن حصلت الغيبة بعد منتصف القرن الثالث للهجرة بقليل، سميت الفرقة الشيعية المذكورة بـ الإمامية أو الاثنى عشرية، ويترتب على ذلك ان الشيعة القائلين بالنص والتعيين هم ما اقترحنا تسميتهم، قبل حصول الغيبة بأسلاف الإمامية وسموا هم أنفسهم بالإمامية بعد حصول تلك الغيبة، وتعتقد الفرقة المذكورة من الشيعة بإمامة إثني عشر إماماً، أولهم علي عليه السلام، وآخرهم الإمام الغائب الحجة عليه السلام حسب التسلسل المعروف عندهم.

وقد تناولنا بكتابنا الموسوم بـ تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة[١] تاريخ الشيعة منذ نشأتهم فبيّنا تشيعهم مع مرّ الزمن الى فرق فرعية[٢]، وأوضحنا تمسك الشيعة أسلاف الإمامية[٣] وخلفائهم الإمامية بفكرة النص، والتعيين بالخلافة والإمامة، وأخيراً تطرقنا الى بحث القضايا ذات العلاقة بعقائد الشيعة الإمامية من عصمة وغيبة[٤] وغيرهما.

---

(١) طبع الكتاب المذكور ببغداد سنة ١٩٧٠م .

(٢) تاريخ الإمامية ص ص ٧٣ – ٨٥ .

(٣) أيضاً ، ص ص ١٣١ – ١٣٦ .

(٤) أيضاً ، ص ص ١٥٤ – ١٦٥ .

و للإمامية الإثني عشرية عقائد أساسية أهمها :

أولاً- الإمامة :

يعتقد الإمامية أن الإمامة أصل من اصول المذهب، وإن الإعتقاد بها ضرورة من ضرورات ذلك المذهب، وقد ناقشنا موضوع الإمامة في كتابنا سالف الذكر[١]، واليك ملخصاً لما فصلناه هناك: يسوق الإمامية أدلة من الكتاب والسنة والعقل لإثبات الإمامة.

فالشيخ الطوسي عند تفسيره قوله تعالى مخاطباً إبراهيم﵇ (إني جاعلك للناس إماماً....) [٢]

يقول: (واستدل أصحاب نا بهذه الآية على أن الإمام لايكون إلا معصوماً من القبائح، لأن الله تعالى نفى أن ينال عهده – الذي هو الإمامة – ظالم، ومن ليس بمعصوم ظالم أما لنفسه أو لغيره)[٣]. وقد أورد الكليني طائفة من الأحاديث لإثبات الإمامة أحدها عن الإمام الرضا﵇ جاء فيه (... إن الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء....)[٤].

والإمامة، حسب عقيدة الشيعة الإمامية، محصورة في ولد الحسين، وعندما سئل الإمام جعفر الصادق ﵇ عن تفسير قوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال : (يعني بذلك الإمامة جعلها في عقب الحسين الى يوم القيامة)[٥] .

---

(١) الفياض ، عبد الله ، تاريخ الإمامية ، ص ١٣١ .

(٢) البقرة ، آية ، ١٢٤ .

(٣) التبيان في تفسير القرآن ، ج١ (النجف ، ١٩٥٧م) ص ٤٤٦ - ٩ .

(٤) الكليني، الكافي ، ج١ (طهران ، ١٣٧٧هـ) ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٥) القمي، الشيخ الصدوق، الخصال (طهران ، ١٣٧٧هـ) ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

ثانياً : الغَيْبَة :

يعتقد الشيعة بغيبة الإمام الثاني عشر محمد المهدي(ع)[١]، ويبين الشيخ الصدوق العلة في حدوث الغيبة، قال: الصدوق إن الصادق(ع) روى أن رسول الله ﷺ قال: (لابد للغلام من غيبة، فقيل له ولِمَ يا رسول الله قال : يخاف القتل)[٢] وقد عالج عدد من الكتّاب غيبة المهدي[٣] .

ثالثاً : العصمة :

يعتقد الشيعة الإمامية بعصمة أئمتهم الإثني عشر من الخطأ والخطيئة والنسيان، ويرى الإمامية أن الإمام كالنبي ﷺ يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة الى الموت عمداً وسهواً. قال الإمام علي بن الحسين(ع):(أن الإمام منا لايكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخليقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلا منصوصاً، فقيل له ما معنى المعصوم ؟ قال: (هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيامة)[٤]، ويعتقد الشيعة الإمامية إن العصمة أمر ضروري لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي ﷺ، ويرون أن

(١) للامام الحجة المنتظر ابن الإمام الحسن العسكري(ع) غيبتان، صغرى، وهي من عام ٢٦٠ الى ٣٢٩ هـ ، والغيبة الكبرى حصلت بعد سنة ٣٢٩ هـ، وهي مستمرة الى يومنا هذا حسب اعتقاد الشيعة الإمامية .

(٢) القمي، الشيخ الصدوق، علل الشرائع (النجف ١٩٦٣م) ص ٢٤٣ .

(٣) النعماني، الغيبة ؛ المسعودي الوصية ؛ الكسروي، احمد التشيع والشيعة (طهران،١٣٤٦هـ) ؛ دخيل، محمد علي الإمام المهدي(ع)(النجف،لا، ت).

(٤) القمي، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا ، ج١ (طهران ، ١٣١٨هـ) ص ٥١ .

الدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق[١].

ولعقيدة العصمة أهمية كبيرة عند الإمامية، ويعود ذلك للأسباب الآتية:

اولاً : أراد الإمامية في تبني العصمة حصر القدسية بأئمتهم الإثني عشر المعصومين دون غيرهم بما في ذلك غير المعصومين من بني علي عليه السلام، وبني هاشم.

ثانياً: إن اعتقاد الإمامية بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تروى عنهم ملزمة دون أن يشترطوا إيصال سندها الى النبي ﷺ كما هي الحال غالباً عند أهل السنة.

ويرى الإمامية أن مايصح عندهم من أحاديث الأئمة هي بمثابة أحاديث النبي ﷺ لأن الإمام المعصوم لا يروى إلا عن إمام معصوم، وهذا الاخير روى عن النبي ﷺ مباشرة، ولكولدزيهر (Goldziher) رأي حول نظرة الشيعة الإمامية لصحة الأخبار التي تصدر عن المعصوم يقول فيه: «ومن تعاليم الشيعة أن الأقوال والروايات التي ترجع الى رواية أكيدة عن الأئمة، هي أقوى في الإثبات والتيقن من الإدراك المباشر للحواس، وذلك لعصمة من روي عنهم وتنزههم عن الخطأ، وهذه الأقوال أهلٌ لأن تهب المرء يقيناً صحيحاً مطلقاً أصح من ذلك اليقين المكتسب بطريق الحواس المعرضة للوهم والخداع»[٢].

ومن الجدير بالذكر إن الإمامية لا تسلّم بصحة كتاب عدا كتاب الله، فما ورد

---

(١) المظفر، المصدر السابق، ص ٤٥ .

(٢) العقيدة والشريعة ، ص ١٨٩ .

من حديث في أيّ كتاب من كتب الحديث تجوز مناقشته سنداً ومتناً.

أما التقية فإن الإمامية لا يعدونها من العقائد الأساسية وينزلونها منزلة الفروع، وبالرغم من ذلك فأن طائفة من الأحاديث، وردت بشأن الالتزام بها.

روي أن الإمام الصادق قال: (تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له)[١]، وروى الإمام موسى الكاظم حديثاً عن النبي ﷺ أشار فيه إلى أن طاعة السلطان للتقية واجبة[٢].

ويقول الطوسى: «والتقية عندنا واجبة عند الخوف على النفس، وقد روى رخصة في جواز الإفصاح بالحق عندها»، وبعد مناقشة طائفة من الأخبار يخلص الطوسي الى القول أن: « التقية رخصة والإفصاح بالحق فضيلة، وظاهر أخبارنا يدل أنها واجبة وخلافها خطأ»[٣]، ويرى الشيخ محمد رضا المظفر أن: «للتقية أحكاماً من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر مذكورة في ابوابها في كتب العلماء الفقهية، وليست هي واجبة على كل حال، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال، كما إذا كان في إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة الإسلام، وجهاد في سبيله.... وقد تحرم التقية في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحرمة، أو رواجاً لباطل، أو فساداً في الدين، أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم»[٤]، وقد

---

(١) القمي ،عيون أخبار الرضا ، ج١ ، ص ١٤ .

(٢) أيضاً ، ص ٤٥ .

(٣) التبيان ، ج٢ ، ص ٤٣٥ .

(٤) عقائد الشيعة ، ص ٦٤ .

ساعدت التقية الشيعية على العيش في مجتمعات تناصبهم العداء غالباً، ومن الجدير بالذكر ان الفرق بين الشيعة وغيرهم في خصوص التقية إن الشيعة تنص على لزوم الأخذ بالتقية وتلتزم به في حدود معقولة، بينما غيرهم لا ينص على التقية ولكنهم يلتزمون بها.

وقد وردت تفصيلات عن عقائد الشيعة في كتاب الشيخ المظفر الذي سبقت الإشارة إليه.

أما الفروق الأساسية بين الإمامية وأسلافهم من الشيعة وبين سواهم من الفرق الشيعية الاخرى فيمكن أنْ نجملها بما يأتي :

أولاً: إعتقاد الإمامية وأسلافهم بأن الإمامة محصورة في عترة النبي ﷺ.

وتتكون العترة المذكورة عدا علي عليه السلام، من الحسن والحسين وتسعة من أبناء الحسين، وقد نص النبي ﷺ حسب اعتقاد الإمامية وأسلافهم من قبل، على عدد الأئمة وسماهم بأسمائهم في حديث اللوح المعروف[١]، ويكون تسعة من أئمة الشيعة الإمامية الإثني عشر من ولد الحسين حسب الحديث الذي رواه الطبرسي[٢] كما أشرنا إلى ذلك قبل قليل.

يقول المفيد: في معرض تفنيده لإمامة محمد بن الحنفية إمام الكيسانية، يجب «ثبوت الإمامة.... في العترة خاصة بالنظر والخبر من النبي ﷺ، وفساد قول من ادعاها لمحمد بن الحنفية رحمه الله بتعريه من النص عليه بها فثبت أنها في علي بن الحسين عليهما السلام إذ لا مدعا له الإمامة من العترة سوى محمد رحمه الله، وخروجه عنها بما ذكرناه»، ثم يقول المفيد أيضاً : «نص رسول الله ﷺ بالإمامة عليه [علي بن الحسين] فيما روي من حديث اللوح الذي رواه جابر عن النبي ﷺ.....»[٣]، ويترتب على ماسبق أن الشيعة الكيسانية يختلفون عن الشيعة الإمامية وأسلافهم، فضلاً عن اعتقادهم«بأن الدين طاعة الرجل»[٤]، بأنهم تبنوا سلسلة من الأئمة لم ينص عليها النبي ﷺ، حسب اعتقاد الإمامية، وأنهم أخرجوا الإمامة من أبناء فاطمة الى محمد بن الحنفية.

---

(١) المفيد، الارشاد، ص ٢٣٧ - ٨ .

(٢) الطبرسي، المصدر السابق، ص ٤٣ .

(٣) الإرشاد، ص ٢٣٧ - ٨ .

(٤) الشهرستاني ، المصدر السابق، ص ٢٨١ .

ويختلف الشيعة الزيدية عن الشيعة الإمامية وأسلافهم في تعيين سلسلة الأئمة المنصوص عليهم فالزيدية «ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم،.... إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم، زاهد، شجاع، سخي، خرج بالإمامة إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين[1]، والزيدية الذين تخلوا عن العقيدة القائلة بحصر الإمامة في أبناء الحسين عليه السلام، فقدوا شرطاً أساسياً من شروط الإمامة، حسب مقاييس الإمامية، وهو حصر الإمامة في ولد الحسين دون غيرهم من أبناء علي عليه السلام، ويختلف الشيعة الإسماعيلية عن الشيعة الإمامية في تعيين سلسلة الأئمة المنصوص عليهم، فالإسماعيلية ساقوا الإمامة بعد جعفر الصادق الى ابنه إسماعيل، ولم يعترفوا بإمامة موسى الكاظم الذي يعده الإمامية الإمام الحق بعد أبيه الصادق عليه السلام، ونتيجة لذلك أصبحت الاسماعيلية فرقة شيعية متميزة عن فرقة الشيعة الإمامية، قال ابن الأثير في معرض كلامه على مقتل الصالح بن رزيك سنة ٥٥٦هـ «وكان الصالح إمامياً لم يكن على مذهب العلويين المصريين»[2].

ثانياً : الاختلافات في عدد الأئمة :

يعتقد الشيعة الإمامية وأسلافهم باثنى عشر إماماً آخرهم الإمام المهدي صاحب الزمان عليه السلام. قال الإمام الصادق عليه السلام : «الأئمة بعد نبينا صلى الله عليه وآله إثنا عشر نجباء من نقص منهم واحداً أو زاد فيهم واحداً خرج من دين الله، ولم يكن من ولايتنا

---

(١) أيضاً ، ص ٣٠٢ .

(٢) الكامل ، ج١١ ، ص ١١١ .

على شيء[١]، وينفرد الشيعة الإمامية عن بقية الفرق الشيعية الاخرى بالإعتقاد بالعدد المذكور، قال القمي: « إن أبا علي أحمد بن الفضل قبض على الحافظ الفاطمي واستقل الأمر.. وأظهر مذهب الإمامية وتمسك بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام ورفض الحافظ وأهل بيته، ودعا على المنابر للقائم في آخر الزمان، الإمام المنتظر، صاحب الزمان»[٢]

ثالثاً : اختلافات في قضايا تفصيلية متعددة بين الفرقة الشيعية الإمامية من جهة والفرق الشيعية الاخرى من جهة ثانية :

ومن بين القضايا المذكورة قضية النص والتعيين، وقضية الاعتقاد في الإمام المهدي وغيبته، وقد تكفلت كتب الفرق والحديث إيراد تفصيلات عن المواضيع المذكورة[٣] .

وقبل الكلام عن المصادر لابد من الإشارة الى قضية ذات أهمية وهي ان النظام التربوي عند الشيعة الإمامية وأسلافهم، الذي نحن بصدد البحث فيه، يعد جزءاً من نظام تربوي إسلامي عام تبناه المسلمون كافة بما فيهم الشيعة، ويعود ذلك الى النظام المذكور الذي استمد مقوماته الأصلية ومفاهيمه الرئيسة

---

(١) المفيد، الاختصاص (طهران ،١٣٧٩هـ) ص ٢٣٣ .

(٢) القمي، عباس، الكنى والالقاب، ج٢، (النجف، ١٩٥٦م) ص٤٢٥ .

(٣) النعماني، المصدر السابق ؛المسعودي ، المصدر السابق ؛ النوبختي، المصدر السابق ؛ الشهرستاني ،المصدر السابق ؛ الطوسي ، محمد بن الحسن ، الاستبصار ٣ اجزاء (لكنهو ، ١٣٠٧هـ) ؛ الطوسي ، تهذيب الاحكام ، عشرة اجزاء ، (النجف ، ١٩٥٩ م) ؛ الفياض ، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة.

من منابع اسلامية عامة يستوي في احترامها والإقتباس منها جميع المسلمين على اختلاف مللهم ونحلهم.

ففكرة التوحيد مثلاً، تحتل الصدارة في النظام الفكري عند المسلمين كافة، وتلي فكرة التوحيد مسألة الاعتراف بالأنبياء والرسل ودورهم في نقل الرسالة الإلهية الى المؤمنين كافة دون التفريق بين مسلم شيعي أو مسلم من أهل السنة.

ويعتقد المسلمون على اختلاف مللهم ونحلهم إن الكتب السماوية التي كان القرآن الكريم آخرها وأكملها تضمنت تلك الرسالة الإلهية، ويترتب على ذلك ان تعليم العلوم الدينية، سواء عند أهل السنة أو عند الشيعة الإمامية، هو بالدرجة الأولى نقل الرسالة الإلهية التي احتواها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتكفلا بتوضيحها للمؤمنين.

ولا يختلف المسلمون جميعهم على كل ما سبق بل إن اختلافهم يكاد ينحصر في وسائل نقل تلك الرسالة الربانية، فالشيعة الإمامية مثلاً يرون أن أئمتهم المعصومين هم خير واسطة لنقل تلك الرسالة وشرحها بأمانة وضبط لا يمكن أن يرتقي الشك إليها، أما أهل السنة والحديث فلا يرون ضرورة حصر نقل الرسالة الإلهية بالمعصومين لأنهم لايقرون عصمة الأئمة، ويترتب على ما سبق أن إيصال الرسالة المذكورة للمؤمنين هو الهدف الرئيس الذي يعمل على تحقيقه المهتمون في شؤون التربية والتعليم من المسلمين سواء كانوا من الشيعة الإمامية أو من أهل السنة، ونتيجة لذلك نجد الحديث النبوي المشهور ((طلب العلم فريضة على كل مسلم) يرويه ويتبناه في الوقت نفسه علماء السنة وعلماء الشيعة.

يضاف الى ذلك إن الناظر في الكتب التربوية عند الشيعة الإمامية، والكتب التربوية عند أهل السنة يخرج بنتيجة هي أن المقومات الأساسية للتربية الإسلامية لدى جميع فرق المسلمين واحدة. وحسبك أن تقرأ كتاب ابن جماعة الموسوم بـ التذكرة[١]، وكتاب الشهيد الثاني الموسوم بـ (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد)[٢]، لتجد أن الفروق في نظام التربية، كما يعرضه ابن جماعة السني، ونظام التربية، كما يعرضه الشهيد الثاني الشيعي الامامي، تكاد تكون ضئيلة وتنحصر غالباً، في التفصيلات دون المبادئ الأساسية.

وكان الشيوخ من كلتا الطائفتين يتحرجون، في الغالب الأعم من أخذ أُجرة على تعليم العلوم الدينية لأنهم يرون أن تعليم تلك العلوم هو بمثابة واجب ديني يقوم به المؤمن تجاه أخيه المؤمن قربى الى الله تعالى، وأن الأجر الذي يناله الصالحون من الله في الحياة الآخرة هو خير من الأجر المادي الذي يناله الفرد من الناس في الحياة الدنيا، ونتيجة لذلك نظر كثير من فقهاء السنة والشيعة للتعليم على أنه من أؤكد فروض الكفايات[٣].

يضاف الى وحدة المصادر التي تستقي منه التربية الإسلامية مفاهيمها العامة، فإن النظام التربوي عند الشيعة الامامية، وعند غيرهم من المسلمين تأثر بمؤثرات ثقافية واجتماعية وسياسية تكاد تكون متشابهة خاصة في الفترة التي هي موضوع بحثنا.

---

(١) طبع الكتاب المذكور في حيدر آباد الدكن ١٣٥٣هـ .

(٢) طبع الكتاب المذكور في النجف سنة ١٩٦٢ م .

(٣) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج١ (القاهرة ، ١٩٣٩م) ص ١٢ - ١٥؛ والشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ٥٩ .

فاللغة العربية في الفترة المشار اليها كانت أهم لغة ثقافية لجميع المسلمين نظراً لكونها لغة القرآن الكريم من جهة، ولأنها لغة الخلافة الاموية والعباسية من جهة اخرى، وكادت الوحدة الثقافية بين المسلمين تكون محفوظة رغم الانشطارات السياسية المحلية التي تعرضت لها الخلافة، وكان المسلم شيعياً أو سنياً، ينتقل من قطر إسلامي الى آخر، خلال الفترة التي نبحثها، فيجد إخوانه المسلمين يعبدون الرب الذي يعبد، ويقرأون القرآن الذي يقدس ويتعلمون في المساجد، وبعدها في دور العلم التي كان يتعلم فيها في بلاده الام، وكانت الرحلة في طلب العلم من التقاليد التي عرفها الطلبة من السنة والشيعة على السواء، يضاف الى ذلك أن فريضة الحج الى بيت الله الحرام، الذي يستوي في تقديسه السنة والشيعة، كانت من العوامل الموحدة فكرياً واجتماعياً لجميع المسلمين .

ونخلص من كل ماسبق بنتيجة، وهي أن التربية عند الشيعة الإمامية وأسلافهم هي فرع من فروع نظام تربوي عام، وهو التربية عند المسلمين.

على أن هناك بعض الخصائص لكل من الفرقتين راجعة الى تاريخها وعقائدها الخاصة، ولذلك عمدنا في الفصل الأول من هذه الرسالة الى استخلاص العوامل الموجهه للتربية عند الشيعة الإمامية وأسلافهم.

وبعد ما قدمت أنتقل بالبحث عن المصادر التي اعتمدتها لهذه الرسالة. لقد استعملت مصادر متعددة ومتنوعة، ولكنها جميعاً كانت ذات صلة غير مباشرة، إلا ماندر بموضوع التربية عند الإمامية وأسلافهم في الفترة التي تناولها بحثي، وكنت في الكثير من الأحيان أقرأ الكتاب المتعدد الأجزاء دون أن أفوز بطائل، أو أنني أعثر على معلومات ضئيلة وردت بصورة عرضية بين أبحاث الكتاب المذكور،

وقد يكون مرد ذلك الى أن كثيراً ممن كتبوا عن الفترة المذكورة وجهوا عنايتهم الى التاريخ والعلوم الدينية، ولم يولوا موضوع التربية ما يستحقه من الاهتمام، ولم اعثر على كتب مستقلة في موضوع التربية عند الإمامية سوى رسالتين صغيرتين تعودان الى عصور متأخرة عن الفترة التي تناولتها بالبحث، وكان الكتاب المجهول المؤلف[1]، والموسوم بـ آداب المتعلمين، إحدى الرسالتين المذكورتين، واعتمدت نسختين من الكتاب المذكور إحداهما مطبوعة والاخرى مخطوطة، أما المطبوعة فانها طبعت ضمن مجموعة عرفت بـ جامع المقدمات، وطبعت على نفقة المكتبة العلمية الإسلامية بمطبعة (خورشيد) بإيران سنة ١٣٦٦هـ، وتضم هذه المجموعة أربع عشرة رسالة من بينها رسالة آداب المتعلمين، سالفة الذكر.

اما النسخة المخطوطة فقد صورتها عن نسخة محفوظة بخزانة الحاج محمد علي النجف آبادي في النجف الاشرف، وهي مذيلة باسم ناسخها غنام الحاج سالم الحويزي، الذي يقول أنه ألفها بنفسه ولنفسه، ولما كان النسختان، المخطوطة والمطبوعة، خاليتين من اسم المؤلف المفترض وهو نصير الدين الطوسي، وان المخطوطة تحوي عبارة (الفها)[2]، اتجهت الى الشك في نسبة الكتاب المذكور الى الطوسي، وقد اخبرت الشيخ اغا بزرك، في مقابلة شخصية بوجهة نظري، فقال: انه لم يجزم بنسبة الكتاب الى الطوسي وانه في ضوء الملاحظات التي أبديتها أصبح يميل الى ان المؤلف ربما كان الحويزي نفسه.

---

(١) ذكر الشيخ اغا بزرك الطهراني في كتاب الذريعة المطبوع في النجف سنة ١٩٣٦م (ج١، ص٢٨) ان مؤلف آداب المتعلمين (هو نصير الدين الطوسي)

(٢) وردت العبارة المذكورة في الصفحة الثامنة أي في نهاية المخطوط .

وبعد المقارنة بين المخطوط والمطبوع وجدت اختلافات طفيفة بينها، أما الرسالة الثانية فهي (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) للشيخ زين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني توفي (٩٦٥هـ-١٥٥٧م). وقد استعملت من الكتاب المذكور طبعتين احداهما مطبوعة في ايران سنة (١٣١٧هـ-١٨٩٩م)، والاخرى في النجف الاشرف سنة (١٣٦٩هـ-١٩٤٩م)، واستفدت من الرسالتين المذكورتين فوائد محدودة جداً.

أما المجموعة الثانية من مصادر بحثي فهي كتب الرجال، وخاصة رجال الكشي، والنجاشي، والطوسي، والحلي، وقد وردت المعلومات المتعلقة بالتربية عند الإمامية وأسلافهم بصورة عرضية ومقتضبة في هذا النوع من الكتب، ولكنها ثمينة ومفيدة كما يظهر لك في مواضعه من هذه الدراسة، وتظهر فائدة كتب الرجال بوضوح في الفصلين الرابع والخامس من هذا الكتاب، وسأخص رجال النجاشي بشيء من التفصيل لأهميته. يعد رجال النجاشي على رأي اغا بزرك (الذريعة - ١٠ : ١٥٥) عمدة الاصول الأربعة الرجالية، وهو نظير (الكافي) بين كتب الإمامية الاربعة في الحديث، ويصف بزرك النجاشي بـ العالم النقاد البصير، ويعدَّه أفضل من خط في علم الرجال، وأنه لايقاس بسواه.

وكتاب النجاشي مرتب على الحروف الهجائية، ويمتاز الكتاب المذكور من معظم الكتب الرجالية التي سبقته مثل رجال الكشي، أو التي عاصرته مثل رجال الطوسي، أو التي تلته مثل رجال العلامة الحلي، بإيراد معلومات متقنة ومفصلة نسبياً عمن يترجم لهم، واهتم النجاشي بذكر سنة وفاة الكثيرين ممن ترجم لهم، كما يورد معلومات مفيدة عن الامكنة التي رحلوا اليها أو درسوا أو دّرسوا فيها،

وبهذا يختلف عن رجال الطوسي مثلاً الذي يكتفي كاتبه، في أغلب الأحيان، بذكر اسم المترجم وأنه من أصحاب الإمام الفلاني.

وعندما يريد النجاشي تعديل أحد رجال الحديث يصفه بأنه (ثقة، صدوق، عظيم القدر، خبير بأمور أصحاب نا، عين من عيون الطائفة، عليم ببواطن أنساب أصحاب نا الى آخر ماهنالك من عبارات تنم عن تعديل رواة الحديث، أما إذا أراد تجريح أحد الرجال قال: «هو غال، كذاب، فاسد المذهب، في كتبه تخليط، يروي عن الضعفاء، لم يعاصر من روى عنه» الى آخر ماهنالك من العبارات التي يستدل منها على التجريح.

أما المجموعة الثالثة من مصادر هذه الرسالة فهي كتب الحديث، وقد استندت في إعدادي لهذه الرسالة على طائفة كبيرة من الأحاديث وصفت بأنها صادرة عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام دون الاعتراف بتأريخية جزء كبير منها.

وكان اهتمامي بالاحاديث المذكورة منصباً لا على تاريخيتها، بل على كون فرق الشيعة الإمامية وأسلافهم من قبل كانت تتبنى تلك الاحاديث وتعدها معبرة عن عقيدتها، والذي اراه انه لايمكن الجزم بتاريخية الكثير من الحديث سواء ما اعتمد عليه أهل السنة أو ما اعتمد عليه الإمامية وأسلافهم من الشيعة، وبالرغم من ذلك فالحديث إن عجز أحياناً عن الوقوف بمصاف مصادر التاريخ الموثوقة فأنه دون شك يمثل آراء رواته ونزعاتهم.

وتأتى كتب (الكافي) للكليني، و (كتاب لايحضره الفقيه) للصدوق، و (الاستبصار) و(تهذيب الاحكام) للطوسى في الطليعة، وتعد الكتب الأربعة

المذكورة من أهم كتب الحديث عند الشيعة الإمامية.

ويعد كتاب الكافي للكليني أهم كتب الحديث عند الامامية، ويقول النجاشي ان محمد بن يعقوب الكليني كان (أوثق الناس في الحديث وأثبتهم)[١]، ويصف الشيخ اغا بزرك[٢] كتاب الكافي بأنه أجّل كتب الاصول عند الشيعة وبلغت عدة احاديث الكافي ١٦، ١٩٩ حديثاً، وقيل ان فيه مايزيد على ما في الصحاح الست عند أهل السنة متوناً واسانيد.

ولكتب الحديث المذكورة أهمية كبيرة في توضيح عقائد الامامية، وقد اوردت تفصيلات عن كتب الحديث عند الإمامية في كتابي الموسوم بـ (الإجازات العلمية عند المسلمين)[٣] .

أما المجموعة الرابعة من مصادر بحثي فهي كتب التاريخ، والفرق، والامالي، وقد اعتمدت على كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي لأنه أقدم كتب الفرق عند الشيعة الإمامية كما اعلم، ولان مؤلفه من ذوي الاختصاص، يضاف الى ما سبق ان النوبختي وصف بأنه (امامي حسب الاعتقاد)[٤]، وقد دعاني جميع ماذكرت عن النوبختي الى اعتماد كتابه في اقتراح تاريخ تقريبي لظهور فرقة (الإمامية).

أما كتب الامالي فقد اعتمدت كثيراً على امالى الصدوق، من بينها خاصة في الفصل الثاني من هذه الرسالة، وقد ذكرت في الفصل المذكور تفصيلات

(١) الرجال (طهران، لا ٠ ت) ص ٢٩٢ .

(٢) الطهراني، اغا برزك، مصفى المقال في مصنفى علم الرجال (طهران، ١٩٥٩م) ص ٣٧٦

(٣) طبع الكتاب المذكور ببغداد، ١٩٦٧م .

(٤) النجاشي، الرجال، ص ٥٠ .

عن مجالس الصدوق أو جلساته التدريسية التي ضمنها أماليه، وكانت مجالسه تعني الدروس كما اسلفت لا امكنة التدريس وهو المعنى الثاني لعبارة (مجالس) وامتازات مجالس الصدوق كما اثبت أثناء البحث بذكر تواريخ إلقائها والأمكنة التي القيت فيها أحياناً .

أما كتب التاريخ فكانت فائدتي منها محدودة جداً وذلك لعدم اهتمام المؤرخين إلا ماندر، بايراد معلومات عن التربية عند الشيعة الإمامية.

أما المراجع الثانوية فقد استعلمت طائفة منها كما يظهر لك من ثبت المصادر، وكانت المراجع ذات صلة غير مباشرة في موضوع الرسالة سوى رسالتين جامعيتين، إحداهما الرسالة الموسومة بـ (التربية عند العرب)[1] للدكتور خليل طوطح، أما الثانية فهي الكتاب الموسوم بـ(تاريخ التربية الإسلامية)[2] للدكتور أحمد شلبي، وكانت رسالة طوطح مقتضبة تناولت في الغالب الآراء التربوية عند العرب، ولم تبحث في قضايا التعليم عندهم بصورة تفصيلية، أما رسالة شلبي فقد تناولت قضايا التربية والتعليم عند المسلمين بإسهاب، ولكن مؤلفها يتصف بقلة التدقيق أحياناً، ومن الأمثلة على ذلك أنه حين يقارن بين أهل السُّنة والشيعة يقول :

أولاً: يرى الشيعة طهارة الخمر.

ثانياً : لايجيزون القصر في الصلاة للمسافر إلا اذا كان مسافراً الى مكة أو المدينة أو الكوفة أو كربلاء.

---

(١) طبع الكتاب المذكور في القدس دون ذكر تاريخ الطبع .

(٢) طبع الكتاب المذكور ببيروت سنة ١٩٥٤م .

ثالثاً: لا يبحثون عن هلال رمضان ولا عن هلال شوال، ودائما يبدأون رمضان قبل أهل السنة بيوم أو يومين، ورمضان عندهم كامل دائماً[١]، أما فيما يتعلق بطهارة الخمر عند الشيعة، كما يزعم شلبي، فإن الشيخ الطوسي يروي عن الإمام الصادقعليه السلام قال: (إذا سقط في البئر شيء صغير فمات فيها فانزح منه ٤ دلاء، قال فإن وقع فيها جنب فانزح منها سبع دلاء، فإن مات فيها... أو صب فيها خمر فلينزح الماء كله)، وقال الطوسي عند بحثه عن تطهير الماء من النجاسات، فإن وقع فيها (البئر) خمر وهو الشراب المسكر من أي الأصناف كان نزح جميع ما فيها من الماء إن كان قليلاً...[٢]، أما فيما يخص تحريم الخمر فروى الصدوق إن [الإمام] الصادق قال: (لاتجالسوا شراب الخمر فإن اللعنة إذا نزلت عمَّت مَنْ في المجلس)[٣].

أما المزاعم الاخرى التي أوردها الدكتور شلبي فلا صحة لها، ورغبة في تجنب الإطالة أغفلنا ذكر المصادر التي تفندها.

وقد قسمت هذه الرسالة، فضلاً عن المقدمة، الى ستة فصول تناولت في الفصل الأول منها العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الإمامية، وبحثت في الفصل الثاني أمكنة التعليم عند الشيعة الإمامية، أما الفصل الثالث فقد خصص للبحث عن المعلّمين على اختلاف أصنافهم، كما تناول الفصل الرابع البحث عن الطلبة على اختلاف مراحل دراستهم، وتناولت في الفصل الخامس البحث عن

---

(١) شلبي، المصدر السابق، ص ٤٠٢ .

(٢) تهذيب الاحكام، ج ١، ص ٢٤٠ .

(٣) من لايحضره الفقيه، ج ٤ (النجف، ١٣٧٨هـ) ص ٤٠ [illegible] ١ .

أساليب التعليم والمناهج، وكان الفصل السادس عن تمويل التعليم.

وبعدما قدمت أود أن أشير إلى أن هناك فجوات في بحثي لم تسعفني المصادر التي اطلعت عليها في سدّها، ومن هذه الفجوات قضية إسهام المرأة في التعليم ونصيبها من التعلم، وذكر البرقي أسماء النساء اللواتي روين عن الأئمة عليهم السلام[(١)] كما أورد الشيخ الطوسي أسماء عدد قليل من النساء المحدِّثات في رجاله[(٢)] .

ولكن هاتين الإشارتين وغيرهما من الإشارات العابرة لا تمكِّن الباحث من إعطاء فكرة واضحة عن التعليم النسوي عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة.

ومن الفجوات التي لم تسعفني المصادر في سدها هي قضية الامتحانات التي يجريها المعلمون للصبيان، أو الشيوخ للطلبة، ولم أستطع خلال تتبعي للمصادر في الفترة التي تناولها بحثي العثور على نظام امتحانات جماعية أو فردية تجري في فترات معينة كما هي الحال عندنا اليوم، وقد عثرت بهذا الخصوص على إشارة أو إشارتين ذكرتهما أثناء البحث، ولكنهما لايساعدان الباحث على إعطاء فكرة عن الإمتحانات في تلك الفترة.

وإن صَعُبَ عليّ حل معضلة أو أكثر لجهل أو خطأ، أرجو أن ينبهني القارئ الكريم الى ذلك وله من الله القدير أحسن الجزاء، ومني عظيم الشكر والإمتنان، وأود أن أُصارح القارئ الكريم بأني لا أدَّعي الكمال لبحثي هذا، ولكن الذي يريح ضميري هو أنني لم أدخر وسعاً في توضيح مشكلاته الكثيرة، وإني لم أفر

---

(١) الرجال (طهران، ١٣٤٢هـ) ص ٦١ - ٢ .

(٢) الرجال (النجف، ١٩٦١م) ص ٦٦، ٧١، ٨١، ١٠٢، ١٤٢، ٣٤١، ٣٦٦، ٤٠٩، ٤٢٧، ٥٢١ .

أمام صعوبة، رغم أن صعوبات بحثي هذا لاتقف عند حد، وأن بعضها، رغم محاولاتي الكثيرة بقيت دون حل.

وحاولت جهد الطاقة أنْ أكون موضوعياً ضمن الاطار الذي يتطلبه موضوع له صلة وثقى بالعقيدة كموضوعي، وأترك للقارئ الحرية في قبول أو رفض الأطار الذي تصورته لموضوعية بحثي، وأرجو ممن يخالفني من القراء أن يتذكر، قبل إصدار حكمه على بحثي هذا، أنني اقدم له موضوعاً تصارعت في جنباته حقائق التاريخ مع نزوات الكتّاب المنبعثة عن التعصب على الشيعة أو لهم، وظهر لي، أثناء البحث، أن المتعصبين للشيعة كانوا قلة إذا ماقيسوا بالمتعصبين عليهم، ولا غرابة في ذلك لأن الشيعة، كما اثبت في مطاوي البحث، رفعوا علم المعارضة، في أغلب فترات تاريخهم للسطان لذا صب الحكام، إلا ماندر منهم، جام غضبهم عليهم، فأعملوا السيف في رقابهم، وأورثوا الخراب في مؤسساتهم، وأشاعوا التشويه في عقائدهم.

وقد أجريتُ في رسالتي هذه قبل تقديمها للطبع تغييرات تناولت حذف طائفة من المعلومات التفصيلية لم [أرَ] ضرورة لبقائها، كما تناولت إضافة معلومات قليلة عثرت عليها مؤخراً، وبذا أصبحت مسؤوليتي عن كل محتويات الرسالة كاملة.

وقبل أن أختم أتوجه بالشكر الجزيل الى حضرات الأساتذة أعضاء اللجنة المشرفة على هذه الرسالة، وهم الدكاترة : نقولا زيادة، ونبيه فارس، ومحمود زايد، وإحسان عباس، ومتى عقراوي، ويوسف أبش، وقسطنطين زريق، وقد صرف اولئك الأفاضل كثيراً من وقتهم وجهدهم في سبيل إخراج هذا المجهود

بشكله اللائق.

وأخص بالذكر شيخي واستاذي الدكتور قسطنطين زريق، أحد أساتذة دائرة التاريخ بالجامعة الأميركية ببيروت، الذي لبى رغبتي فأشرف على هذا البحث، وقد بذل من وقته وجهده الخالصين للعلم الشيء الكثير بقصد إغناء هذه الرسالة وتركيز معلوماتها والحرص على أصالتها.

ومن الوفاء أن أتقدم بشكري للشيوخ والأساتذة الذين أسهموا بمشورتهم وتوجيههم، ومن بينهم الشيخ محسن الطهراني المعروف بآغا بزرك، الذي زوَّدني بمعلومات ومصادر عن الإجازة. والدكتور كامل مصطفى الشيبي الذي قرأ بعض فصول هذه الرسالة وقدَّم اقتراحات مفيدة، ولا أنسَ أفضال القائمين على مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت، ومكتبة جامع الشيخ الخلاني العامة ببغداد، الذين زودوني بكثير من مصادر هذه الرسالة، وأختم صحيفة شكري بذكر الدكتور حسين محفوظ الذي زوّدني بصور لطائفة من الإجازات التي لم أستطع الاستفادة منها في هذا الكتاب لتأخر زمنها.

ويسرني أن أتقدم بالشكر للاستاذ محمد توفيق حسين أحد أساتذة دائرة التاريخ بجامعة بغداد الذي تفضل بكتابه مقدمة لهذه الرسالة.

كما أشكر جامعة بغداد التي قدَّمت لي منحة مالية لطبع هذا الكتاب.

وختاما أرجو من الله القدير أن يوفق طلبة العلم، وأن يجعلني من بينهم، لحل مشكلات عالمنا الذي نعيش فيه حلاً بعيداً عن التعصب والغرور.

الفصل الأول

العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة



هناك عوامل أثّرت في توجيه التعليم عند الإمامية وأسلافهم وأكسبته ميزات خاصة به يمكن أن نجملها بما يأتي :

أولاً: إعتقاد الإمامية وأسلافهم في علم أئمتهم ورسالة الأئمة في تبليغه لشيعتهم.

يعتقد الإمامية أن الإمامة منصب يختاره الله كما يختار النبوة، ويأمر النبي ﷺ أن يدل على الإمام ويأمر باتباعه، قال النبي ﷺ : (معاشر الناس إني أدعها إمامة وراثة في عقبي الى يوم القيامة، وقد بلّغت ما أُمرت تبليغه حجة على كل حاضر وغائب، وعلى كل أحد شهد أو لم يشهد، ولد أو لم يولد، فليبلغ الحاضر الغائب، والوالد الولد الى يوم القيامة....)[١]، وقلد النبي ﷺ علياً الإمامة في عهده بأمر من الله، قال النبي ﷺ (إن الله... هو مولاكم وإلهكم، ثم من دونه محمد وليكم القائم المخاطب لكم، ثم من بعدي علي وليكم بأمر ربكم، ثم الإمامة في ذريتي من ولده إلى يوم تلقون الله...)[٢]، وقلد النبي ﷺ علياً فضلًا عن ذلك، إمرة المؤمنين، قال بريدة: «أمرنا النبي ﷺ أن نسلّم على علي بإمرة المؤمنين»[٣]، ويعتقد الإمامية إن تسلم الخلفاء الثلاثة الأُول الحكم بعد النبي ﷺ لا يعني انقطاع إمامة علي[٤]، وإن الخلفاء المذكورين اغتصبوا الخلافة من أمير المؤمنين علي دون حق[٥].

---

(١) الطبرسي ، المصدر السابق، ص٣٨.

(٢) أيضاً ، ص٣٦.

(٣) الطوسي ، محمد بن الحسن ، الأمالي - حجر (إيران ، ١٣١٣هـ) ص٢١١.

(٤) المسعودي ، الوصية ، ص ١١٨ - ٢٠.

(٥) الكليني ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٥٤٥ .

ويعتقد الإمامية وأسلافهم أنَّ أئمتهم كانوا محيطين بالعلوم الإلهية. قال جعفر بن محمد عليه السلام: (إن الله علَّم نبيّه التنزيل والتأويل فعلَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام قال: وعلمنا والله...)[1]، ويعتقد الإمامية أن الإمام علياً أعلم الناس بالقرآن وأكثرهم تعليماً له، روى الكليني ان منصور بن حازم سمع الصادق يقول: (... إن علياً عليه السلام كان قيّم القرآن... وإن ما قال في القرآن فهو حق...)[2]، ويستند الإمامية فيما يستندون في اعتقادهم بأن علياً محيط بعلوم القرآن كلها على روايات منها، قال الإمام علي: (كنت أدخل على رسول الله كل يوم دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث ما دار، وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يصنع ذلك بأحد غيري... وكنتُ إذا سألتُه أجابني، وإذا سكتُّ وفنيت مسائلي إبتدأني، فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعلّمني فهمها وحفظها)[3]، وقال علي أيضاً : (سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية في ليل نزلت أو في نهار أنزلت مكيّها ومدنيّها، سفريّها وحضريّها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، لأخبرتكم به)[4]، ويعتقد الإمامية وأسلافهم أن علياً عليه السلام لم يكن واسع المعرفة في علوم القرآن حسب، بل كان واسع الاطلاع في الحديث أيضاً .

---

(١) أيضاً ، ج٧ ، ص٤٤٢ .

(٢) أيضاً ، ج١ ، ص ١٦٨-٩ .

(٣) القمي، الخصال، ص١٢٣ .

(٤) المفيد ، الاختصاص ، ص ٢٣٦ .

وقد كتب عليٌّ عن رسول الله ﷺ حديثاً كثيراً ضمّنه في الصحف[1] توارثها الأئمة من بعده، ويعتقد الشيعة الإمامية وأسلافهم أن كتب الإمام علي عليه السلام كانت تنتقل الى أئمتهم يتوارثها، الخلف عن السلف.

وذات مرة قيل لزيد بن علي أنَّ الصادق: (لم يترك شيئاً مما سألناه إلا أجابنا بما يقع، فتبسم زيد ثم قال: أما والله لئن قلت هذا فأن كتب علي عنده دوننا)[2].

ومن الجدير بالذكر أنه ليس للصحف المذكورة أهمية في الوقت الحاضر، فهي لم تصل إلينا أولاً، كما أنها لم تكن من بين كتب الحديث الإمامية الأربعة[3]

---

(١) كانت إحدى الصحف المذكورة تسمى (الجفر) ويصفه الكليني (الكافي، ٨٥ – ٦) بأنه وعاء من آدم فيه علم البنيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل ... وهناك صحيفة ثانية تسمى (مصحف فاطمة) وحجمه يزيد على حجم القرآن بثلاث مرات على رواية الكليني السابقة. ويقصد بالمصحف هنا كتاب الحديث لأن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه [النبي] للاعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام ... وأنه لا نقص فيه، ولا تحريف، ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم (كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص ١٠٦).

(٢) ابن شهراشوب، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٧٤.

(٣) ان الكتب المذكورة هي: أولًا: كتاب الكافي للكليني، المشتمل على الاصول والفروع والروضة، وقد جمع فيه مؤلفه ستة عشر ألف وتسع وتسعين حديثاً مسنده فيها عن طريق أهل البيت، وتزيد أحاديثه عما في الصحاح الستة. ثانياً: كتاب من لايحضره الفقيه للشيخ الصدوق القمي ثالثاً: كتاب التهذيب لشيخ الطائفة الطوسي رابعاً: الاستبصار للطوسي أيضاً.

ومن الجدير بالذكر أن طائفة من الأحاديث الواردة بتلك الكتب يتطرق الشك إليها، لذا لا يعد ورود الحديث في واحد أو أكثر من تلك الكتب دليلاً على وثاقته، ونتيجة لذلك دأب علماء الشيعة الإمامية على عدم الإعتراف بحجية الأحاديث التي تضمنتها المجموعات المذكورة دون بحث في وثاقة رواتها، وفحص دقيق لمتونها، ولايتمتع بالحجية المطلقة من بين الأدلة الشرعية الاصلية، عند الشيعة الإمامية إلا القرآن الكريم، فعلماء الشيعة والحالة هذه يخضعون

التي هي بمثابة الصحاح السته عند أهل السنة.

ويظهر أنها لم تكن موجودة عند غير الأئمة، وكل ماعثرنا عليه في هذا الصدد، أن أفراداً من أسلاف الإمامية رأوا بعض الصحف المذكورة عند الأئمة وقرأوا فيها، ومن بين مَنْ رأوها محمد بن مسلم تلميذ الباقر والصادق عليهما السلام[١]، كما أن الأئمة كانوا يقولون، أحياناً، أنهم استقوا الحديث الفلاني من كتب علي عليه السلام التي يتوارثونها صاغراً عن كابر[٢].

ويعتقد الإمامية إن إحاطة الأئمة بالعلوم الإلهية لم تكن مقتصرة على علي عليه السلام بل أن الأئمة المعصومين جميعهم يستوون في ذلك.

قال الطوسى: «واعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحاب نا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي ﷺ، وعن الأئمة عليهم السلام، الذين قولهم حجة كقول النبي ﷺ....)[٣]، ويظهر من الحديث السابق أن قول الأئمة حجة في أهم قضية عند المسلمين وهي تفسير القرآن، وأنه لايجوز تفسير القرآن إلا بالأثر الصحيح عن النبي ﷺ وعنهم عليهم السلام، روى الكليني أن أبا جعفر عليه السلام قال)) إن رسول الله ﷺ باب الله الذي لايؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلكه وصل الى الله عز وجل، وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام[٤]

للمناقشة والبحث كل حديث يريدون الإحتجاج به، خاصة تلك التي يبنون عليها حكماً شرعياً

(١) الكليني، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١١٢.

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ (القاهرة ، لا ٠ ت) ص ١١٤ .

(٣) التبيان، ج١، ص٤ .

(٤) إذا ذكر الإمامية وأسلافهم عبارة أمير المؤمنين مجردة انصرفت الى علي عليه السلام .

من بعده، وجرى للأئمة عليهم السلام، واحداً بعد واحد...امناء الله على ما أهبط من علم، أو عذر، أو نذر، والحجة البالغة على من في الارض...[١].

ويظهر من الحديث السابق أن الإمامية يعتقدون بأن كل ما أنزل الله من علم، أو عذر، أو نذر، يعرفه الأئمة عليهم السلام، روى الكليني ان الإمام الرضا عليه السلام قال: (إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه مالا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان)[٢]، قال الصادق: (وكان علي عليه السلام عالم هذه الأمة فأنه لم يهلك منا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم علمه وما شاء الله[٣].

وكان الأئمة يعدّون تعليم ما يحيطون به من العلوم الإلهية بمثابة تبليغ للرسالة التي عهد الله تبليغها للنبي محمد ﷺ، والنبي بدوره عهد إليهم، بكونهم مبلغين عنه، إتمام تلك الرسالة، قال الإمام الباقر لجابر بن يزيد: (ياجابر لو كنا نحدثكم برأينا وهو لنا لكنا من الهالكين ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم...)[٤].

روى المفيد أن جعفر بن محمد عليه السلام قال: (من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن والتفسير فدعوه...)[٥].

---

(١) الكافي، ج١، ص ١٩٨.

(٢) الكليني، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٢.

(٣) الكليني، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٤) المفيد، الاختصاص، ص ٦٦.

(٥) الأمالي، ص ١.

ويقوم نشاط الأئمة في حقل التعليم دليلاً على اهتمامهم في تعليم علوم آل البيت لشيعتهم، قال محمد بن مسلم: «سمعت من أبي جعفر عليه السلام ثلاثين ألف حديث، ثم لقيت جعفراً ابنه فسمعت منه ستة عشر ألف حديث أو قال مسألة...»[(١)]، وقال الشيخ المفيد في معرض كلامه عن الصادق عليه السلام: «كان أنبههم (إخوته) ذكراً[(٢)]، وأعظمهم قدراً، وأجلّهم في الخاصة والعامة، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل من أصحابه»[(٣)].

وقد حث الأئمة شيعتهم على تعلم وتعليم علوم آل البيت، فروى أحدهم أنه سمع [الإمام] الرضا عليه السلام يقول: (رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له كيف يحيي أمركم، قال: يتعلم علومنا ويعلّمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لتبعونا)[(٤)]، كما حثوا علماء شيعتهم على تعهد أتباع مذهبهم وتعليمهم لئلا يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، قال الإمام الصادق: (علماء شيعتنا مرابطون في

---

(١) الكشي، الرجال، ص١٥٠ .

[٢] صحح النص بمراجعة كتاب الارشاد: الشيخ المفيد، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، دار المفيد، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ح١١، ق٢،ص١٧٩ .

(٣) المفيد، الإرشاد، ص ٢٤٩.

(٤) القمي، معاني الأخبار (طهران، ١٣٧٦هـ) ص ١٨٠.

الثغر الذي يلي ابليس وعفاريته يمنعونهم من الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم...ألف ألف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم، وقال موسى بن جعفر: (فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف عابد...)[١].

وقد دأب علماء الإمامية وأسلافهم على رواية الحديث عن الأئمة وعن الشيعة، وبعد غيبة المهدي﵇ تولى شيوخ الشيعة الإمامية مهمة تعليم علوم آل البيت والعناية بنشرها.

وكان أهل السُّنة بما فيهم السلطان لا ينظرون بعين الرضا الى درس علوم آل البيت وتدريسها. قال الطبرسي: «نادى منادي معاوية أنْ قد برئت الذمة ممن يروي حديثاً من مناقب علي وفضل أهل بيته»[٢]، وذات مرة كان الحسين بن أحمد المعروف بابن القادسي يملي في جامع المنصور مدة فانتقل الى براثا فأملى فيه، وكانت الرافضة تجتمع هناك، فقال لهم: أن قد منعني النواصب أن أروي في جامع المنصور فضائل أهل البيت. روى ياقوت أن إبراهيم بن سعيد بن الطيب عاد الى واسط (فجلس صدراً يقريء الناس في الجامع، ونزل الزيدية من واسط، وهناك تكون الرافضة والعلويون فنسب الى مذهبهم، ومقت على ذلك وجفاه الناس...)[٣].

---

(١) الطبرسي، المصدر السابق، ص ٤- ٥.

(٢) الطبرسي، المصدر السابق، ص ١٥٩.

(٣) معجم الادباء، ج١، (القاهرة، ١٩٢٣م) ص ٦١، يبدو أن كلمة (الزيدية) الواردة في النص مصحفة من الزبيدية. قال المقدسي (احسن التقاسيم، ١٣٤) في معرض كلامه عن المسافات

ثانياً : العامل السياسي

ابتعد الأئمة بعد مقتل الحسين سنة (٦١هـ-٦٨٠م) عن السياسة، ماعدا فترة قصيرة اتصل بها الرضا بالمأمون حيث ولاه العهد، واستمر الأئمة على اعتزال السياسة حتى غيبة الإمام الثاني عشر في حدود (٢٦٠ هـ-٨٧٣م)، وانصرف اولئك الأئمة خلال الفترة المذكورة الى الوعظ والتدريس. روى سعيد بن المسيب «إن القراء كانوا لا يخرجون الى مكة حتى يخرج علي بن الحسين عليه السلام، فخرج وخرجنا معه ألف راكب»[١]، وعدّ الشافعي علي بن الحسين أفقه أهل المدينة[٢]، وذات مرة قال عطاء عن الإمام الباقر«ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنه عصفور مغلوب، ويعني بالحكم، الحكم بن عُيينه وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه»[٣]، وللشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رأي يؤيد فيه الأقوال السابقة عن علي بن الحسين، ويقول فيه: «انظر الى بني علي وعلى رأسهم الإمام زين العابدين عليه السلام فإنه بعد شهادة أبيه انقطع عن الدنيا وأهلها، وتخلص للعبادة وتربية الأخلاق، وتهذيب النفس...»[٤].

بين بغداد وواسط (ثم الى ترمانة مرحلة ، ثم الى واسط مرحلة ، ثم إذا شئت فخذ من الحدادية الى الزبيدية مرحلة ثم الى واسط بريدين ...). ويبدو من هذا أن المدينة الواقعة على مقربة من واسط هي الزبيدية لا الزيدية كما ضبطها مرغوليوف ناشر كتاب معجم الادباء لياقوت الذي ورد فيه النص.

(١) المجلسي ، محمد باقر، بحار الأنوار ، ج ١٢ (طهران ،١٣١٥هـ) ص٨٣ .

(٢) الجاحظ ،الرسائل – باعتناء السندويني– (القاهرة ، ١٩٣٣م) ص ١٠٦ .

(٣) ابن الجوزي، سبط ، تذكرة خواص الامه في معرفة الأئمة (إيران ، ١٢٨٧هـ) ص ١٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩٦- ٧ .

وبعد علي زين العابدين تولى الإمامة ابنه محمد الباقر، ومن بعده جعفر الصادق اللذان عزفا عن السياسة وانصرفا للتعليم، وبسطا قواعد المذهب الجعفري كما سنوضح ذلك في الفصول القادمة.

وحاول أئمة الشيعة الإمامية ان يهادنوا السلطان فأظهروا اعترافهم تقية، بسلطته الزمنية، قال الإمام موسى الكاظم: (إننا حين ندّعي ولاء جميع الخلائق لنا نعني ولاء الدين، وهؤلاء الجهال يظنون ولاء الملك)[١]، وروى الإمام نفسه حديثاً عن النبي ﷺ أشار فيه الى أن طاعة السلطان للتقية واجبة[٢].

ومن الجدير بالذكر أن مهادنة الأئمة للسطان لا تعني تخليهم عن اعتقادهم بأن الخلفاء الثلاثة الأُول من الراشدين، وبأن الامويين والعباسيين كانوا غاصبين لحقهم في حكم العالم الإسلامي.

وترتب على ذلك أن الأئمة المعصومين وقفوا موقفاً سياسياً معادياً للحكم القائم حينذاك، ولكنهم تعمدوا عدم الدعوة علناً للموقف المذكور، ولم يبيحوا لشيعتهم الخروج على السلطان بالسيف، وتركوا تلك المهمة للوقت المناسب، وهو ظهور الإمام القائم صاحب الزمان عليه السلام، قال الإمام عليّ بن الحسين: (والله لا يخرج واحد منا قبل خروج القائم عليه السلام إلا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوى جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به)[٣]، وقال أحدهم للإمام الصادق «قلت لك القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة، والدم، ولحم الخنزير،

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، فرج المهموم (النجف، ١٣٦٨هـ)، ص١٠٩.

(٢) القمي، محمد بن علي، عيون اخبار الرضا، ج١، ص١٤.

(٣) الكافي، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٦٤.

فقلت لي نعم هو كذلك، فقال أبو عبد الله ﷺ هو كذلك هو كذلك»[١] .

روى الطبرسي أن زيد بن علي بعث إلى محمد بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق فأتاه، فقال زيد لمؤمن الطاق «يا أبا جعفر ماتقول إن طرقك طارق منا أتخرج معه ؟ قال قلت له : إن كان أبوك أو أخوك خرجت معه، فقال لي فأنا أُريد أن أخرج واجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي، قال، قلت لا أفعل... قال فقال لي اترغب نفسك عني، قال، فقلت له: إنما هي نفس واحدة، فإن كان لله في الأرض حجة فالمتخلف عنك ناج والخارج معك هالك»[٢] .

وقد وقف الأئمة ﷺ موقفاً محايداً من النزاعات المسلحة التي حدثت بين خصوم الشيعة والعلويين من غير المعصومين كنزاع الامويين مع زيد بن علي، ونزاع بني العباس مع بني أمية عند قيام الدولة العباسية، وبعد أن دخلت جيوش العباسيين الكوفة أرسل أبو سلمة الخلال رسالة الى الإمام الصادق ﷺ يدعوه للحضور وتسلّم الحكم في الكوفة فامتنع الإمام عن الحضور قائلاً :(وما أنا وأبو سلمة ؟ وأبو سلمة شيعة لغيري)[٣]، وعندما حدثت وقعة الفخ بين العباسيين وجماعة من بني الحسن امتنع الإمام موسى الكاظم ﷺ عن الاشتراك في الحرب، وقال للحسين صاحب فخ « أُحب أن تجعلني في سعة وحل عن تخلفي عنك...»[٤]، ويقول الشهرستاني أن الإمام الصادق «دخل العراق وأقام بها مدة

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٢) الطبرسي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ - ٥ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ .

(٤) الاصفهاني ، ابو الفرج ، مقاتل الطالبيين (بيروت ، ١٩٦١م) ص ٣٢٤ .

ما تعرض للإمامة قط ولا نازع أحداً في الخلافة قط...»[١] .

ويظهر أن السلطات المتعاقبة لم تقتنع بما أبداه الأئمة المعصومون من رغبة وعزم في الامتناع عن الخروج على السلطان بالسيف، ودأبت على توجيه ضغط شديد على الأئمة وشيعتهم، في أكثر الأدوار التي يتناولها موضوع هذه الرسالة، استهدف الحد من انتشار حركة التشيع التي رأت فيها تلك السلطات خطراً على كيانها السياسي وربما عقيدتها الدينية كما حددتها ورسمت خطوطها العامة، ويقول فون كرونا باوم: في هذا الصدد «لقد وجدت الحكومة السنية نفسها مضطرة الى تحطيم الحركة الشيعية لا لأنها خطرة من الناحية السياسية فقط - ويظهر ذلك من كثرة عدد الخارجين على الخلافة من آل علي عليهم السلام بل لأن اعتقاد الشيعة بعصمة أئمتهم في الامور العقائدية والخلقية قد يؤدي، وقد أدى فعلاً في حالة بعض الغلاة من الشيعة، الى تحطيم جوهر الإسلام، وهو الاعتقاد بأن محمداً هو خاتم الأنبياء وأن رسالته هي الرسالة التي لا رسالة بعدها»[٢]، ومن أمثلة الاضطهاد الذي تعرض له الأئمة المعصومون وشيعتهم أن أبا جعفر المنصور عندما قدم للحج في سنة سبع وأربعين ومائة أحضر جعفر بن محمد، فلما دخل عليه جعفر قال: « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال لاسلَّم الله عليك ياعدو الله تلحد في سلطاني وتبغي الغوائل في ملكي قتلني الله إن لم أقتلك»[٣] وحدث أن قدم أحدهم وصية للخليفة المهدي جاء فيها «والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك، ويشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ﷺ وأن علي بن أبي طالب وصي

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣٤- ٥ .

(2) Grunebaum ، G.E. ، Von ، Medievial Islam ، Chicago ، 1956 ، P. 188.

(٣) التنوخي ، المحسن بن علي، الفرج بعد الشدة ، (القاهرة ، ١٩٥٥م) ص ٧٠ .

رسول الله ﷺ...»، فلما بلغ المهدي هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها[١]، وروى الطوسي أن الرشيد «قد كرب قبر الحسين عليه السلام.... وأمر أن تقطع السدرة التي فيه......»[٢]، وعندما بلغ المتوكل «....أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبرة الحسين عليه السلام فيصير الى قبره منهم خلق كثير، فأنفذ قائداً من قواده، فخرج القائد الى الطف وعمل بما أمر وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين، فثار أهل السواد واجتمعوا عليه، وقالوا لو قتلتنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته....»[٣].

و يقول المسعودي عند كلامه على خلافة المنتصر، « وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة وخوف على دمائهم قد منعوا زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين...»[٤].

وذات مرة وشا إبراهيم بن سعدان بأبي العيناء لدى المتوكل وقال له أنه رافضي فقال المتوكل لأبي العيناء، بلغني أنك رافضي، فنفى أبو العيناء تلك التهمة خوفاً من غضب السلطان[٥] .

روى ابن داود الحلي أن محمد بن عمر البزاز كان قد حبس بعد وفاة الرضا عليه السلام

---

(١) الطبري ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ٣٩٧ .

(٢) الأمالي ، ص ٢٠٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

(٤) مروج الذهب ، ج٤، ص٨٢ .

(٥) ياقوت ، معجم الادباء ، ج١ ، ص١٥٣ .

سنة (٢٠٣هـ-٨١٨م): «ونهب ماله وذهبت كتبه، وكان يحفظ أربعين جلداً فلذلك ارسل أحاديثه، وكان قد سُعي به أنه يعرف أسماء الشيعة ومواضعهم، فأمره السلطان بتسميتهم فأبى فضرب ضرباً عظيماً...وقيل أنه أدى مائة وعشرين ألف درهم حتى خلص وكان مولاً...»[(١)]، ولم ينفرد السلطان بمضايقة الشيعة، بل أن طائفة من علماء أهل السُّنة أسهمت في تأييد إجراءات السلطان في هذا الصدد والإسهام فيها، وقد صنف محمد الباقلاني- (ت٤٠٣هـ-١٠١٢م) - الذي كان شديداً على الإمامية إلى حد أن الشيخ المفيد لدى رؤيته يقول لأصحابه قد جاءكم الشيطان كنبا (في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة)[(٢)]، وذات مرة رغب السلطان أن يلعن المبتدعين فتطوع ابن فورك فأيّده في لعن المبتدعة. قال ابن الجوزي أنه في سنة ٤٦٠هـ طلب الناس أن يقرأ عليهم الاعتقاد القادري والقائمي «وفيه قال السلطان وعلى الرافضة لعنة الله وكلهم كفار، قال ومن لا يكفّرهم فهو كافر...ونهض ابن فورك قائماً فلعن المبتدعة».[(٣)]

وكان رد الفعل من جانب الأئمة والإمامية وأسلافهم معاً أن لجأوا الى التستر وعدم البوح في الغالب، بعلومهم أمام من يخالفهم في العقيدة، وأمام من له صلة بالسلطان، روى ابن أبي حازم أنه كان عند جعفر الصادق لما زاره سفيان الثوري في منزله فقال له جعفر : (يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان وتحضر عنده وأنا أتقي السلطان فاخرج عني غير مطرود)[(٤)] .

---

(١) الرجال ، ص ٢٨٨ .

(٢) اليافعي ، مرآة الجنان، (حيدر آباد الدكن ،١٣٣٨هـ)، ج٣، ص٧ .

(٣) المنتظم ، (حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٨هـ)، ج٨، ص ٢٤٩ .

(٤) الكليني ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٩٤ .

قال زرارة سألت الباقر عليه السلام عن مسألة فقال: إذا كان الغد فالقني حتى اقرئكه في كتاب (فأتيته من الغد بعد الظهر، وكانت ساعتي التي كنت أخلو به فيها بين الظهر والعصر، وكنت أكره أن أسأله إلا خالياً خشية أن يفتيني من أجل من يحضره بالتقية...)[١].

ورغبة في تجنب إثم العمل تحت راية سلطان غاصب من جهة، ومقاومة لذلك السلطان بصورة سلمية من جهة اخرى، نصح الأئمة شيعتهم بأن لا يلوا عملاً للسلطان ما وسعهم ذلك، وذات مرة قال أحد موالي الصادق، الذي كان من كُتّاب بني أمية، له « جعلت فداك إني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت في مطالبه ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : لو لا أنَّ بني امية وجدوا من يكتب لهم ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً إلا ما وقع في أيديهم، فقال الفتى جعلت فداك فهل لي من مخرج منه ؟ ... قال له: فاخرج من جميع ما اكتسبت في ديوانهم.... وأنا أضمن لك على الله الجنة، قال: فأطرق الفتى...ثم قال: قد فعلت...)[٢].

روى مؤلفٌ إماميٌّ مجهول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من لم يتورع في تعلمه ابتلاه الله في إحدى ثلاثة أشياء، أما أن.. أو يبتليه بخدمة سلطان...)[٣]، وروي أنَّ علياً عليه السلام قال: (من جلس على بساط السلطان فلابد أن يتكلم بهوى السلطان،

(١) أيضاً ، ج٥ ، ص١٠٦ .

(٢) الكليني ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٠٦ .

(٣) آداب المتعلمين (مخطوط) ورقة ٦ .

ولا بد لصاحب الهوى من النار)[١].

وسواء قال الرسول ﷺ، وعلي عليه السلام هذين الحديثين أم لم يقولاهما فإنهما يمثلان رأي من رواهما من الإمامية عن خدمة السلطان حينذاك.

ويبدو إن الخلفاء حينذاك لم يكونوا، من جانبهم يتسامحون مع من يلي لهم عملاً إذا عرف عنه التشيع والانقطاع لآل البيت، وكان علي بن يقطين من كبار موظفي البلاط العباسي في عهد المنصور والمهدي، وكان يحمل الأموال الى جعفر بن محمد والألطاف، وتمّ خبره الى المنصور والمهدي فصرف الله عنه كيدهما[٢].

ويبدو أن الخلفاء أيضاً لم يكونوا يعزفون عن توظيف الإمامي لأسباب مذهبية حسب، بل أن دراسته لعلوم آل البيت قد لا تؤهله لشغل وظائف الخلافة. قال الخوانساري: انه نقل النص التالي من كتاب منهاج الكرامة[٣] للعلامة الحلي (ت٧٢٦هـ) قال العلامة رحمه الله في منهاج الكرامة: «وما أظن أحداً وقف على هذه المذاهب فاختار غير مذهب الإمامية باطناً، وإنْ كان في الظاهر يصير الى غيره طلباً للدنيا، حيث وضعت لهم المدارس والربط والأوقاف حتى يستمر لبني العباس الدعوة، ويشيد للعامة اعتقاد مذاهبهم، وكثيراً ما رأينا من تزين في الباطن بمذهب الإمامية ويمنعه من إظهاره حب الدنيا وطلب الرياسة،

(١) الديلمي، محمد، إرشاد القلوب، (بيروت، ١٣٨١هـ)، ج ١، ص٢٠٣.

(٢) ابن النديم، لفهرست، ص٣١٤.

(٣) يقول محمد علي روضاتي ناشر كتاب الخوانساري المذكور انه وجد النص الذي نقلناه في المتن في نسخة خطية (ورقة ٢٢ آ) لمنهاج الكرامة للحلي، كما ان النص نفسه موجود في(٥٣) من منهاج الكرامة المطبوع بهامش كتاب الألفين للحلي، ونظراً لعدم وجود النسخة المطبوعة والمخطوطة لمنهاج الكرامة اعتمدنا على النقل غير المباشر من كتاب الخوانساري.

وقد رأيت بعض أئمة الحنابلة يقول.. إني على مذهب الإمامية... فقلت له لم تدرس على مذهب الحنابلة ؟ فقال : ليس في مذهبكم الصلات والمشاهرات...»[١].

ويقول الجاحظ : «وقد تجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين عاماً، وهو لا يعد فقيهاً، ولا يجعل قاضياً، فما هو إلا أن ينظر في كتب أبي حنيفة، وأشباه أبي حنيفة ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة أو سنتين حتى تمر ببابه فتظن أنه من بعض العمال، وبالحرا لا يمر عليه من الأيام إلا اليسير حتى يصير حاكماً على مصر من الأمصار أو بلد من البلدان»[٢].

ويبدو من نصَّي الحلي والجاحظ، رغم غموض ثانيهما، أن الخلفاء كانوا يعدّون دراسة فقه أهل السُّنة من الامور المؤهلة للعمل في دواوين الخلافة، ويترتب على ذلك أنَّ الإمامي الذي لا يدرس فقه أهل السُّنة لأسباب مذهبية في الغالب، لا يجد مجالاً واسعاً للعمل في الدواوين المذكورة.

وبالرغم من ذلك يجب ان تقبل مضامين الاخبار المتعلقة بحرية عمل الإمامية وأسلافهم في دواوين الخلافة بنطاق محدود، ويؤيد ما ذهبت إليه أن نفراً من الإمامية شغلوا مراكز تعليمية في دواوين الخلافة، ومن الأمثلة على ذلك أن أبا الاسود الدؤلي كان مؤدِباً لأولاد زياد بن أبيه[٣] . وان شريكاً يؤدب اولاد الخليفة المهدي[٤].

---

(١) الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات، (اصفهان ١٣٨٢)، ج ١، ص ٦ . (الهامش) .

(٢) الحيوان ، (القاهرة ، ١٩٣٨)، ج١، ص ٨٧ .

(٣) الخوانساري، المصدر السابق ى، ص ٥٠ .

(٤) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ٩٨ .

يضاف الى ذلك أن الأئمة لم يؤكدوا على كراهية العمل في دواوين الخلافة في جميع الحالات بل تركوا الطريق مفتوحاً لمن يجد عملاً في تلك الدواوين من الإمامية، وقال زياد بن أبي سلمة «دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقال لي يا زياد غنك لتعمل عمل السلطان ؟ قال، قلت أجل، قال لي ولم ؟ قلت: أنا رجل لي مروة وعلي عيال، وليس وراء ظهري شيء، فقال لي: يا زياد لئن أسقط من جالق[١] ... أحب إليَّ من أنْ أتولى لأحد منهم عملاً أو أطأ بساط أحدهم إلا لماذا ؟ قلت لا أدري... فقال إلا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فك أسره، أو قضاء دينه.... يا زياد فإن وليت شيئاً من أعمالهم فأحسن الى إخوانك فواحدة بواحدة...»[٢].

ونتيجة لتردد الإمامية في العمل بدواوين السلطات القائمة حينذاك، وكون تلك السلطات كانت لا تنظر بعين الرضا لانتشار علوم آل البيت، وصعوبة انخراط الطالب الإمامي في سلك المؤسسات التعليمية السنية لعزوف علماء السنة عن تعليم علوم آل البيت، عملوا على اتخاذ مؤسسات تعليمية، لا سيما تلك التي تهتم بتعليم العلوم، خاصة بهم، واتخذ التعليم عندهم صفة غير رسمية يقوم به المعلمون والمتعلمون في أماكن معينة، من بينها منازل العلماء، قربة الى الله، ومن نتائج العامل السياسي فضلاً عما سبق، إن التعليم عند الإمامية كان قائماً في الغالب على العلاقات الشخصية بين الطالب وشيخه.

(١) الجبل المرتفع .

(٢) الكليني المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١١٠ .

ثالثاً: وجود موارد مالية لدى الأئمة أو نوابهم.

كان الأئمة ونوابهم بعد غيبة المهدي عليه السلام يتسلّمون الحقوق الشرعية من الشيعة الإمامية وأسلافهم وينفقون منها على التعليم، وكان الخمس أهم تلك الحقوق. روى الشيخ الطوسي: إن رجلاً من تجار فارس كان من بعض موالي أبي الحسن الرضا عليه السلام كتب إليه يسأله الإذن في الخمس، فكتب اليه الإمام الرضا (بسم الله... ان الله واسع كريم... لم يحل مالٌ إلا من وجه أحلّه الله. إن الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا وعلى موالينا، وما نفك ونشتري من أعراضنا ممن نخاف سطوته[1] فلا تزووه عنا ولا تحرموا أنفسكم دعاءنا ما قدرتم عليه فإن إخراجه مفتاح رزقكم...)[2].

وكان الأئمة يستوفون من شيعتهم الزكاة بالإضافة الى الخمس. روى الطوسي ان أحدهم كان مع الإمام أبي جعفر الثاني في سنة (٢٢٦هـ-٨٤٠م)، فقال الإمام (ان موالي... وأحببت أن أُطهرهم وأُزكيهم في عامي هذا من الخمس.... ولم أُوجب ذلك عليهم في كل عام ولا أُوجب عليهم إلا الزكاة التي فرضها الله عليهم... فأما الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام....)[3].

ويظهر أن قضية ذات خطر أُثيرت أمام الأئمة، وهي هل أن الزكاة تعطى مرتين، مرة للإمام ومرة للسلطان، قال الطوسي أن أحدهم قال « سمعت أبا عبد

---

[١] الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، الاستبصار فيما اختلف من الاخبار، دار المرتضى، ط١، بيروت (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، مجلد باربعة أجزاء، ص٣٩٥.

(٢) الطوسي، الاستبصار، ج٢، ص٣٤.

(٣) أيضاً، ج ٢، ص١٦.

الله يقول إن أصحاب أبي أتوه فسألوه عما يأخذ السلطان فرقَّ لهم وأنه ليعلم أن الزكاة لا تحل إلا لأهلها فأمرهم أن يحتسبوا به، فجاز ذلك والله فقلت أي أبه إنهم إن سمعوا ذلك إذا لم يزك أحد، فقال أي بُنَي حق أحب الله أن يظهر». وأورد الطوسي أخباراً يظهر منها وجوب دفع الزكاة مرتين، وبعد ان ناقش الطوسي الاخبار السالفة خلص الى نتيجة وهي أنَّ الأفضل دفع الزكاة مرتين[١].

وكانت موارد الأئمة المالية لا تتكون من الخمس والزكاة والفوائد والغنائم وحسب، بل كان عدد من أسلاف الإمامية يوصون بأموالهم كلها او بجزء منها للإمام بعد وفاتهم، روى الطوسي ان محمد بن عبدوس قال: «أوصى رجل بتركته... لأبي محمد ﷺ...»، وقال أيضاً ان أحدهم أوصى بجميع تركته لأبي الحسن ﷺ، وقال أيضاً أن أحدهم أوصى بجزء من تركته لأبي الحسن ﷺ، فأرسلت غليه «فورد الجواب بقبضها والدعاء للميت »[٢].

وكان الأئمة يتسلمون وارد أوقاف الشيعة الإمامية، قال أحدهم « كنت عند ابي جعفر الثاني ﷺ إذ دخل عليه صالح بن محمد بن سهل وكان يتولى له الوقف بقم فقال يا سيدي إجعلني من عشرة آلاف درهم في حل فانني انفقتها فقال له انت في حل، فلما خرج صالح قال ابو جعفر ﷺ يثب على أموال آل محمد وأيتامهم ومساكينهم وفقرائهم وابناء سبيلهم...»[٣]، وكان للعلويين أوقاف بمناطق مختلفة، وعندما ولي المنتصر الخلافة بعد المتوكل (أطلق أوقاف آل أبي

(١) أيضاً ،ج٢ ،ص ١٦ .

(٢) الطوسي ، الاستبصار ، ج٣ ، ص٢٥٩ - ٦٠ .

(٣) أيضاً .ج٢ ، ص ٣٤ .

طالب)[١]، وكانت للعلويين أوقاف بمدينة قم، ويظهر انها كانت مهمة الى حد استوجب معه أن يُعيَّن لها وكيل خاص، وكان من وكلاء الوقف سنة (٣٧٨هـ-) احمد بن إسحاق الأشعري[٢].

ويبدو مما سبق أن موارد الأئمة المالية كانت كبيرة لان الحقوق الشرعية خاصة كانت بمثابة الضرائب الدائمة، ويؤيد ذلك ما قاله المنصور مرة للإمام الصادق عليه السلام (أنت الذي يجبى إليك الخراج)[٣]، وما قاله الرشيد للإمام موسى عليه السلام (من أنه يجبى إليه الخراج)[٤].

وكان الأئمة ينفقون بعض مواردهم المذكورة على التعليم. ومما يؤيد ذلك ان الكشي اورد ثلاثة حالات كان الإمام الصادق وصل فيها طلبة معوزين بمبالغ نقدية[٥]، وسنورد تفصيلات عن الحالات المذكورة عند كلامنا عن تمويل التعليم عند الإمامية في الفصل السادس من هذه الرسالة. يضاف إلى ما سبق أن ما ورد في رسالة الإمام الرضا السابقة الذكر والتي قال فيها (أن الخمس عوننا على ديننا.... وعلى موالينا)، يمكن صرفه الى أنَّ شطراً من الأموال التي بحوزة الإمام يصرف على المشتغلين بالتعليم والتعلم، وربما قصد الإمام هنا بالموالي المعوزين من الشيعة، سواء كانوا من الطلبة أو الشيوخ أو من غيرهم. وأميل الى أن كلمة

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٦٢.

(٢) القمي، حسن بن محمد، تاريخ قم - بالفارسية - (طهران ١٣٥٣هـ) ص ٢١١.

(٣) الحلي، الحسن بن يوسف، سعدية الحلي، ضمن مجموعه الرضاعيات والخراجيات، (طهران، ١٣١٥هـ) ص٣٤.

(٤) القمي، الصدوق، عيون أخبار الرضا، ص ٤٧.

(٥) الرجال، ص١٨٤، ٣١٥، ١٦٢.

(الدين) الواردة في النص تشمل فيما تشمل الإنفاق على المعوزين من الشيوخ والطلبة الذين يشتغلون بتدريس العلوم الدينية ودرسها.

يضاف الى ذلك ان وجود أوقاف عند أسلاف الإمامية في عصر الأئمة يبيح لنا أن نستنتج إن قسماً من وارد تلك الأوقاف يصرف على الطلبة والشيوخ لأن الأصل في الأوقاف أن تكون لأغراض دينية، ولا شك في أن درس العلوم الدينية وتدريسها - وهي أهم الموضوعات التي تدرس في تلك الفترة - يُعدان من بين تلك الأغراض، ومما يؤيد ذلك إن درس العلوم المذكورة وتدريسها يعدان من فروض الكفاية عند المسلمين بما فيهم الإمامية واسلافهم، ثم إن الأوقاف الإمامية التي حبست لأغراض تعليمية في العهد البويهي حين أصبحت الأحوال السياسية ملائمة لوجود تلك الأوقاف يمكن أن تعد تقليداً لسنة سابقة كان يعمل بها في عهد الأئمة عليهم السلام.

وكان معظم شيوخ الإمامية وطلبتهم، فضلاً عما سبق، تواقين للقاء أئمتهم واخذ معالم دينهم عنهم مباشرة، وكان كثير من هؤلاء يؤم المدينة حيث قضى معظم الأئمة أوقاتهم ويبقى بعضهم هناك سنوات عديدة فلا شك والحالة هذه إن جماعة منهم تحتاج الى نفقات فمن أين تأتي تلك النفقات إذا لم ينفقها الإمام من الحقوق الشرعية التي ترد من شيعته؟ وذات مرة قال أحد الوافدين على الإمام الباقر عليه السلام « ما لقينا أبا جعفر إلا وحمل إلينا النفقة والكسوة فقال هذه معدة لكم قبل أن تلقوني»[1]، وقد سبق أنْ بينا أنَّ الذين رووا عن الإمام الصادق كانوا أربعة آلاف رجل، واذا قدرنا أن حوالي النصف منهم كان يحتاج الى نفقات خلال مكثه

---

(١) ابن شهراشوب، المصدر السابق، ج٣، ٣٣٧.

في المدينة لغرض لقاء الإمام، رأينا كثرة المبالغ اللازمة لمعاونة اولئك الطلبة، ويبدو إن الصادق عليه السلام كان ينفق على المعوزين من هؤلاء الحقوق الشرعية، لأنه لم يعرف عنه أنه كان ذا أملاك خاصة واسعة يستطيع سد النفقات المذكورة منها كما أنه لم يتلق أموالاً بصورة منتظمة من بيت المال لاختلاف الخلفاء معه بالرأي من جهة، وخوفا من إزدياد نفوذه من جهة اخرى.

وبعد أن أستعرض العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الإمامية وأسلافهم أود أن أشير إلى أن الإمامية وأسلافهم، كما سنرى في الفصول القادمة، امتازوا بنشاط علمي وتعليمي كبيرين خلال الفترة التي تناولها بحثنا، فاستطاعوا خلال الفترة المذكورة أن يركزوا قواعد مذهبهم ويبسطوا غوامض مسائله، وربما كان من نتيجة العوامل المذكورة مجتمعة أنْ تبلور النشاط التعليمي عندهم، ونظرة في كتاب (الفهرست) للطوسي، وكتابَي (الرجال) للكشي والنجاشي، تساعد القارئ على الوقوف على طائفة من مؤلفاتهم في الفترة موضوع البحث، ومن الجدير بالذكر أن كتب الحديث الأربعة الإمامية التي سبقت الإشارة إليها أُلفت جميعها خلال الفترة المذكور، ونبغ بين الإمامية خلال الفترة ذاتها، فضلاً عن الأئمة عليهم السلام، معلمون ومفكرون كفاة أمثال الشيخ الصدوق القمي، والشيخ المفيد، والشريفين الرضي والمرتضى، وشيخ الطائفة الطوسي.

ولم يقتصر الإمامية على حقل الدراسات الدينية والمذهبية بل أنهم أسهموا بالرغم من صغر عددهم وقلة إمكاناتهم المادية(١)، إسهاماً كبيراً في بناء الثقافة

(١) لم ينفق على المؤسات التعليمية عند الشيعة الإمامية في الفترة التي تناولها البحث من بيت المال ، ماعدا الفترة البويهية ، وكانت نفقات التعليم عندهم تسدد من مصادر أهلية في الغالب من الحقوق الشرعية التي يدفعها الإمامية للائمة ولنوابهم من بعدهم، أو من الأوقاف الإمامية.

الإسلامية، فعلم النحو مثلاً ينسب تأسيسه كثير من الكتّاب الى الإمام علي والى تلميذه أبي الأسود الدؤلي. قال أبو حيان التوحيدي «أن علي بن أبي طالب عليه السلام سمع قارئا يقرأ على غير وجه الصواب فساءه ذلك فتقدم إلى أبي الأسود الدؤلي حتى وضع للناس أصلاً ومثالاً وقياساً بعد ان فتق له حاشيته ومهّد له مهاده وضرب له قواعده »[1] ويرى الديلمي ان أهل العلم كافة ينسبون غلى علي عليه السلام[2]، وبالرغم مما في الرأي المذكور من مبالغة فغنه لا يخلو من صحة، وقال السيد المرتضى: « أعلم إن اصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وخطبه فإنها تتضمن من ذلك مالا زيادة عليه، ولا غاية وراءه، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما أسهب المتكلمون من بعده في تصنيفه وجمعه، إنما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول. وروي عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك مالا يحاط به كثرة...»[3].

وقد يكون من المفيد أن نضرب أمثلة من المبرزين منهم في حقول المعرفة في الفترة التي تناولها بحثنا، «ففي الأدب: كثير عزة[4] (ت ١٠٥هـ)، الفرزدق (ت١١٠هـ)، الكميت بن زيد الأسدي (ت١٢٦هـ)، السيد الحميرى (ت ١٧٩هـ)، الحسن بن هاني (ت١٩٦هـ)، ابو تمام الطائي (ت ٢٣١هـ)، دعبل الخزاعي (ت٢٤٦هـ)، الصاحب بن عباد (ت٣٢٦هـ)، الناشئ الصغير (ت٣٦٦هـ)، أبو فراس الحمداني (ت٣٧٥هـ)، الحسين بن الحجاج (ت٣٩١هـ)،

(١) التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، ج١ (بغداد، ١٩٥٤م) ص ١٧٥.

(٢) الديلمي، المصدر السابق، ج٢، ص ٧ - ٨.

(٣) الأمالي، ج١ (القاهرة، ١٩٥٤م)، ص ١٤٨.

(٤) يرى بعض الكتاب أنه من الشيعة الكيسانية.

الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، ابن التعاويذي (ت٤٢٨هـ)، مهيار الديلمي (ت٤٢٨هـ)».

«وفي حقل الفلسفة: أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي[1] (ت٢٤٦هـ)، وأبو نصر محمد بن طرخان الفارابي (ت٣٣٩هـ)، والشيخ الرئيس إبن سينا (ت٤٢٨هـ)»[2].

أما في حقلي الحديث والفقه فسنورد اثناء البحث أسماء عدد كبير من العلماء الذين برزوا في الحقلين المذكورين.

ولعل الاطلاع على كتابَي (الذريعة الى تصانيف الشيعة)[3] للشيخ أغا بزرك الطهراني، و(تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام)[4] للسيد حسن الصدر يساعد القارئ على أخذ فكرة عن نشاط الإمامية الفكري خلال العصور المختلفة بما فيها العصر الذي تناوله بحثنا، وكان لابتعاد الإمامية وأسلافهم عن الاشتغال بالسياسة، كما أسلفنا، وعزوف الكثيرين منهم عن الاشتغال في دواوين الخلافة، وإبعاد الخلفاء لهم عن العمل في تلك الدواوين، واعتقادهم في أن التعليم والتعلم من أعمال

---

(١) اورد الشيخ عبد الواحد الانصاري في كتابه الموسوم بـ اثر الشيعة الجعفرية في تطوير الحركة الفكرية ببغداد ومنهم فيلسوف العرب الكندي المطبوع ببغداد سنة ١٩٦٢م، معلومات عن تشيع الكندي، ويظهر أن تشيع الكندي موضع نظر لذا لا نستطيع تأييد رأي الشيخ الأنصاري أو رفضه.

(٢) يقول السيد حسن الصدر تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، ص ٣٨٣ إن تشيع ابن سينا لا يعروه شك، وموقفنا من تشيع ابن سينا يشبه موقفنا من تشيع الكندي الذي أشرنا إليه قبل قليل.

(٣) طبعت أجزاؤه في أماكن مختلفة.

(٤) طبع ببغداد سنة ١٩٥١م.

العبادة، أثَّر في انصراف الغالبية العظمى من مفكريهم الى الإنتاج الفكري العام.

أما نشاطهم في حقل التعليم، وهو ما يهمنا في هذا البحث، فسيكون موضع بحثنا في الفصول القادمة.





الفصل الثاني

أمكنة التعليم عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة



أولاً : أمكنة التعليم الاولى :

يبدو أنه من الصعب أن نرسم خطاً فاصلاً بين مؤسسات التعليم الاولى عند الإمامية، وعند غيرهم من المسلمين، وبالرغم من أن الكتاب هو المؤسسة الرئيسية للتعليم الاولى، كما سنبين بعد قليل، وجد الإمامية أن كثيراً من الكتاتيب العامة، التي كانت على الأغلب سنية، لا تتوفر فيها جميع الصفات الضرورية لتربية صبيانهم، وربما تأثرت طائفة من معلمي الكتاتيب المذكورة، كما يظهر، بقرار الخليفة معاوية الرامي إلى تعليم الصبيان في الكتاتيب فضائله بعد أن تعلموا فضائل الخليفة عثمان (ر). ورد عن الطبرسي أن معاوية كتب إلى عماله قائلاً: «إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، فادعوا الناس الى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه، فإن ذلك أحب الينا وأقر لأعيننا، وأدحض لحجة أهل هذا البيت، وأشد عليهم، فقرأ كل أمير وقاضٍ كتابه على الناس، فأخذ الروايات في فضل معاوية على المنبر في كل كورة ومسجد زوراً، وألقوا ذلك الى معلمي الكتاتيب فعلّموا ذلك صبيانهم كما يعلمونهم القرآن »[1]، وروى أن طائفة اخرى من اولئك المعلمين كانت تمنع تعلم الأشعار التي عملها الروافض في مدح أهل البيت في الكتاتيب التي يعلمون فيها[2]، ونتيجة لذلك أصبحت تلك الطائفة من الكتاتيب لا تصلح لتعليم أولاد الإمامية لأن معلميها يعلّمون فضائل عثمان ومعاوية دون فضائل أهل البيت، وقد نصح الأئمة مواليهم بوجوب تجنب الأمكنة التي يهمل فيها ذكر أهل البيت. قال الإمام الصادق: (ثلاثة مجالس يمقتها الله ويرسل نقمته عليها... ولا تجالسوهم مجلساً... ومجلساً ذكر أعدائنا فيه جديد وذكرنا فيه رثّ،

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٢) الشيزرى، نهاية الرتبة في طلب الحسبة (القاهرة، ١٩٤٦م) ص ١٠٥.

ومجلساً فيه من يصد عنا وأنت تعلم) [١]، وقال جابر الأنصاري ينصح قومه (يا معاشر الأنصار أدّبوا أولادكم على حب عليّ فمن أبى فلينظر في شأن أمه) [٢]، ويظهر أن الإعراض عن ذكر فضائل الأئمة ما كان مقتصراً على العهد الأموي بل كان معمولا به في العهد العباسي أيضاً . روى الصدوق ان محمد بن أبي العوج الرازي قال سمعت أبي يقول « حدثني من سمع الرضا ﷺ يقول: (الحمد لله الذي حفظ منا ما ضيّع الناس ورفع منا ما وضعوه حتى لقد لُعنا على منابر الكفر ثمانين عاماً، وكتمت فضائلنا وبذلت الأموال في الكذب علينا، والله تعالى يأبى لنا إلا أن يعلى ذكرنا ويبين فضائلنا....)[٣].

المكتب أو الكتّاب مؤسسة للتعليم الاولي :

المكتب على قول الفيروز آبادي، موضع التعليم ويقول أن قول الجوهري[٤] الكتّاب والمكتب واحد غلط[٥]، أما ابن منظور فيقول المكتب موضع الكتاب، والمكتب والكتاب موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب والمكاتب، قال المبرد: المكتب موضع التعليم، والمكتب المعلم، والكتاب الصبيان، قال: ومن جعل

---

(١) الكليني، المصدر السابق، ص ٣٦٦.

(٢) الكشي، الرجال، ص ٤٥.

(٣) الكليني، المصدر السابق، ص ٣٦٦.

(٤) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق عبد الخالق السيد عبد الخالق، مكتبة الايمان، ط١، المنصورة، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، مج١، ص١٢٣.

(٥) القاموس المحيط، مادة (كتب) ١- ١٢١.

الموضع الكتاب فقد أخطا[١].

وقال البستاني: الكتّاب جمع الكاتب وموضع التعليم، والجمع كتاتيب والمكتب موضع التعليم وجمعها مكاتب[٢].

أما في الإصطلاح فالمكتب والكتاب يطلقان على الموضع الذي يتعلم فيه الصبيان. روى المفيد أن سن علي بن أبي طالب أربع عشرة سنة حين كان يختلف الى الكتاب في مكة[٣]، وعندما احتاجت أم سليم، إحدى صديقات أم سلمة زوجة الرسول ﷺ، الى من يعاونها على نفش الصوف أرسلت (الى معلم الكتاب إبعث إليَّ غلماناً ينفشون صوفاً ولا تبعث إليَّ حراً)[٤]. روى ابن عبد ربه أن عبد الله بن صفوان لام عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على حضور المقاصف فقال له عبد الله: « وأنت أبا صفوان، صرت حجة لصبياننا إذا لمناهم في ترك المكتب »[٥]، وبعد أن أطلق عبيد الله بن زياد عمير بن عامر الهمداني الشيعي من السجن قال عمير: « إني لا أعود لتعليم الصبيان ولا أجلس في مكتب »[٦].

وقال أحدهم: « ذهب بي أبي الى مجلسه من المكتب وأنا صغير »[٧]، واستعمل

(١) لسان العرب، مادة كتب، ١٠ — ٦٩٩.

(٢) محيط المحيط، مادة (كتب) ٢ — ١٧٩.

(٣) المفيد، الفصول، (النجف، لا. ت)، ج٢، ص ٦٦.

(٤) البخاري، الصحيح، (القاهرة، ١٩٣٢م)، ج٤، ص ١٣١.

(٥) العقد الفريد، (القاهرة، ١٩١٣م)، ج٢، ص ١٥٢.

(٦) الامام، محمد عبد الله، قرة العين في أخذ ثار الحسين (بغداد، ١٩٥٧م) ص ٤٠.

(٧) السهمي، حمزة بن يوسف، تاريخ جرجان (حيدر آباد، ١٩٥٠م) ص ١٩٥.

أبو نواس كلمة « مكتب » بمثابة محل لتعليم الصبيان ثم بيّن أن صبياً كان في ذلك المكتب يكتب في اللوح فيخط أبا جاد ويمحوه بفاه[١].

ويبدو مما سبق أن اللغويين اتفقوا على أن المكتب من مواضع التعليم ولكنهم اختلفوا بشأن الكتاب فجعله بعضهم من مواضع التعليم وعدّه مرادفاً للمكتب، بينما البعض الآخر عبر بالكتاب عن الصبية المتعلمين في المكتب وعدَّ استعمال الكتاب بمثابة موضع للتعليم خطأ.

على أننا لو رجعنا الى الإستعمال الإصطلاحي لكلمتي مكتب وكتاب لوجدنا ان كلتيهما مستعملتان بمثابة موضع للتعليم الأولى، ويطلق كولد زيهر العبارة الانكليزية (Elementary School) على الكتاب أو المكتب ويعدّهما مؤسسة واحدة أُعدت للتعليم الاولى[٢]، ويؤيد طيباوي كولد زيهر في أن الكتاب والمكتب مؤسسة واحدة هدفها تربية الصبيان في مرحلة التعليم الاولى[٣].

وبعد أن يترك الصبية المكتب ينصرفون الى تعلم العلوم. قال ياقوت أن عبد الغفار الفارسي قال : ورد علي بن فضال نيسابور « واختلفت إليه فوجدته بحراً في علمه.... فأعرضت عن كل شيء وفارقت المكتب ولزمت بابه بكرة وعشية)[٤]، ويظهر أن الحاجة الى مؤسسات للتعليم الأولى قد ظهرت بصورة مبكرة في العالم

---

(١) الديوان (القاهرة، ١٣٢٢هـ) ص ٤٠١.

(2) Goldziher، (Education)، E.R.E.، V. P. 198.

(3) Tibawi، A.L، (Muslim Education In The Golden Age of the Caliphate)، Islamic Culture، VoI.28 1954

(٤) معجم الادباء، ٥ – ٢٩١.

الإسلامي، وذلك لأن متطلبات الدعوة الجديدة كانت تستلزم نشر التعليم بما فيه التعليم الاولي، ثم أن الرسول ﷺ شجع المسلمين على التعلم والتعليم، قال معاذ (سمعت رسول صلى الله عليه وآله يقول : (ما من رجل علّم ولده القرآن إلا توج الله به يوم القيامة تاج الملك وكسى حلتين لم ير الناس مثلهما)[١]، وظهر اهتمام الرسول ﷺ بالتعليم في عهد مبكر فأرسل مصعب بن عمير مع من بايعه بالعقبة الاولى وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام.... فكان يسمى المقرئ بالمدينة)[٢].

ولمعرفة أوجه الشبه والإختلاف بين الكتاب والمكتب، أقول لقد ظهر من الأمثلة التي أوردتها عند البحث عن معنى الكتاب والمكتب قبل قليل، أن الكتاب والمكتب مؤسسة واحدة خاصة بالتعليم الاولي يضاف الى ذلك أن اقتران كليهما، كما يظهر من الأمثلة التالية، بتعليم الصبيان يقوم دليلاً على تشابههما في الوظيفة. روي أن طفلاً لابن العميد قال شعراً في أبيه وهو في مكتبه[٣]. قال محمد بن عبد الله السلامي-(ت٣٩٤هـ)- «الشعر وهو ابن عشر سنين فمن ما قاله في المكتب قوله...»[٤]، إن الأمثلة السابقة تبين اقتران المكتب بتعليم الصبيان، وإليك أمثلة تبين استعمال الكتاب للغرض نفسه، حدث مرة أن جابر الأنصاري وجد الطفل نجل الإمام زين العابدين يتعلم في كتاب يقع في بعض طرق المدينة [٥]، وكان

---

(١) الطبري التفسير، (القاهرة، ١٣٧٤هـ)، ج ١، ص ١٢١.

(٢) ابن هشام السرة، (القاهرة، ١٩٣٦م)، ج٢، ص ٧٦.

(٣) الثعالبي، عبد الملك، يتيمة الدهر، (دمشق، ١٢٨٥هـ)، ج٣، ص ٢٧.

(٤) أيضاً، ج٢، ص ١٥٧ ، ٨.

(٥) المفيد، الاختصاص، ص ٦٢.

لعبد الله بن عباس طفل يختلف الى الكتاب وله عشر سنين[(١)]، وعندما مر أحد الشيعة بعلي بن الإمام محمد الجواد وجده في كتابه وعمره سبع سنين أو أقل[(٢)]، وكتب بديع الزمان الهمداني الى أحد أصدقائه هازلاً « فأما ابن العميد فأحسن العبيد ببابك، والمهلبي صحبي كتابك...»[(٣)]، وقال الحسن بن أحمد بن الحجاج لرئيس اختلف ابنه الى الكتاب :

أقعدت في الكتاب من لم يكن   يضــــره إنــك لا تقعـــــده[(٤)]

روى التنوخي عن رجل كان في بداية حياته مملوكاً أنه قال: « كنتُ سبيت في وقت كذا... وكان سني إذ ذاك عشر سنين أو نحوها فحمُلت الى قزوين فاتفق أن هذا الشيخ كان بها فاشتراني وحملني إلى قم وأسلمني مع ابنه في كتاب وأجراني مجراه في حسن التربية....) [(٥)].

ونستنتج من كل ما سبق أن الكتاب والمكتب لفظان للدلالة على مؤسسة واحدة خاصة بالتعليم الاولي، ومما يؤكد كون الكتاب أو المكتب مؤسسة للتعليم الأولي فضلاً عما سبق، هو أن مواد منهج الكتاب والمكتب كما سنرى عند بحثنا للمناهج في الفصل الخامس من هذه الرسالة، تتكون من تعلم الخط والقرآن الكريم، ومبادئ الحساب والرسائل وغير ذلك من المواد التي تدرس في مرحلة

---

(١) ابن طاووس،، علي بن موسى، فرج المهموم، ص ١١٠.

(٢) المسعودي، الوصية، ص١٩-٢٠.

(٣) الرسائل (القسطنطينية، ١٢٩٨هـ) ص ٢٢٣.

(٤) الثعالبي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٥.

(٥) التنوخي، المحسن، جامع التواريخ، (دمشق، ١٩٣٠م)، ج٨، ص ١٥٤.

التعليم الاولي عادة.

وقد وردت إشارة الى أن المساجد قد تتخذ بمثابة أمكنة لتعليم الصبيان، وذات مرة رأي خلف الأحمر، الكميت بن زيد يعلّم الصبيان في مسجد الكوفة[١]، وبالرغم من الإشارة المذكورة وغيرها يبدو أن المسجد لم يتخذ بمثابة موضع اعتيادي لتعليم الصبيان، وقد نهى الإمام الصادق عليه السلام من اتخاذ المسجد للغرض المذكور، قال الصادق: (جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم)، وقال الشيخ الصدوق القمي: « ينبغي أن تجنب المساجد إنشاد الشعر فيها، وجلوس المعلم للتأديب فيها...»[٢]، ويظهر أن منع تعليم الصبيان في المسجد كان موضع رعاية من الإمامية، وذلك أن محمداً نجل الإمام زين العابدين تعلم في كتاب يقع في بعض طرق المدينة [٣].

يضاف الى ذلك أن الأصل في المسجد أن يكون محلاً للصلاة فمن المستبعد أن يتساهل القائمون عليه في قبول جماعة من الصبيان تكون أصواتهم مصدر إزعاج وقلق للمصلين.

وبعدما أسلفت عن أمكنة التعليم الأولي أقول أنه لا يمكننا أن نجزم بوجود كتاتيب خاصة بالشيعة متميزة عن تلك التي تخص السنة، ومن الأدلة على التقارب الموجود بين نظامي التعليم الأولي عند الشيعة والسنة أن الاختلاف بين

---

(١) الاصفهاني، ابو الفرج، الاغاني، (بيروت، ١٩٥٦م)، ج١٥، ص ٢٦٠.

(٢) القمي، من لا يحضره الفقيه،ج١، ص ١٥٤.

(٣) الكليني، المصدر ذاته، ص١٩١.

مواد مناهج الكتاتيب الشيعية[١] والسنة[٢] لم يكن أساسياً كما هي الحال في تعليم العلوم، ويبدو أن الفارق الرئيس بين نظامي التعليم الاولي عند الطائفتين يظهر في القضايا ذات الصلة بالعقائد كالإهتمام بذكر فضائل أئمة الشيعة في الكتاتيب الشيعية، بينما تغفل تلك الفضائل، ويؤكد على فضائل من يكن لهم السنة مزيد الاحترام، أمثال الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة في كتاتيب السنة، أما القضايا ذات الصبغة الفنية، وتلك التي لها علاقة بالمعلومات التي يتعلمها الطفل لكي تساعده على إكمال المرحلة الأولية للتعليم، فالفروق فيها قليلة عند الطائفتين، ومما يعزز الاستنتاج المذكور أن المسلمين على اختلاف طوائفهم لا يختلفون في نظرتهم المنطوية على التبجيل للقرآن الكريم، وخاصة فيما يتعلق بتعلمه وحفظه، كلياً أو جزئياً بصورة تلقينية، وهو ما يطلب من الصبيان أن يقوموا به في مرحلة التعليم الأولي، أما الإختلاف في تفسير الكتاب الكريم فيترك في الغالب لمرحلة تعليم العلوم، ثم أن اللغة العربية وما يتصل بها من خط ونحو، فإنها بحكم كونها لغة الدين الحنيف، وبحكم كونها أهم لغة للثقافة الإسلامية نظراً لاحتلال العلوم الدينية مركز الصدارة في مناهج التربية في الفترة موضوع البحث، كانت أهم لغة، وربما أول لغة يتعلمها الصبي المسلم حينذاك بغض النظر عن الطائفة التي ينتمي اليها.

وبالرغم من كل ما سبق يبدو أن الإمامية لكي يتجنبوا إثم سماع صبيانهم فضائل عثمان وبني امية وغيرهم ممن يكونون موضع احترام عند أهل السنة، دون فضائل أهل البيت الذين فرض الله طاعتهم، كما يعتقد الإمامية، ورغبة في

---

(١) ابن طاووس، كشف الحجة لثمرة المهجة (النجف، ١٩٥٠م) ص ١٢٦.

(٢) الشيزري، المصدر السابق، ص ١٠٥.

تهيئة تربية صالحة لأولادهم يتحقق فيها الغرضان التعليمي والتربوي، إبتعدوا ما وسعهم ذلك عن الكتاتيب السنية التي يتعصب معلموها لمذاهبهم، ويظهر أنهم سلكوا لتحقيق الغاية المذكورة طرقاً عدة أهمها:

أولاً : لجأ كثير من خاصتهم إلى تعليم أولادهم على يد مؤدبين خاصين، فالإمام الصادق أوكل تعليم أولاده لمؤدب(١)، وكان أبو داود سهل بن محمد الشاعر(مؤدب سيف الدولة بن حمدان)(٢).

وكان محمد بن الحسين الذي عرف فيما بعد بالشريف الرضي قد أحضر (الى ابن السيرافي النحوي، وهو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين فلقّنه النحو وقعد يوماً معه في الحلقة فذاكره بشئ من الإعراب على عادة التعليم...)(٣).

ثانياً : يبدو أن هناك كتاتيب لا يتعصب معلموها لمذهب معين، ولعل وجود أحد أبناء الأئمة المعصومين بين طلابها يقوم دليلاً على ذلك لأنه من المستبعد أن يرتاد ابن الإمام كتاباً يتعرض معلمه الى النيل من إمامة آبائه، ولاشك أن الكتاتيب التي لا يتعصب معلموها لمذهب معين تصلح لتعليم صبيان الشيعة، ومن أمثلة الكتاتيب المذكورة ما رواه الكليني أن جابر الأنصاري زار محمد بن الإمام زين العابدين فوجده يتعلم بكتاب في المدينة(٤)، وعندما مرّ أحد الشيعة في إحدى المناطق وجد علياً ابن الإمام محمد الجواد (في كتابه وعمره سبع سنين أو

(١) البهائي، محمد بن الحسين، الفصول (النجف، ١٣٧٨هـ) ص ٤٤١.

(٢) الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات (طهران، ١٣٦٧هـ) ص ٣٢٥.

(٣) البحراني، يوسف، الكشكول (النجف، ١٩٦١م)، ج١، ص ٣١٤.

(٤) المصدر السابق، ص ١٩١.

أقل)[١].

ثالثاً: وردت إشارات الى كتاتيب كان معلموها من الشيعة، وكان من بين أولئك المعلمين عمير بن عامر الهمداني الذي كان معلم كتاب في الكوفة[٢]، وكان الكميت بن زيد الشاعر الشيعي المعروف يمتهن تعليم الصبيان في الكوفة[٣] .

أما الإمامية وأسلافهم الذين لم يستطيعوا، لعوامل خاصة أو عامة، أن يوفروا لصبيانهم الجو التربوي الأمثل، فيبدو أنهم خضعوا للأمر الواقع وأرسلوا أولادهم للكتاتيب السُّنية متذرعين بمبدأ التقية.

(١) المسعودي، الوصية، ص ١٩ – ٢٠.

(٢) الإمام، محمد عبد الله، المصدر ذاته، ص ٤٠ .

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج١٥، ص ٢٦٠.

ثانياً : أمكنة تعليم العلوم[١]

المسجـد :

توطـئة :

المسجد في اللغة هو البيت الذي يسجد فيه، قال الزجّاج : كل موضع نتعبد فيه فهو مسجد[٢]، ولم تقتصر وظيفة المسجد على العبادة بل كان من وظائفه التعليم أيضاً، وذلك إنه اتُّخذ بمثابة موضع لتعليم العلوم، وكان الرسول ﷺ يعلّم أصحابه في المسجد، وذات مرة قال أُبي بن كعب: « رحتُ الى المسجد فسمعتُ رجلاً يقرأ، فقلت من أقراك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم »[٣]، وقال صفوان بن عسال: « أتيتُ النبي ﷺ وهو في المسجد.... فقلتُ يا رسول الله إني جئت أطلب العلم فقال مرحباً بطالب العلم »[٤].

ويقول طيباوي:«إن المسجد كان مؤسسة (من بين أغراضها درس العلوم الدينية وتدريسها، وكان المسجد يُتخذ، أحياناً، بمثابة موضع للدراسات العالية في اللغة والمواضيع الثقافية العامة»[٥].

ومن الجدير بالذكر أننا أطلقنا في هذه الرسالة عبارة (العلوم) على المواضيع التي عددها طيباوي في نصه السابق.

---

(١) يقصد بالعلوم هنا العلوم الدينية واللغوية والمواضيع الثقافية العامة.

(٢) تاج العروس مادة (سجد) ٢-٣٧١.

(٣) الطبري، التفسير، ج١، ص ٣٢.

(٤) الشهيد الثاني، منية المريد، ص ١٠.

(5) Tibawi، Op. Cit، Vol، 28، p. 426

واتخذ الشيعة الإمامية وأسلافهم من قَبْلُ المسجد بمثابة موضع لتعليم العلوم، وكان علي بن الحسين ﷺ (يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا، ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله ﷺ وحفظ عنه وكتب[1]). قال ثوير بن فاختة :«سمعت على بن الحسين ﷺ يحدِّث في مسجد رسول الله ﷺ »[2]، وكان الإمام محمد الباقر (ت ١١٤هـ أو ١١٩ هـ) من بين الأئمة الذين علَّموا في المسجد. روى المجلسي أنَّ الإمام الباقر: «كان جالساً في المسجد النبوي فجلس إليه أبو حنيفة ليسأله عن مسائل»[3]، وكان الإمام الصادق (ت ١٤٨هـ) من بين الأئمة الذين علَّموا بالمسجد، روى المفيد: « إن ابن أبي العوجاء وابن طالوت... في نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام وأبو عبد الله جعفر بن محمد ﷺ فيه إذ ذاك يفتي الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عن المسائل بالحجج والبينات...»[4]، وذات مرة شوهد الإمام الصادق في مسجد الكوفة بين خلق كثير من الشيعة يعظهم[5].

دأب الأئمة وعلماء شيعتهم على تعليم الشيعة في المساجد، ومن شيوخ الشيعة الذين تولوا التعليم في المسجد أبان بن تغلب الجريري، قال الباقر ﷺ: لأبان (أجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس فإني أحب أن يُرى في شيعتي

---

(١) الكليني، الروضة (مخطوط) من خزانة كاظم آل نوح في الكاظمية، ورقة ٢٨٠.

(٢) الكليني، الكافي، ج٨، ص ١٠٤.

(٣) بحار الانوار، ج١١، ص ١٠٢.

(٤) الارشاد، ص ٢٦٣.

(٥) الكشي، المصدر السابق، ص ٢٨٠.

مثلك)[١]، وكان عبد الله العبدي قارئاً يقرئ في مسجد الكوفة، له كتاب يرويه عدة من أصحابنا [٢]. روى الصدوق أن علي بن العباس قال: « حدَّثنا القاسم بن الربيع الصحاف عن محمد بن سنان وحدَّثنا علي بن أحمد بن عبد الله البرقي وعلي بن عيسى المجاور في مسجد الكوفة...»[٣]، روى أحدهم قال: « حدَّثنا أبو محمد بن أبي محمد عبد الغني بن سعيد... إملاء من حفظه في المسجد الحرام في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثمائة....»[٤]، وذات مرة قال الفضل بن شاذان: « كنت في قطيعة الربيع في مسجد الربيع أقرأ على مقرئ »[٥]، روى علي بن الحسين بن الحجاج عن التلعكبري وقال: « سمعتُ منه بالكوفة في الجامع سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة...»[٦]، قال الطوسي: « حدثنا أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس الحافظ إملاء في مسجد الرصافة جانب الشرقي ببغداد في ذي القعدة سنة إحدى عشر وأربعمائة»[٧].

وقد اختص فريق من شيوخ الشيعة بمساجد يدرّسون فيهم طلبتهم. روى النجاشي أن جعفر بن بشير الوشاء كان من زهاد الشيعة وعبادهم، وله مسجد بالكوفة باق في بجيلة إلى اليوم... ومات جعفر(ر).... سنة ثماني ومائتين... روى

(١) النجاشي، المصدر السابق، ص ٨.

(٢) النجاشي، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٣) عيون الاخبار، ج٢، ص ٨٨.

(٤) الطوسي، الأمالي، ص ١٩٦.

(٥) الحلي، الرجال، ص٢٠.

(٦) الطوسي، الرجال، ص٤٨٣.

(٧) الأمالي، ص ١٩٢.

عن الثقات ورووا عنه....»[١]، قال الطوسي: «أخبرنا أحمد بن محمد بن هارون بن الصلت الأهوازي سماعاً منه في مسجده بشارع دار الرقيق ببغداد في سلخ ربيع الأول من سنة تسع وأربعمائة...»[٢]، قال المفيد (ت ٤١٣هـ) «سألني أبو الحسن علي بن نصر الشاهد بعكبرا في مسجده وأنا متوجه الى سر من رأي ...»[٣].

ويبدو أن اختصاص طائفة من شيوخ الإمامية بمساجد معينة يدرّسون فيها علومهم يعود الى رغبتهم في الإبتعاد عن المساجد العامة التي لم تتوفرلهم الحرية الكاملة في كثيرمنها.

وبعدما أسلفت عن التعليم في المساجد عند الإمامية أقول - إن المساجد العامه في الفترة موضوع البحث، لم تتخذ بمثابة مكان رئيسي للتعليم عندهم، ويعود ذلك الى عدم توفر الحرية التامة للإمامية، في معظم فترات تاريخهم، لأن يعلّموا علوم آل البيت في المساجد العامة خاصة تلك التي تشتد عليها الرقابة من أهل السنة[٤]، ومن الأدلة على فقدان حرية التعليم للإمامية ولأسلافهم من الشيعة، إن طائفة من شيوخهم إذا تيسر لهم التعليم بالمساجد العامة كانوا يلجأون أحياناً، خوفا من السلطان ومن علماء أهل السنة، الى التورية واستعمال الكنى لإخفاء أسماء الأئمة المعصومين الذين يروون عنهم، والذين يعدّون حديثهم أوثق أنواع الأحاديث لأنها، كما يعتقدون، بمثابة الأحاديث الصادرة عن النبي

(١) الرجال، ص ٩٢.

(٢) الأمالي، ص ٢١١.

(٣) الفصول، ج٢، ص ١٢٤.

(٤) الخطيب، البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص ٣٠.

ﷺ كما سبق أنْ بينّا في الفصل الأول من هذه الرسالة، وإليك رواية الكشي التالية التي تؤيد ما ذهبت إليه. قال نصر بن الصباح بن إبراهيم : يروى عن أبي الحسن موسى وعن الرضا وعن أبي جعفر محمد بن علي عليهم السلام .... وقد كان يذكر في الأحاديث التي يرويها عن أبي عبد الله عليه السلام في مسجد الكوفة، وكان يجلس فيه ويقول: أخبرني أبو إسحاق كذا - يعني بأبي إسحاق أبا عبد الله عليه السلام كما كان غيره يقول : حدثني الصادق وسمعت الصادق، وحدثني العالم وسمعت العالم عليه السلام، وقال العالم، وحدثني الشيخ وقال الشيخ، وحدثني أبو عبد الله وقال أبو عبد الله[1]، وحدثني جعفر بن محمد وقال جعفر بن محمد[2]، وكان في مسجد الكوفة خلق كثير من أهل الكوفة من أصحابنا فكل واحد منهم يكني عن أبي عبد الله عليه السلام بإسم فبعضهم يسميه باسمه ويكنيه بكنيته عليه السلام[3].

وقد يلجأ شيوخ الشيعة إذا ما ارادوا الرواية عن الأئمة الى مزج أحاديثهم بأحاديث غيرهم رغبة في تجنب التصريح بالأحاديث المذكورة، وقد أيّد الإمام الصادق عليه السلام الإجراء المذكور كما يظهر من الرواية التالية. روى الكشي أن الإمام الصادق قال لمعاذ بن مسلم الفرّاء النحوي : (بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس، قال : قلت نعم... كنت أقعد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء فإذا علمته بالخلاف لكم أخبرته بما يقولون، ويجيء الرجل أعرفه بحبكم ومودتكم

(١) لا يذكر الشيعة إسم الإمام أو كنيته دون أن يصحبوا ذلك بعبارة (عليه السلام) أو غير ذلك مما يدل على التقديس، وتركت هنا لغرض إخفاء إسم المقصود.

(٢) لا يذكر الشيعة إسم الإمام أو كنيته دون أن يصحبوا ذلك بعبارة (عليه السلام) أو غير ذلك مما يدل على التقديس، وتركت هنا لغرض إخفاء إسم المقصود.

(٣) الكشي، الرجال، ص ٣٧٨- ٩.

فأخبره بما جاء عنكم ويجيء الرجل لا أعرفه فأقول جاء عن فلان كذا، فأدخل قولكم فيما بين ذلك قال : فقال لي : إصنع كذا....)[١] ولا شك أنَّ تأييد الصادق عليه السلام لعمل الفرّاء يجعله سُنّة يحسن اتباعها من غير الفرّاء من الإمامية وأسلافهم من الشيعة.

المسجد وحلقات الدرس :

كانت الحلقات تعقد للدرس والمناظرة والوعظ، وكان الشيعة يعقدون الحلقات في المساجد لتحقيق الأغراض المذكورة. قال النبي ﷺ: (بادروا إلى رياض الجنة، قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر)[٢]، وقد أورد الكاشاني الحديث المذكور بصورة أكثر تفصيلاً، قال النبي ﷺ: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، فقالوا يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال: حلق الذكر، فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفّوا بهم قال بعض العلماء حلق الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف يشتري ويبيع، ويصلي ويصوم، وينكح، ويطلق، وأشباه ذلك) [٣].

ويظهر أن المسلمين الأوائل كانوا يجتمعون حول الرسول ﷺ على شكل حلقة في المسجد فيعلّمهم القرآن ويفقههم في الدين، وذات مرة جاء ثلاثة نفر إلى المسجد فوقفوا على رسول الله (فأما أحدهم فرأي فرجة في الحلقة فجلس

---

(١) الكشي، الرجال، ص ١٦٤.

(٢) القمي، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص ٢٦٩.

(٣) الكاشاني، محسن الفيض، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، (طهران، ١٣٣٩هـ)، ج١، ص ٢٣.

فيها)[١].

ومن الأمثلة على اتباع الإمامية وأسلافهم من قبل لنظام الحلق في التدريس ما رواه النجاشي عن أبان بن تغلب الجريري الذي كان قارياً من وجوه القراء، فقيهاً، لغوياً، سمع من العرب وحكى عنهم.... وكان أبان إذا قدم المدينة تقوضت إليه الحلق...[٢]، وذات مرة قال أبو الفيض للصادق: «كنت أجلس في حلق شيعتكم بالكوفة»[٣].

وكان نظام التدريس في الحلق تقليداً إسلامياً عاماً فكان معروفاً، فضلاً عن الإمامية وأسلافهم، عند أهل السنة وعند الشيعة الإسماعيلية. روى الربيع (أنَّ البويطي وابن عبد الحكم تنازعا الحلقة في مرض الشافعي، فأخبر بذلك فقال الحلقة للبويطي)[٤]، وكان لعبد الغفار الحصيني حلقة يعقدها بجامع واسط[٥].

وكان الاسماعيلية يتبعون طريقة الحلق في التدريس بمساجدهم. روى المقريزي إن أول مسجد أُسس بالقاهرة كان في سنة ٣٥٩هـ في عهد المعز لدين الله، وفي سنة ٣٧٨هـ سأل العزيز بالله الوزير ابن كلس في صلة رزق جماعة الفقهاء، فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم، وأمر لهم بشراء دار وبنائها (فبنيت بجانب الجامع فإذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلقوا فيه بعد الصلاة

(١) البخاري، الصحيح، باب فضل العلم.

(٢) الرجال، ص ٨ - ٩.

(٣) الكشي، الرجال، ص ٩٠.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٧٥.

(٥) ياقوت، معجم الادباء، ج١، ص ١٥٥.

الى أن تصلى العصر)[١] .

ومن الجدير بالذكر إنَّ الشيعة الإمامية إنْ فقدوا الحرية الكاملة في تعليم علومهم بالمساجد التي للسلطان أو لعلماء أهل السنة لوجود نوع من الرقابة عليها، فأنهم تمتعوا بحرية نسبية في تعليم علومهم بمساجد عُرفت بالعتبات الشريفة كانت خاصة بهم لأن فيها مراقد أئمتهم، وأخذت أهمية المساجد المذكورة تزداد شيئاً فشيئاً خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة، وأهم تلك المساجد مرقد الإمام علي بن أبي طالب في النجف، ومرقد الإمام الكاظم ويسمى حينذاك بالمشهد- ببغداد - ومرقد أُخت الإمام الرضا عليه السلام في قم، وتعرف اليوم بمعصومة، ويعتقد الإمامية أن السكن والتدريس في المراقد المذكورة من الامور المستحبة دينياً[٢]، وحتى جثث موتاهم يجلبونها من أماكن تبعد آلاف الأميال لدفنها حول مرقد الإمام علي عليه السلام بالنجف رغبة في الحصول على شفاعة الإمام علي عليه السلام عند الله لتخفيف ذنوب المذنبين من هؤلاء. قال أبو الأحوص البصري - الذي كان من جملة متكلمي الامامية- « إنه لقي أبا الحسن بن موسى النوبختي وأخذ عنه واجتمع معه في الحاير[٣] - على ساكنه السلام- وقد كان ورد للزيارة»[٤]، روى المفيد أن أحدهم قال: « حدثنا محمد بن معقل قال - حدثنا أبي عن عبد الله بن جعفر الحميري عند قبر الحسين في الحائر سنة ثمان وتسعين ومائتين

---

(١) الخطط، (القاهرة، ١٢٧٠هـ)، ج٤، ص ٤٩.

(٢) الكليني، الكافي، ج٤، ص ٥٧٩ ؛ ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات (النجف ١٣٥٦هـ) ص ٢٧٣.

(٣) قبر الحسين عليه السلام بكربلاء.

(٤) الكليني، الكافي، ج٤، ص٩١.

»[١]، روى ابن طاووس أن محمد بن جعفر قال: « دخلت على أبي طاهر محمد بن هلال وفي إصبعي خاتم فيروزج فاستحسنه أبو طاهر، وأخرج إليَّ دفتراً كان فيه هذا الحديث فأملى منه عليّ، حدّثني محمد بن شهاب بن صالح البارقي شيخ أهل الكوفة لقيته بمشهد مولانا الحسين عليه السلام »[٢].

وكان لمشهد علي عليه السلام في النجف[٣] أهمية تفوق أهمية بقية المشاهد الشريفة عند الإمامية. قال الصادق عليه السلام: (ما من مؤمن يموت في شرق الأرض وغربها إلا وحشر الله جل وعلا روحه الى وادي السلام، قيل أين وادي السلام ؟ قال بين وادي النجف والكوفة) [٤].

وبنى الخلفية هارون الرشيد بناءً على قبر علي عليه السلام بأربعة أبواب، وفي عهد عضد الدولة اقيمت على قبر علي عمارة جليلة حسنة[٥]، وعندما زار عضد الدولة كربلاء والنجف سنة ٣٧١هـ فرَّق دراهم على (الناس على اختلاف طبقاتهم، وعندما وصل المشهد الغروي (النجف) زار الحرم وطرح في الصندوق دراهم فأصاب كل واحد منهم واحد وعشرين درهماً، وكان عدد العلويين ألفاً وسبعمائة إسم، وفرَّق على المجاورين وغيرهم خمسمائة ألف درهم، وعلى المترددين خمسمائة

(١) الاختصاص، ص ٢١٠.

(٢) فرحة الغري (النجف، ١٣٥٨هـ) ص ٨٧.

(٣) ان لمدينة النجف قدسية خاصة عند الشيعة، لان مرقد الإمام علي عليه السلام فيها، لا يهمنا ان نبحث هنا التطورات التي جرت على مرقد الإمام والنكبات التي حلت بسكانه في الفترة موضوعة البحث، وقد وردت تفصيلات عن كل ذلك في كتاب ابن طاووس المشار اليه أعلاه.

(٤) الديلمي. محمد، ارشاد القلوب، ج٢، ص٢٣١.

(٥) ابن طاووس، فرحة الغري، ص١٢٢.

ألف درهم، وعلى الناحة[١] ألف درهم، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم....[٢]، ومن المحتمل أن ابن طاووس قصد بالفقراء الطلبة، ولذا عاملهم عضدالدولة معاملة الفقهاء.

ويمكن أن نتخذ من وجود الفقهاء والصوفية بين من وزّع عليهم عضد الدولة الأموال عند زيارته للنجف، دليلاً على وجود جماعة كانت تشتغل حينذاك بدرس علوم آل البيت وتدريسها، ومما يعزز هذا الفرض أنّ كلمة فقهاء كانت، كما سنبين في الفصل الرابع من هذه الرسالة، تطلق على طلبة العلوم أحياناً، وفضلاً عما سبق فإن النص التالي قد يدعم الرأي المذكور. روى إبن الاثير أنَّ شجاراً حصل بين غلمان الوزير وفقهاء المدرسة الكمالية فشهر أصحاب الوزير السيوف وأرادوا ضربهم فمنعهم الوزير، ومضى الى الديوان فكتب الفقهاء مطالعة يشكون أصحاب الوزير، فأمر الخليفة بضرب الفقهاء وتأديبهم ونفيهم من الدار، فمضى استاذ الدار وعاقبهم هناك واختفى مدرسهم الشيخ أبو طالب، ثم أنَّ الوزير أعطى كل فقير ديناراً واستحل منهم وأعادهم الى المدينة وظهر مدرسهم[٣]، ويبدو من النص المذكور أن كلمة (فقير) كانت تطلق أحياناً على طالب العلوم.

ويقول النجاشي ألف الحسن بن أحمد البوشنجي كتاب عمل السلطان

---

(١) فسر الثعالبي (اليتيمة، ج٣، ص ١٨٢) النائح بأنه المبكي، وهم قوم ينوحون على الحسين بن علي، ويروون الاشعار في فضائله ومراثيه ويعرف من يقوم بوظيفة النائح اليوم في العراق بالقارئ او (الروزه خون) كما يسمى بالفارسية.

(٢) ابن طاووس، فرحة الغري: ص ١٣٣.

(٣) الكامل: ج١١: ص ١٠٧.

(وأجازنا بروايته أبو عبد الله بن الخميري الشيخ الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين سنة أربع مائة عنه)[١].

وعندما دخل السلاجقة الى العراق وأمعنوا في مقاومة التشيع تعرض الشيخ الطوسي كما تعرض الكثير من طائفته للاعتداء مما دعاه الى ترك بغداد والرحلة الى النجف والإستقرار فيها[٢]. واقترنت رحلة الطوسي الى النجف بنشاط علمي وتعليمي كبيرين. ونظرة في كتاب (أمالي) الشيخ الطوسي الذي سنتحدث عنه في الفصل الخامس من هذه الرسالة تساعد القاريء على الوقوف على نشاط الشيخ المذكور في حقل التعليم.

ومن مدن الإمامية الشريفة في الفترة موضوعة البحث مدينة قم في إيران. ويظهر أن مدينة قم كانت كبيرة فذكر اليعقوبي أن فيها ألف درب[٣]. وكان إبراهيم بن هاشم (أول من نشر حديث الكوفيين بقم...)[٤]. وقد وجدت إشارات الى أنّ طائفة من أهل قم كانوا يفدون على الإمام الصادق ﷺ. وكان عمران بن عبد الله القمي من بين هؤلاء. ووصف الصادق عمران هذا وقومه القميين بأنهم نجباء[٥].

ويظهر أنَّ قم كانت في حدود نهاية القرن الثاني للهجرة من المناطق الشيعية المهمة. وذات مرة زار دعبل الخزاعي الإمام الرضا عندما كان في خراسان فأعطاه

(١) المصدر السابق: ٥٤.

(٢) ابن الاثير، المصدر السابق: ج٩: ص٢٣٩.

(٣) البلدان (النجف، ١٩٥٧) : ص ٤٠.

(٤) الحلي، الرجال : ص ٤.

(٥) المفيد، الاختصاص: ص ٦٩.

دراهم رضوية (وقال يا دعبل صِرْ الى قم فأنك تفيد بها)[١].

وربما ظهر من القصة التالية أن الشيعة الإمامية قبيل نهاية القرن الرابع الهجري كانوا متمركزين في مدينة قم دون مدن إيران الاخرى. روى التنوخي (ت ٣٨٤هـ) أنَّ شيخاً من أهل قم أحسن لمملوك أصبح أميراً فيما بعد. فحضر المملوك مرة لزيارة قم فقال: (يا مشايخ قم أنتم سادتي وشيوخي، ... فانبسطوا في حوائجكم... وليس بيني وبينكم فرق إلا في ثلاث طاعة السلطان، وصيانة الحرم، ومخالفتكم الرفض فإني قد طويت الآفاق وسلكتُ الجبال، وبلغتُ أقاصي المشرق والمغرب فما رأيت على دينكم أحداً غيركم)[٢].

ويوجد في قم مرقد أُخت الإمام الرضا عليه السلام وهو من المراقد الشريفة عند الإمامية. ولابد أنه جرى فيه نشاط تربوي كبير لأن مدينة قم كانت موئلاً لعلماء الإمامية وأسلافهم كما يظهر من الأمثلة التالية.

ترجم الحسن القمي (ت ٣٧٨هـ) في كتابه الموسوم بـ (تاريخ قم) لستمائة وعشرين من مشاهير علماء الإمامية في قم[٣].

أما نشاط الإمامية من القميين في حقل التربية خاصة، وهو ما يهمنا في هذا البحث، فيبدو من كتاب الأمالي للشيخ الصدوق القمي (ت١٣٨١هـ) الذي تحدث فيه عن نشاطه التعليمي. وسنورد عن الكتاب المذكور تفصيلات بعد قليل. ومن

(١) الخوانساري، روضات الجنات : ص ٢٧٦.

(٢) نشوار المحاضرة : ج٨ : ص ١٥٦.

(٣) القمي، الحسن بن محمد، تاريخ قم. ترجمه الى الفارسية حسن بن علي (طهران، ١٣٥٣): ص ١٨.

الأمثلة على نشاط القميين في التعليم ما رواه النجاشي من أنَّ الحسن بن خرزاد القمي كان (كثير الحديث له كتاب أسماء رسول الله ﷺ. أخبرنا محمد بن محمد قال حدثنا جعفر بن محمد... قال حدثنا أبو علي بن الحسن بن علي القمي قال حدثنا الحسن بن خرزاد بكتابه)[١]. قال النجاشي ان الحسن بن علي ابو محمد الحجال من أصحابنا القميين. (أخبرنا شيخنا أبو عبد الله رحمه الله قال حدثنا جعفر بن محمد قال حدثنا الحسن بن علي أبو محمد الحجال بكتابه)[٢]، وقال النجاشي أيضاً (أخبرنا علي بن أحمد القمي قال حدثنا محمد بن الحسن...)[٣] وكان علي بن محمد بن حفص أبو قتادة القمي ممن (روى عن أبي عبدالله عليه السلام... أخبرنا أحمد بن محمد قال : حدثنا محمد بن همام قال حدثنا علي بن الحسين الهمداني قال حدثنا محمد بن همام قال حدثنا علي بن الحسين الهمداني قال حدثنا محمد بن خالد البرقي عن أبي قتاده بكتابه)[٤].

ولعل فيما أوردتُه عن التعليم في المساجد، بما فيها العتبات الشريفة، عند الإمامية ما يكفي للدليل على نشاطهم في تعلم العلوم وتعليمها في الفترة موضوعة البحث بالرغم من القيود التي فرضها السلطان عليهم.

وأثمرت جهود الشيعة الإمامية في التعليم، وخاصة في المناطق التي نالوا فيها حرية نسبية بحكم كونهم أكثرية فيها.كالكوفة مثلاً. وذات مرة سمع أبو

(١) الرجال : ص ٣٥.

(٢) أيضاً : ص ٣٩.

(٣) أيضاً : ص ٤٥.

(٤) الرجال: ص ٢٠٩.

الغنائم البرسي يقول: (مالنا بالكوفة من أهل السنة والحديث إلا أنا)[١].

ويقول دونالدسن أن الإمام الصادق وتلامذته كوَّنوا شبه مدرسة سقراطية، وأنَّ عدداً من تلامذته أسهموا إسهاماً كبيراً في تقدم عِلْمَي الكلام والفقه[٢].

منازل العلماء:

روي أنَّ النبي ﷺ قد اتخذ دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزاً يلتقي فيه بأصحابه ليعلمهم مبادئ الدين الجديد [٣].

وكان أئمة الشيعة وشيوخهم يعلّمون في منازلهم أحياناً مقتفين في ذلك سنة الرسول ﷺ. وعندما جاء الكلبي النسابة الى المدينة ليبحث عن أعلم أهل هذا البيت أرشدوه الى جعفر الصادق فمضى حتى بلغ منزله. وعندما سأل الإمام الصادق عن مسائل أجابه بما يرضيه فقال: (إن كان شيء فهذا)[٤]. قال جابر الجعفي: (دخلتُ على أبي جعفر عليه السلام فقال من أين أنت؟ قلت من أهل الكوفة، قال ممن؟ قلت من جعف، قال: ما أقدمك الى هنا؟ قلت طلب العلم. قال ممن؟ قلت منك)[٥]. وذات مرة روى أحد تلامذة الصادق أنه زار إمامه في منزله. فقال

(١) ابن طاووس، عبد الكريم، فرحة الغري : ص ١٢٧.

(٢) عقيدة الشيعة: ص ١٤١.

(٣) الطبري، ٣ - ٢٣٣٥.

(٤) القمي، عيون اخبار الرضا : ص ١٠٠.

(٥) ابن شهراشوب، محمد بن علي، مناقب آل ابي طالب: ج٣ : ص ٣٣١-٢.

له الامام (أمعك شيء تكتب ؟ قلت نعم. قال اكتب....)[١]. وقال زرارة (سألت أبا جعفر عليه السلام عن الجد فقال: ما من أحد قال فيه إلا برأيه إلا أمير المؤمنين عليه السلام). وعندما سأله زرارة عن قول علي عليه السلام في ذلك طلب منه الباقر أن يأتي الى بيته. قال زرارة (فلما دخلت عليه أقبل ابنه جعفر عليه السلام فقال له أقرئ زرارة صحيفة الفرائض ثم قام لينام فبقيت أنا وجعفر عليه السلام في البيت فقام فأخرج صحيفة مثل فخذ البعير...)[٢].

ولم ينفرد أئمة الشيعة بالتعليم في المنازل بل كان شيوخ الشيعة أيضاً يعلّمون في المنازل. وكان محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ) المعروف بالمرزباني صاحب أخبار (وكان أشياخه يحضرون عنده في داره فيسمعهم ويسمع منهم، وكان عنده خمسون ما بين لحاف ودواج معدة لأهل العلم الذين يبيتون عند)[٣]. قال هارون بن موسى التلعكبري (ت ٣٨٥هـ) سمعت من أحمد بن إدريس القمي (أحاديث يسيرة في دار ابن همام وليس لي منه إجازة...)[٤]. وسمع التلعكبري من الحسن بن محمد السكوني (في داره بالكوفة... وليس له منه إجازة)[٥]. وسمع التلعكبري من محمد شاكري[٦] الإمام العسكري (في دار ابي علي بن همام)[٧]. قال

(١) الديلمي، ارشاد القلوب: ج١: ١٠٣.

(٢) الكليني، المصدر السابق: ج٧ : ص ٩٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم: ج٧ : ص ١٧٧.

(٤) الطوسي، الرجال: ص ٤٤٤.

(٥) أيضاً : ص ٤٦٨.

(٦) الشاكري، الاجير والمستخدم، وهو معرب جاكر.

(٧) الطوسي، الرجال: ص ٥٠٥.

النجاشي(ت٤٥٠هـ): كان هارون التلعكبري وجيهاً في أصحابنا و (كنت أحضر في داره... والناس يقرءون عليه)[١]. قال الطوسي (ت ٤٦٠هـ) أخبرنا الحفار قال حدثنا الدعبلي قال (حدثنا أحمد بن علي الخزار بالكرخ بدار كعب...)[٢]. وقال الطوسي أيضاً (أخبرنا... محمد بن.... مخلد... في داره....)[٣]. وحدَّث أحدهم الشيخ الطوسي فقال (حدثنا أبو الحسن علي بن يعقوب... الخزاز املأ في منزله....)[٤].

ولعل أهم دار استخدمت لغرض التعليم عند الإمامية هي دار محمد بن مسعود العياشي[٥]. كان العياشي من أهل سمرقند. ويقول النجاشي أن أبا النظر محمد بن مسعود أنفق (على العلم والحديث تركة أبيه سايرها وكانت ثلثمائة

---

(١) الرجال: ص ٣٤٣.

(٢) الطوسي، الامالي: ص ٢٣٨.

(٣) أيضاً: ص٢٤٨.

(٤) أيضاً، الامالي: ص ١٩٧.

(٥) إن سنة وفاة العياشي مجهولة، فلم ترد في ابن النديم (الفهرست: ص ٢٧٥). وكذلك لم يرد ذكرها في النجاشي (الرجال، ص ٢٧٠-١) كما ان الطوسي (الرجال: ص ٤٩٧) لم يوردها. أما المراجع الحديثة فبعضها اغفل ذكر سنة وفاة العياشي (النوري، مواقع النجوم او قائمة الرواة والمحدثين). وكذلك القمي (الكنى والالقاب: ج٢: ص ٤٥٥) اما البعض الآخر من المراجع فأوردتها بصورة تقريبية. قال السيد حسن الصدر (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: ص ٢٦٠) ان العياشي من علماء المائة الثالثة. وقد سألت الشيخ اغا برزك عن العياشي وعن سنة وفاته فأملى عليَّ من مخطوط له تحت عنوان (نوابغ الأعلام في رابعة المئات) ترجمة مفصلة للعياشي، قارن فيها المؤلف مختلف المصادر وتوصل الى أن العياشي سمع منهم من علماء الإمامية في العراق بعد سنة (٢٦٠هـ). ومن العلماء الذين سمع منهم العياشي علي بن الحسن بن فضال الذي يروي عن أخيه أحمد الذي توفي سنة (٢٦٠هـ).

ألف دينار، وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قار أو معلق مملوءة من الناس...)[١]. ويقول ابن داود الحلي أنَّ محمد بن عمر الكشي (من غلمان العياشي.... وصحب العياشي وأخذ عنه وتخرَّج عليه في داره التي كانت شريعة للشيعة وأهل العلم...)[٢].

ويبدو أن دار العياشي كانت تتمتع ببعض مظاهر معهد تدريس العلوم. ومن الأدلة على ذلك:

أولاً: نشاط مؤسسها في حقل التعليم كما يبدو من كثرة التلامذة الذين تخرجوا عليه أولاً، ومن أنه كان يمارس التدريس حيث كان له مجلسان للدرس (مجلس للخاص ومجلس للعام)[٣] ثانياً.

أما تلاميذ العياشي فسنورد منهم طائفة :

أ - حيدر بن محمد السمرقندي من غلمان ابن مسعود العياشي، وقد روى جميع مصنفاته وقرأها عليه. وروى]السمرقندي[ألف كتاب من كتب الشيعة بقراءة وإجازة[٤] ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩- يقول الطوسي كان محمد بن طاهر بن جمهور، وأبو الحسين بن أبي طاهر الطبري، وجعفر بن محمد، ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، وأحمد بن يعقوب السنائي، وإبراهيم الحبوبي، وأحمد

(١) الرجال: ص٢٧١.

(٢) الرجال (طهران، ١٣٤٢): ص ٣٢٨.

(٣) الطوسي، الرجال: ص ٤٩٧.

(٤) الطوسي، الفهرست: ص ٩٠.

بن الصفار، وأحمد بن يحيى (من غلمان العياشي)[١]، ١٠، ١١. وكان الحسين بن نعيم، والحسن الكرماني (يروي عن العياشي)[٢]. ١٢ - جعفر بن محمد بن مسعود العياشي (روى عن أبيه جميع كتب أبيه)[٣]. ١٣ - علي بن حسنويه من تلامذة أبي النظر بن مسعود العياشي[٤]. ١٤- وكان أحمد بن محمد الأزدي (غلام العياشي)[٥].

ثانياً : كثرة المبالغ التي انفقها العياشي على داره التي خصصها لتلامذته وكان مقدارها ثلاثمائة ألف دينار كما أسلفنا.

لم يكن التعليم في منازل العلماء، في الفترة موضوع البحث، مقتصراً على الإمامية بل كان معروفاً عند أهل السنة. قال أحدهم (كنتُ أختلف الى أبي القاسم الأبندوني الجرجاني... وكان لا يحدّثنا جميعاً، وكان يجلس أحدنا على باب داره ويدخل الآخر فكان سماعنا على هذا)[٦].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمامية، كما يظهر، لا يستعملون اي جزء من أجزاء الدار للتعليم كيفما اتفق بل هناك موضع في الدار نفسها يتخذ للصلاة والتدريس ويسمى هذا المحل مسجداً. وذات مرة قال أحدهم (دخلت على جعفر بن محمد

(١) الرجال: ص ٤٩٨، ٥١٨، ٤٥٩، ٤٧٩، ٤٣٩

(٢)الطوسي الرجال: ص ٤٧٩.

(٣) أيضاً : ص ٤٥٩.

(٤) الطوسي، الرجال

(٥) السهمي، حمزة بن يوسف، تاريخ جرجان (حيدر آباد ١٩٥٠): ص ٢٣٠.

(٦) السهمي، حمزة بن يوسف، تاريخ جرجان (حيدر آباد، ١٩٥٠): ص ٢٣٠.

عليه السلام في منزله فإذا هو في بيت كذا في مسجد له وهو يدعو.... فقلت له جعلني الله فداك... فمن ولي الناس بعدك....)[١].

ومما يؤيد وجود محل كالذي سبقت الإشارة إليه في كثير من بيوت الشيعة هو ما ورد في رسالة من الإمام الصادق عليه السلام موجهة الى شيعته حول المساجد المذكورة. وكان الإمام أوصى شيعته بحفظ الرسالة المشار إليها (وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها)[٢]. وربما كان للأحوال الصعبة التي عاش فيها الإمامية، في أكثر فترات حياتهم خلال المدة موضوع البحث، أثر في وجود المساجد المذكورة لأن وجودها في البيوت يجعلها بمأمن من رقابة السلطان والمتعنتين من العلماء والعامة من أهل السنة.

وبعدما قدمتُ عن التعليم في منازل العلماء الإمامية وأسلافهم أستنتج أن تدريس العلوم في منازل العلماء كان ذا أهمية كبيرة عند الإمامية حينذاك لأن أئمة الشيعة، بعد مقتل الحسين، أهملوا السياسة وانصرفوا للتدريس ما عدا فترة قصيرة اتصل بها الإمام الرضا بالمأمون حين ولاّه العهد. ويظهر أنَّ تدريسهم كان يجري في الغالب في بيوتهم خوفاً من رقابة السلطان. وتعرض شيوخ الإمامية، ماعدا الفترة البويهية، لرقابة مشابهة لتلك التي تعرض لها الأئمة. لذا فقد آثروا الابتعاد، خاصة في الأماكن التي تشتد فيها الرقابة، عن المساجد العامة ليقوموا بتدريس علومهم دون مضايقة.

---

(١) الكليني، الكاف: ص ١١٦.

(٢) الكليني، الروضة (مخطوط): ورقة ٢١.

المجالس:

للمجلس في نطاق هذا البحث معنيان أحدهما أنه مكان لتعليم العلوم. وثانيهما أنه جلسة واحدة للتدريس. ومن الأمثلة على المجالس التي هي أمكنة لتعليم العلوم ما رواه الحلي من أن محمد بن الحسن الجعفري كان (خليفة الشيخ المفيد رحمه الله والجالس مجلسه...)[١]. وكان لمحمد بن مسعود السمرقندي العياشي (مجلس للخاص ومجلس للعام)[٢]. وذات مرة قال الحسن بن موسى الوشاء البغدادي (كنت بخراسان مع علي بن موسى الرضا في مجلسه...وأبو الحسن مقبل على قوم يحدثهم...)[٣]. قال بعض طلبة المبرد: (خرجت من مجلس المبرد فلقيت خالداً الكاتب فقال: من أين قلت من مجلس المبرد.....)[٤]. وكان هشام بن الحكم المتكلم الإمامي المعروف (منقطعاً الى يحيى بن خالد البرمكي وكان القيم بمجالس كلامه ونظره.....)[٥]. وذات مرة دخل هشام بن الحكم على الإمام الصادق وفي مجلسه شيوخ الشيعة كحمران بن أعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب وأبي جعفر الأحول وغيرهم)[٦]. قال عبدالرحمن بن الحجاج (كنا في مجلس أبان بن تغلب فجاءه شاب فقال يا أبا سعيد أخبرني كم شهد مع علي بن

---

(١) الرجال، ص ٨١.

(٢) الطوسي الرجال: ص ٤٩٧.

(٣) المجلسي، المصدر السابق: ج١١: ص ٦٥.

(٤) الحموي، بن حجة، ثمرات الاوراق: ص ٣٥.

(٥) ابن النديم، المصدر السابق: ص ٢٤٩ - ٥٠.

(٦) المفيد، الفصول: ص ٣١.

أبي طالب عليه السلام من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله...)[١]. ويرى المقدسي أنَّ المشتغلين بتعليم العلوم ضربين (منهم من عقد لنفسه مجلس تدريس.... وجمع الغرباء وحرص على تخريج التلاميذ...)[٢].

ويبدو أن المجالس كانت معروفة بالمعنى السابق عند أهل السنة. قال ابن النديم: (كان يلزم مجلس أبي عمرو الشيباني أحمد بن حنبل وكتب عنه حديثاً كثيراً)[٣].

أما المجالس بمعنى الدروس فهي كثيرة الاستعمال عند الإمامية وأسلافهم. روى الإمام الصادق (أن أمير المؤمنين علَّم أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه)[٤]. روى الصدوق أنَّ جماعة من أصحاب المأمون (رفعوا إليه أنَّ أبا الحسن علي بن موسى عليه السلام يعقد مجالس الكلام والناس يفتتنون بعلمه...)[٥]. ولعل أشهر الأمثلة على المجالس التي تعني الدروس هي أن الشريف المرتضى أَلَّف كتاباً (أسماه الدرر والغرر وهي مجالس أملاها.... تكلم فيه على النحو واللغة وغير ذلك...)[٦].

وأسمى الشيخ محمد بن علي الصدوق القمي أحد كتبه بالأمالي وقسّمه إلى

---

(١) النجاشي، الرجال: ص ٩.

(٢) المقدسي، المصدر السابق: ص ٦٦.

(٣) الفهرست: ص١٠١.

(٤) القمي، عيون اخبار الرضا: ص١٥٥.

(٥) أيضاً : ج٢: ص ١٧٢.

(٦) اليافعي، عبد الله، مرآة الجنان : ج٣ : ص ٥٥.

مجالس أو جلسات يلقي في كل واحدة منها مقداراً معيناً من المادة. وقد حدد القمي تواريخ معينة لمجالسه المذكورة فالمجلس الأول كان (يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٧هـ، والمجلس الثاني يوم الثلاثاء لسبع بقين من رجب من السنة نفسها. والثالث يوم الجمعة لخمس بقين من رجب، والرابع يوم الثلاثاء سلخ رجب، والخامس يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان. وهكذا يستمر القمي بذكر مجالسه مرتبطة بيوم الاسبوع ويوم الشهر والسنة. و يذكر القمي مكان المجلس أي الدرس أحياناً. فكان المجلس السابع والتسعون، مثلاً، قد جرى (يوم الخميس لإحدى عشر ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٦٨هـ في مشهد الرضا عليه السلام [(١)].

ويمكن أن نستنتج من دراسة كتاب القمي المذكور ما يأتي :

أولاً: أن القمي قصد بمجالسه الجلسات التدريسية وليس الأمكنة وذلك لأنه ربط انعقاد المجلس بيوم الإسبوع والشهر والسنة.

ثانياً: يظهر أن القمي كان يلقي دروسه في يومي الثلاثاء والجمعة من كل اسبوع لأن تاريخ مجلسه الأول كان يوم الجمعة الثامن عشر من رجب والثاني يوم الثلاثاء في الثالث والعشرين منه، والثالث الجمعة لخمس بقين منه والرابع الثلاثاء في نهايته.

ثالثاً: أنهى القمي مجالسه في اليوم التاسع عشر من شعبان من السنة التالية ويعني ذلك أنه أكمل جلساته التدريسية في سنة كاملة.

رابعاً: يظهر أن نوعاً من التنظيم الدراسي العالي اتبع في دروس القمي

---

(١) القمي، الأمالي (قم، ١٣٧٣): ص ٢، ٤، ٧، ٩، ١١، ٣٩٩.

لبدايتها ونهايتها في سنة كاملة، ولارتباطها بأيام وتورايخ معينة من كل اسبوع.

مؤسسات علمية كانت ذات صلة بحركة التعليم.

لا يمكن أنْ تعدّ المؤسسات التي سنعالجها في هذا الباب ذات أغراض تعليمية بحتة، وبالرغم من ذلك فإن التعليم كان من بين أغراضها، وسنقسم المؤسسات المذكورة الى صنفين :

١. **دور الكتب**

٢. **دور العلم**

ولقد رأينا، قبل البحث عن تلك المؤسسات وبسط أغراضها، أن نشير إلى أهم ميزات العصر الذي نشأت فيه المؤسسات المذكورة، وخاصة من الناحية التي لها علاقة بالإمامية الذين هم مدار بحثنا هنا.

أولاً: قيام الحكم البويهي في العراق وإيران. كان الإمامية قبل العهد البويهي لا يتمتعون في الغالب بحرية كاملة لتدريس قواعد مذهبهم في المساجد العامة لأن السلطان القائم حينذاك، فضلاً عن فقهاء أهل السنة، كان ينظر الى تعاليمهم، كما أسلفنا، على أنها بدع. ونتيجة لذلك لجأ الإمامية الى التستر بقاعدة التقية من جهة، والى الإنزواء في الأماكن البعيدة عن رقابة السلطان، بما فيها منازل العلماء، لتدريس علوم أهل البيت ونشر قواعد مذهبهم من جهة ثانية.

وعندما ظهر البويهيون على مسرح السياسة وهم (يتشيعون ويغالون في التشيع ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة....)[1] نال الشيعة الإمامية

(١) ابن الاثير، الكامل: ج ٨: ص ١٩٧.

نوعاً من الحرية الفكرية في ظلّهم. وكان للبويهيين مملكة واسعة (ودولة قوية قد خطب عليهم بالصين واليمن وقاوموا ملوك الزمن وملك المشرق قد عجز عنهم، وخلفاء بني العباس في حجرهم...)[1] يضاف الى ذلك أنَّ الخلافة العباسية كانت قد تضعضعت نتيجة للضربات التي كالتها لها الشيعة المهدية من قرامطة وفاطميين.

وكا ن من مصلحة الأُسرة البويهية، التي تنضوى تحت راية التشيع، أن تثبت عقيدة الشيعة وتعمل على نشرها لأن انتشارها يعني إضعاف الخلافة العباسية. ولكي يكافح البويهيون نفوذ الخليفة من جهة، ولأ سباب عقيدية من جهة اخرى، أبدوا إهتماماً بتشجيع المذهب الجعفري بصورة عامة والدراسات الإمامية بصورة خاصة.

ولما كان الشيعة خلال القرن الرابع الهجري في العراق كثيري العدد على رواية المقدسي القائلة أن (الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة... وبالكوفة الشيعة إلا الكناسة فأنها سنية.... وأكثر أهل البصرة قدرية وشيعة....). وفي الموصل (حنابلة وشيعة...)[2]. وأن أكثرية العتبات المقدسة عند الإمامية موجودة في العراق، وان المؤسسات الفكرية للإمامية كانت متركزة في تلك البلاد منذ عهد طويل، رأي البويهيون أن مصلحتهم أن يتعاونوا مع الإمامية ويسهّلوا لهم نشر مذهبهم. وظهر التعاون المذكور في مجالات عديدة. فبهاء الدولة مثلاً قلد سنة ٣٩٤هـ (النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي نقابة العلويين بالعراق،

(١) المقدسي، احسن التقاسيم : ص ٤٠٠.

(٢) أيضاً :ص ١٢٦، ١٤٢.

وقضاء القضاة والحج والمظالم... فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة وأمضى ما سواه)[١]. ويعزى نجاح الخليفة في ذلك لا لقوته السياسية بل لنفوذه الديني ولأن منصب قاضي القضاة منصب ديني. وشجع البويهيون الشيعة على إقامة المآتم الدينية في يوم عاشوراء، أي اليوم العاشر من المحرم، وهو اليوم الذي استشهد فيه الإمام الحسين بن علي ﷺ. قال ابن الأثير في ذكر حوادث سنة ٣٥٢هـ (في هذه السنة عاشر محرم أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأنْ يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشرات الشعر، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي ﷺ ففعل الناس ذلك ولم يكن للسُّنَّة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم)[٢]. وفي سنة ٣٥١ هـ (كتب عامة الشيعة ببغداد بأمر معز الدولة على المساجد ما هذه صورته لعن الله معاوية بن أبي سفيان. ولعن من غصب فاطمة(ر) فدكاً فأما الخليفة فكان محكوماً عليه لا يقدر على المنع وأما معز الدولة فبأمره كان ذلك....)[٣].

وسبق أن أشرنا الى أن عضد الدولة زار المشاهد الشريفة وتبرع بمبالغ من المال لساكنيها. وفي سنة ٤٠٣هـ بنى الحسين بن فضل وزير سلطان الدولة، سور الحائر من مشهد الحسين[٤]. وذات مرة انتصر الشيخ المفيد على أحد مناظريه من أهل السنة، فلما علم عضد الدولة بالمناظرة أحضر المفيد (وسأل عما جرى وأكرمه

---

(١) ابن الاثير، الكامل : ج٩، ٦٨.

(٢) ابن الاثير، الكامل : ج٨ : ص ١٩٧.

(٣) ابن الاثير، الكامل : ج ٨ : ص ١٩٥.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم: ج٨: ص ١٣.

غاية الإكرام)[1]. واستغل الإمامية فرصة وجود البويهيين في الحكم فتركوا قاعدة التقية وأخذوا يبثون تعاليم فرقتهم علنا. فالشيخ المفيد الذي (انتهت رياسة متكلمي الشيعة إليه)[2] في هذا العصر، كان يعقد (مجلس نظر بداره يحضره كافة العلماء وكانت له منزلة عند امراء الأطراف يميلهم الى مذهبه.....)[3].

ثانياً: قيام أهل السُّنة بحملة فكرية وحملة سياسية مضادتين للتشيع: انتبه الخلفاء العباسيون وقادة المذاهب السُّنية لخطر انتشار تعاليم الشيعة فحاولوا مقاومة التيار الجديد على الصعيدين الفكري والسياسي ففي الناحية السياسية كان الصراع بين العباسيين والفاطميين معروفاً فلا ضرورة للبحث فيه. يضاف الى ذلك أن الخليفة أخذ يستعين بالامراء السُّنة كالسلطان محمود الغزنوي الذي توسعت سلطته في بداية القرن الخامس للهجرة. أما من الناحية الفكرية فنجد القادر يتزعم حملة فكرية مضادة للمخالفين لأهل السنة. ففي سنة ٤٠٨هـ (بعث القادر وكان صاحب سُّنة الى السلطان محمود سبكتكين يأمره ببث السُّنة بخراسان ففعل ذلك وبالغ وقتل جماعة ونفى جماعة كثيرة من المعتزلة والرافضة والإسماعيلية... وأمر بلعنهم على المنابر...)[4].

وفي سنة ٤٢٠هـ ورد الى الخليفة كتاب من السلطان محمود يعلن فيه انتصاره على الديالمة الذين خرجوا (معترفين بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض

---

(١) الخونساري، روضات الجنات: ص ٥٣٨.

(٢) ابن النديم، الفهرست: ص ٢٥٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم: ج٨: ص ١١.

(٤) ابن عماد، شذرات: ج٣: ص ١٨٦.

على نفوسهم فرجع الى الفقهاء في تعرف أحوالهم فاتفقوا على أنهم خارجون من الطاعة وداخلون في أهل الفساد مستمرون على العناد، فيجب عليهم القتل... وإن لم يكونوا من أهل الإلحاد فكيف اعتقادهم في مذاهبهم لا يعدو ثلاثة أوجه تسود بها الوجوه في القيامة التشيع والرفض والباطن...)[1].

وبعد أن بينت الظروف المواتية للامامية تحت ظل الحكم البويهي لأن يتركوا قاعدة التقية ويعملوا علناً على نشر قواعد مذهبهم، كما بينت كيف أن الظروف المذكورة كانت من بين العوامل التي أيقظت الخصوم وجعلتهم يستجمعون قواهم ويقومون بحملة مضادة للتشيع سألخص أهم الدوافع التي دفعت الإمامية لتأسيس دور الكتب العامة ودور العلم والإستفادة منها في تعليم العلوم مضافاً الى المنازل الخاصة والمساجد بما يأتي :

أولاً: كان الإمامية قبل قيام الحكم البويهي لا يجرأون، إلا فيما ندر، على تكوين مؤسسات خاصة بهم إذ كانت مؤسساتهم، في أغلب الأحيان، عرضة للتخريب. وسبق أنْ بيّنا كيف أنَّ المقتدر في سنة ٣١٣هـ هدم مسجد براثا لأن الرافضة تجتمع فيه فتشتم الصحابة[2]. وقد توفرت حرية نسبية للإمامية بعد قيام الحكم البويهي في العراق وإيران، فاستغلها الإمامية وأنشأوا لهم مؤسسات فكرية خاصة بهم كان من بينها دور الكتب العامة ودور العلم.

ثانياً: عدم صلاحية المساجد العامة للتعليم ويعود ذلك لسببين أولهما أن المساجد بنيت في الأصل لإقامة الصلاة وما التدريس فيها إلا أمر حادث،

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ج٨: ص ٣٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم: ج٦: ص ١٩٥.

والمساجد إن صلحت للتدريس في القرون الثلاثة الإسلامية الاولى لم تعد تصلح في الرابع، لأن الحركة الفكرية عند المسلمين بما فيهم الإمامية قطعت شوطاً بعيداً، ولأن المناظرات والجدل الديني وما يتبعهما من خلافات وشجار كانتا على أشدها عند المسلمين بما فيهم الإمامية في هذا القرن. ولهذه الأسباب مجتمعة أصبح التدريس في المساجد من العوامل المضايقة أو غير المرغوب فيها في المساجد. ومن الجدير بالذكر أن التدريس في المساجد حتى في القرون الثلاثة الإسلامية الاولى لم يكن يجري في المكان المعد للصلاة نفسه، بل كان يجري في مكان آخر غيره وإن كان المكان المذكور جزءاً من بناية المسجد[1].

أما السبب الثاني وهو خاص بالإمامية وأسلافهم وذلك أنهم لم يكونوا أحراراً، كما أسلفنا، في تدريس علومهم في المساجد العامة خاصة في المناطق التي كانوا فيها أقلية أو أن رقابة السلطان وفقهاء أهل السنة عليها شديدة.

ثالثا: عدم صلاحية المنازل الخاصة للتعليم. أُنشئ المنزل، كما هو معلوم، في الأصل للسكنى لا للتدريس. واتخذت منازل العلماء عند الإمامية دوراً أهم في التعليم مما كانت عليه عند أهل السُّنة، لأسباب قاهرة وذلك خوفاً من الرقابة. وعندما شعر الإمامية بنوع من الحرية والإطمئنان في العهد البويهي قل اهتمامهم في التدريس بمنازل العلماء، وأظهروا اهتماماً متزايداً بالتدريس بدور الكتب، ودور العلم والمشاهد الشريفة التي أخذت أهميتها تظهر بكونها موضعاً لتدريس العلوم قبيل القرن الخامس للهجرة. ولعل انطلاق الحرية في ظل بني بويه للإمامية

(1) K Huda Bukhsh، The Educational System of "The Muslims In the Middle Ages"، Islamic Culture، I، 1927، P. 447.

كان رأس الاسباب التي سهلت ظهور أمكنة خاصة للتعليم عندهم غير المساجد ومنازل العلماء بحيث أصبحت الأمكنة المذكورة تسهم بقسط من عملية التعليم بجنب الأمكنة التقليدية وهي المساجد ومنازل العلماء.

أولاً: دور الكتب.

إن دور الكتب عبارة عن خزانات عامة للكتب يخصص أحد جوانبها لمطالعة الكتب ونسخها. وتكون الدور المذكورة موئلاً للعلماء والباحثين يتناقشون فيها ويبحثون مختلف المواضيع. وتقوم تلك الدور أحياناً، وبصورة عرضية، بمهمة تعليمية، لا سيما أن بعض روادها، كما سنبين بعد قليل يقصدونها من أماكن بعيدة ويقيمون فيها مدة طويلة، وأن القائمين على تلك الخزانات يسهمون بنفقات اولئك الرواد. قال الحريري (ت ٥١٦هـ) فلما إبتُ من غربتي الى منبت شعبتي[1] حضرت (دار كتبها) التي هي منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمغتربين...)[2]. ونستنتج من النص السابق ما يأتي:

أولاً: إن دار الكتب كانت مؤسسة عامة لأنها كما قال الحريري سابقاً كانت منتدى المتأدبين.

ثانياً: كان يؤمها عشاق العلم من السكان المحليين والغرباء لأنها، على حد قول الحريري ملتقى المتأدبين من قاطنين ومغتربين.

أما الغرض التعليمي لخزائن الكتب العامة فيظهر من الوصف الذي أورده

---

(١) يشير الى عودته الى مدينة البصرة لأنه كان من أهلها.

(٢) المقامات (القاهرة، ١٣٢٦) : ص ٢٠ – ١.

ابن طاووس لخزانة إبن المنجم[١]. كان إبن المنجم يملك ضيعة في نواحي القفص (قريبة من بغداد) كما يملك قصراً جليلاً (فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدونها من كل بلد يقيمون بها ويتعلمون صنوف العلم، والكتب مبذولة في ذلك لهم والضيافة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى. فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كثيراً من علم النجوم فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها فأقام بها وأعرض عن الحج وتعلم النجوم...)[٢].

وأود أن اشير هنا الى أنَّ خزانة الحكمة لابن المنجم لم تكن مكتبة اعتيادية بل تتوفر فيها بعض مستلزمات موضع تعليم العلوم. فروادها كما يبدو كانوا يقيمون في القصر الملاصق للخزانة مدة قد لا تكون قصيرة ليتمكنوا بعد أن تجشموا مصاعب السفر للوصول الى قرية ابن المنجم، من مطالعة الكتب التي قد لا تتوفر لهم في غير تلك الخزانة، أو ليتعلموا صنوف العلم أو صنفا واحداً منها على الأقل كما فعل أبو معشر المنجم الذي عزف عن الحج، بعد أن سمع عن الخزانة المذكورة وتعلم النجوم. ومن أهم دور الكتب عند الإمامية:

أ- دور كتب عضد الدولة البويهي: دار كتب عضد الدولة بشيراز. يصف المقدسي وهو شاهد عيان، الدار المذكورة بقوله وبني]عضد الدولة[بشيراز داراً لم أر في شرق ولا غرب مثلها... وخزانة الكتب حجرة على حدة عليها وكيل

(١) ابو الحسن علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم النديم المتوفى سنة (٢٧٥هـ)، (القمي، عباس، الكنى والالقاب، النجف ١٩٥٦: ج٣: ص١٨٢). ولما كان ابن المنجم غير إمامي لم ندرج خزانة كتبه ضمن خزائن كتب الإمامية.

(٢) فرج المهموم: ص ١٥٧.

وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صنف إلى وقته من أنواع العلوم كلها إلا وجعله فيها وهي إزج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن من كل وجه وقد الصق الى جميع الحيطان الأزج[١] والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق. عليها أبواب تنحدر من فوق والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب لا يدخلها إلا وجيه. وطفت في هذه الدار كلها سفلها وعلوها...[٢]. ويضيف المقدسي أنه قرأ في كتاب بخزانة عضد الدولة...[٣].

ب - دار كتب ابن سوار كاتب عضد الدولة بمدينة رام هرمز والبصرة قال المقدسي: (رام هرمز قصبة كبيرة.... وبها دار كتب كالتي بالبصرة والداران جميعاً[٤] اتخذهما ابن سوار وفيهما أجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ، إلا أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتباً، وفي هذه ابدا شيخ يدرس عليه علم الكلام...)[٥]. ويظهر من النص السابق أن هاتين الدارين تتوفر فيهما بعض مستلزمات المعهد التعليمي وخاصة تلك التي فيها شيخ مقيم بصورة مستمرة يدرس عليه علم الكلام. ومما يساعد روادهما على البقاء مدة طويلة فيهما إن

---

(١) [] المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله محمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تحقيق: دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦م، ص٤٤٩.

(٢) أحسن التقاسيم: ص ٤٤٩.

(٣) أيضاً: ص ٤٤٨.

[٤] م. ن، ص٤١٣.

(٥) احسن التقاسيم: ص ٤١٣. و

Mez، A، The Renaissance of Islam، London، 1937، p. 176

صاحبها وفر وسائل العيش والراحة لاولئك الرواد.

جـ - خزانتان للكتب في البصرة: كان عضد الدولة البويهي قد بسط رعايته على دارين للكتب في البصرة. وقد أحرقها الأعراب في إحدى هجماتهم على البصرة بعد وفاته. روى ابن الأثير إن الأعراب هجموا سنة ٤٨٣هـ على البصرة وأحرقوا مواضع عدة وفي جملة ما أحرقوا (دارين للكتب أحدهما وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه، فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا إليها وهي أول دار اوقفت في الإسلام، والاخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان وكان بها نفائس الكتب وأعيانها)[1].

د - موضع للتعليم والتعلم يؤسسه عضد الدولة بداره في بغداد.

إن الموضع الذي سنتكلم عنه فيما يأتي يطلق عليه إسم (دار الكتب). وقد أوردته هنا لقيامه بوظيفة تعليمية تشبه من بعض الوجوه ما كانت دور الكتب العامة تقوم به. قال مسكويه، في معرض كلامه عن تشجيع عضد الدولة للعلوم، وفي عهده بسطت رسوم للفقراء والفقهاء، والمفسرين، والمتكلمين والمحدثين، والنسابين والشعراء، والنحويين، والعروضيين، والأطباء، والمنجمين، والحساب، والمهندسين، وأفرد في دار عضد الدولة لأهل الخصوص والحكماء والفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضات آمنين من السفهاء ورعاع العامة واقيمت لهم رسوم تصل إليهم وكرامات تتصل بهم فعاشت هذه العلوم وكانت مواتاً وتراجع أهلها وكانوا أشتاتاً[2]. ويبدو أن الوضع المذكور لم يعمر طويلًا بعد موت عضد الدولة، إذ لم

(١) ابن الاثير، المصدر السابق: ج ١٠: ص ٦٨.

(٢) تجارب الامم، (القاهرة، ١٩١٤):ج٦ : ص ٤٠٨.

يرد له في المصادر فيما بعد، وربما أصابه من التلف ما أصاب كثيراً من المؤسسات الإمامية على أيدي السلاجقة بعد نهاية الحكم البويهي.

ثانياً : دور العلم.

لم أعثر بالمصادر التي اطلعت عليها على تعريف لدور العلم. وقد حاول ميتز أن يميز بين دور الكتب ودور العلم بقوله لقد (ظهرت الى جانب دور الكتب مؤسسات علمية اخرى تزيد على دور الكتب بالتعليم، أو على الأقل بإجراء الأرزاق على من يلازمها...)[1]. فميتز يجعل التعليم وإجراء الأرزاق على الملازمين لدور العلم أهم الخصائص التي تميزها عن دور الكتب. ونتيجة لذلك يجعل (داري كتب) ابن سوار بين دور العلم. ويضيف آدم ميتز الى الدارين المذكورتين (دار علم سابور) التي سأشير اليها بعد قليل.

وأعتقد أن رأي ميتز الذي أورده حول الفرق بين دور الكتب ودور العلم كان ضعيف الأساس للأسباب الآتية:

أولاً: إن المقدسي أطلق إسم (دار الكتب) على كل من المؤسستين اللتين أنشأهما إبن سوار في رام هرمز والبصرة ولم يسمهما بداري العلم.

ثانياً: إن عنصر التعليم الذي جعله ميتز من بين ميزات دور العلم كان متوفراً في إحدى داري كتب إبن سوار لوجود معلم لعلم الكلام فيها.

ثالثاً: إن دار علم سابور، رغم تسميتها بالإسم المذكور في المصادر، لا يوجد

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - ترجمة عبد الهادي ابو ريده - (القاهرة، ١٩٤٠) :ج١: ص ٢٩٢.

فيها من يقوم في التعليم كما لم توفر الأرزاق لمن يرتادها طبقاً لرأي ميتز. ومن أهم دور العلم عند الإمامية :

دار علم سابور بن أردشير

تولى سابور الوزارة لبهاء الدولة البويهي، وقد ابتاع (داراً بين السورين في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وحمل إليها كتب العلم من كل فن وسماها دار العلم، وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، ووقف عليها الوقوف وبقيت سبعين سنة وأُحرقت عند مجيء طغرلبك في سنة خمسين وأربعمائة[1].

وقد وردت إشارة في رسالة الغفران يستدل بها على أن ابا العلاء المعري زار دار علم سابور في زيارته لبغداد سنة ٣٩٩هـ حين أقام بها سنة وسبعة أشهر[2]. وتتضمن إشارة إبي العلاء وجود امراة اسمها (توفيق السوداء) كانت تخدم في (دار العلم على زمان ابي منصور محمد بن علي الخازن، حيث كانت تخرج الكتب الى النساخ)[3].

وبالرغم من أن أبا العلاء لم يورد[4] إسم سابور مقترناً بدار العلم التي

(١) ابن الاثير، الكامل: ج١٠: ص ٦٨.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم : ٨ - ١٨٤.

(٣) المعري، ابو العلاء، رسالة الغفران (القاهرة، ١٩٥٠): ص ١٩٣.

[٤] توهم الدكتور الفياض بقوله هذا، فقد ذكر ابن خلكان وهو يترجم لسابور بن اردشير فقال: (وله ببغداد دار علم، واليها اشار ابو العلاء المعري بقوله في القصيدة المشهورة: وغنت لنا في دار سابور قينة من الورق مطراب الاصائل ميهالوا) ابو العباس شمس الدين ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، حققه الدكتور احسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٩٤م، ج٢، ص٣٥٦، فيما كان تاريخ مقدمة المحقق،

كان يتردد إليها، يظهر أن دار العلم التي أشار اليها كانت دار سابور لأنها كانت موجودة ببغداد[١]عند قدومه اليها، ويضاف الى ذلك أن محمد بن علي الخازن كان من خزان الدار المذكورة[٢]. وربما بلغت الدار المذكورة من الشهرة بحيث لم يجد أبو العلاء ضرورة لذكرها مقرونة باسم صاحبها.

ويبدو أن دار سابور عرضت لأخطار منها النهب والحرق. روى ابن الجوزي في حوادث ٤٥٢هـ، إن أبا الحسن محمد بن هلال الصابي أوقف (دار كتب بشارع أبي عوف من غربي مدينة السلام ونقل إليها نحو ألف كتاب. وكان السبب أن الدار التي أوقفها سابور الوزير بين السورين إحترقت ونهب أكثر ما فيها، فبعثه الخوف على ذهاب العلم إن وقف هذه الكتب)[٣]. ولا شك إن حرق الدار المذكورة كان لأ سباب مذهبية لان الدار أُحرقت بعد خروج البساسيري من بغداد سنة ٤٥١هـ[٤]، وإن الشيعة الإمامية كانوا من المؤيدين للبساسيري. ذكر ابن الجوزي أن باب البصرة نهب سنة ٤٥٠هـ (بأيدي أهل الكرخ تشفياً لأجل المذهب.... وأعاد أهل الكرخ الأذان بحي على خير العمل، وظهر فيهم السرور الكثير وعملوا راية بيضاء ونصبوها وسط الكرخ وكتبوا عليها اسم

١٩٦٨م، الرحيم، عبد الحسين مهدي، الشيخ المفيد، دراسة في السيرة الذاتية والعقيده. وهل أنت محقق ؟

(١) ابو العلاء، رسالة الغفران: ص ١٩٣.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد: ج٣: ص ٩٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم : ج٨ : ص ٢١٦.

(٤) أيضاً : ج٨ : ص ٢٠٥.

المستنصر بالله...)[1].

ومن الجدير بالذكر أن المؤسسة التي أنشأها سابور كانت أول مؤسسة شيعية اطلق عليها إسم (دار العلم). ولم نعثر في المصادر على مايشير بوضوح الى الوظيفة التعليمية لدار سابور ماعدا نص واحد يكتنفه شيء من الغموض. روى ياقوت عند كلامه عن علي بن فضال (ت٤٧٩هـ) إن أبا القاسم بن نافيا قال: (ودخلت دار العلم ببغداد وهو [علي بن فضال] يدرّس شيئاً من النحو في يوم بارد فقلت:

اليوم يـوم قـرس بارد[4] بـارد　　　كأنه نحـــو ابن فضـــال
لا تقرأوا النحو ولا شعـــره　　　فيعتري الفالج في الحال[1]

وأعتقد إن دار العلم المقصودة هي علم سابور للأسباب الآتية :

أولاً: كانت دار العلم التي أنشأها سابور موجودة ببغداد حتى أُحرقت سنة ٤٥١هـ بعد دخول السلاجقة كما أشرنا قبل قليل. ولما كانت وفاة ابن فضال هذا حصلت سنة ٤٧٩هـ يكون تدريسه فيها من الامور المحتملة الوقوع.

ثانياً: لم تؤسس دار اخرى للعلم ببغداد بين تأريخ حرق دار علم سابور وموت ابن فضال، أي بين ٤٥١-٤٧٩هـ، لصرف النص المذكور إليها، لأن ذلك

---

(١) أيضاً :ج٨ : ص ١٩٢.

[٢] الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم الادباء (ارشاد الاريب الى معرفة الاديب)، دار احياء التراث العربي، بيروت د.ت، ح١٤، ص٩٨. وهذه المطبعة على اصل طبعة دار المأمون بأشراف الدكتور احمد فريد الرفاعي، (١٣٥٥هـ-١٣٥٧/١٩٣٦-١٩٣٨م).

(٣) ياقوت الحموي ، معجم الادباء (القاهرة ، ١٩١١): ج٥: ص ٢٩٤ .

لم يرد بالمصادر، كما أعلم، ولأن فترة حكم السلاجقة تميزت بإنشاء المدارس لا دور العلم إذ أُسست المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٩هـ كما هو معروف.

ثالثاً: يبدو أنَّ دارعلم سابور كانت من الشهرة بمكان بحيث إذا اطلقت عبارة (دار العم ببغداد) إنصرفت إليها. وقد وضحنا ذلك في حالة زيارة أبي العلاء المعري لتلك الدار.

ونستنتج مما سبق إن دار علم سابور مؤسسة علمية ذات صلة بالتعليم، شأنها شأن مثيلاتها من دور العلم أمثال دار علم الشريف الرضي وغيرها مما سنذكره. ويمكن أنْ نتخذ من القرائن التالية، فضلاً عما سبق، دليلاً يسند افتراضنا السابق.

كانت دار علم سابور ذات موارد كبيرة لكثرة الأوقاف التي حبست عليها. ومن المحتمل إن قسماً من وراد الوقف المذكور يصرف لأغراض تعليمية لأن الأصل في الوقف أنْ يكون لأغراض دينية وأن تعليم علوم آل البيت وتعلمها يقعان في صميم الأغراض المذكورة. وفضلاً عما سبق فإن الدار المذكورة عمّرت طويلاً أي حوالي سبعين عاماً، ونشأت في عصر أخذ التعليم فيه ينتقل من المساجد الى المؤسسات الجديدة أمثال دور الكتب ودور العلم، فيكون إسهامها بالتعليم من الامور المحتملة. وللأستاذ كوركيس عواد رأي يؤيد فيه وجود الوظيفة التعليمية لدار علم سابور يقول فيه إن تلك الدار كانت (موئلاً للعلماء والباحثين، يترددون إليها للدرس والمناظرة والمباحثة....)[١-أ].

(١ - أ) خزائن الكتب القديمة في العراق (بغداد، ١٩٤٨): ص ١٤١.

دار علم الشريف الرضي

أنشأ الشريف الرضي داراً للعلم بمدينة بغداد. وكانت دار علم الشريف الرضي، كما يظهر، موضعاً لدراسة الطلاب وسكناهم في الوقت نفسه. فالشريف المذكور اسكن طلبة العلم الملازمين له في عمارة قد اتخذها لهم سماها دار العلم وعيَّن لهم ما يحتاجون إليه). وحدث أنَّ أحدهم احتاج إلى زيت للإضاءة ولم يكن الخازن حاضراً فاقترض الطالب زيتاً من حانوت مجاور (فلما سمع الرضي ذلك أمر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع إلى كلٍّ منهم مفتاح ليأخذ منها ما يحتاج إليه ولا ينتظر خازناً يعطيه)[١-ب].

ومن هذا يظهر إن دار علم الشريف الرضي كانت أقرب مؤسسة الى المدرسة التي كان الطلبة عادة يدرسون ويسكنون فيها. وكان في دار علم الشريف الرضي عدد من الطلبة كانت نفقتهم على صاحب الدار. ويسمي الاستاذ محفوظ دار علم الرضى (بدار العلوم) ولكن التسمية المذكورة لم ترد في النصوص التي عثر عليها، ويظهر أنها تسمية حديثة. ويعتقد محفوظ أيضاً أن في الدار المذكورة دار كتب كبيرة (وهي ثاني دار كتب ببغداد بعد دار كتب هارون الرشيد) المسماة بـ (بيت الحكمة).

ولم أعثر على نص يشير الى عدد الكتب التي حوتها مكتبة دار علم الرضي كما هي الحال في دار علم سابور.

لذا أرى أنَّ في رأي الاستاذ محفوظ مبالغة. يضاف الى ذلك أنَّ دار علم

(١-ب) الخونساري ، روضات الجنات (طهران ، ١٣٤٧): ص ٥٤٨ .

الشريف الرضي كانت مؤسسة شعبية، وأنَّ مورد صاحبها محدود، ولم يعرف عنه أنه كان غنياً وإنما كانا أخوه المرتضى مشهور بالثراء، لذا نستبعد أن تكون دار العلم التي أسسها حوت مكتبه شبيهة أو قريبة الشبه من مكتبة خزانة الحكمة التي أسسها الرشيد أو دار العلم التي أنشأها سابور وكلاهما كان ينفق على الدار التي أسسها من أموال الدولة.

ويظهر أن دوراً للعلم شبيهة بالدور التي وصفناها قد أنشأها أفراد من أهل السُّنة. وذكر ياقوت أن لجعفر بن محمد الموصلي الشافعي (ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم، وقفاً على كل طالب للعلم، لا يمنع أحداً من دخولها إذا جاءها غريب يطلب الأدب، وإن كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً، تفتح في كل يوم ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه، ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته مثل (الباهر) وغيره من مصنفاته الحسان ثم يملي من حفظه من الحكايات المستطابة، وشيئاً من النوادر المؤلفة وطرفاً من الفقه وما يتعلق به).

ولما كانت وفاة جعفر الموصلي سنة ٣٢٣هـ تكون دار العلم التي أنشأها أقدم تاريخاً من داري العلم اللتين أسسهما الشيعة الإمامية وهما دار علم سابور ودار علم الشريف الرضي.

وبعد أن عرضتُ نماذج من دور العلم عند الإمامية أستنتج ما يأتي :

أولاً: إن الدور المذكورة وكانت معاهد علمية ذات صلة بالتعليم مستقلة عن المسجد أسسها أفراد من أهل السنة ومن الشيعة الإمامية. وقد أصبحت المؤسسات المذكورة تسهم بعملية التعليم بجانب الأمكنة التقليدية أمثال المساجد

ومنازل العلماء. وكانت المؤسسات الجديدة هذه أصلح للتعليم من المساجد بالنسبة للإمامية خاصة. فدور العلم أصلح للتعليم من المساجد العامة لوجود الكتب ووسائل المطالعة الاخرى وربما السكنى والعيش فيها من جهة، ولأن الإمامية لم يكونوا، في الغالب، أحراراً في تعليم قواعد مذهبهم في المساجد المذكورة من جهة اخرى. وحتى بعد توفر الحرية النسبية للإمامية في العهد البويهي أصبحت المساجد لا تصلح للتعليم في القرن الرابع للهجرة لأن التعليم أصبح معقداً وقد يكون مصحوباً بجدل ومناقشات تكون سبباً في تكدير راحة المصلين في المسجد الذي لم ينشأ في الأصل لغرض تعليمي. أما كون المعاهد الجديدة أصلح للتعليم من المنزل فيظهر في أن التعليم في المنزل أمر حادث اقتضته الضرورة كما أسلفنا.

ثانياً: إن ميزات المعهد التعليمي توفرت الى حد ما في معهدين من معاهد هذا العصر عند الإمامية، وهما (دار كتب) ابن سوار كاتب عضد الدولة في البصرة ودار علم الشريف الرضي. أما دار ابن سوار فإنها، كما أسلفنا، كانت تضم بين القائمين على إدارتها شيخاً يقيم دائما فيها ويتولى تعليم علم الكلام من جهة، وأن إبن سوار كان ينفق على المحتاجين من روادها من جهة اخرى. وتمتاز دار علم الشريف الرضي، فضلاً عن كون صاحبها ينفق على الطلبة الملازمين له. في أن مؤسسها وأخاه المرتضى كانا يمارسان تعليم العلم بنفسيهما، وفي أنهما كانا أكثر اهتماماً بدور العلم والتعليم من الحكام الذين أسسوا كثيراً من دور العلم عند الإمامية أمثال عضد الدولة والوزير شاه مردان وسابور الذين سبقت الإشارة الى دور العلم التي أسسوها، يضاف الى ما سبق أن الغاية التي إستهدفها الشريف الرضي من تأسيس دار العلم كانت تعليمية بحتة بينما لا تخلو الدور الاخرى التي أسسها الحكام المذكورون من غايات ذات صلة بأُبهة الملك والدعاوة.

وللأستاذ طيباوي رأي في دور الكتب ودور العلم يقول فيه: أُطلق إسم خزائن الحكمة أو دور العلم على تلك المؤسسات (وكان القائمون عليها يقدمون أحياناً منحاً مالية للعلماء (Scholars)، ويعدّون محلات للعيش والسكنى المجاني للطلبة الذين يأتون إليها من أماكن بعيدة. وكان يشرف على المعاهد المذكورة موظفون أُجراء، ويقوم بالتدريس فيها محاضرون بأجرة. وهي مفتحة الأبواب لكل من يرغب بارتيادها من المعنيين بالدرس والمناقشة).

٥ - المدرسة

لقد دأب كثير ممن بحثوا في نشوء المدارس عند المسلمين على اعتبارها من منشآت القرن الخامس للهجرة. قال المقريزي « والمدارس مما حدث في الإسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سني الهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية، وبنى بها الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة» أما الاستاذ غنيمة فيري أن كلمة)مدرسة لم ترد في المصادر التاريخية حتى نهاية القرن الرابع تقريباً(ويرى شلبي أن المدرسة من مستحدثات نظام الملك. ويقول مرغوليوث أن ربيرا (Ribera). لفت الأنظار إلى أنه لم توجد منظمة عامة للتعليم الى عصر نظام الملك الوزير السلجوقي الذي بنى المدرسة النظامية، وكان التعليم حتى ذلك الحين متروكاً للجهد الخاص.

ولم يكن نظام الملك أول من أسس المدارس بل (كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك....) وكان نظام الملك كما يقول السبكي (أول

من قدر المعاليم للطلبة...) .

ويعد تنظيم المدارس من قبل نظام الملك بداية عصر جديد أشرفت فيه الخلافة على النظام التربوي (بحيث أصبحت التربية منذ ذلك الحين من أعمال الحكومة السُّنية في حين أن السلطات الشيعية]يقصد الكاتب الاسماعيلية[أخذت توجه التربية عندما تبنت دار الحكمة أو دار العلم)

ويؤيد ترتون الرأي القائل بأن الخلافة السنية تبنت إنشاء المدارس لغرض مقاومة الدعاوة الشيعية وخاصة دعاوة الإسماعيلية حين يقول (يرى البعض أن المدرسة أُسست لمقاومة دعاوة الإسماعيلية التي كانت على درجة كبيرة من التنظيم).

ولمعرفة تاريخ ظهور أول مدرسة أقول، يظهر أنَّ المدارس كانت موجودة في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة وعلى هذا فهي من مستحدثات القرن الرابع لا الخامس كما يرى شلبي في رأيه السابق. قال المقدسي المتوفى في حدود ٣٧٨هـ في معرض كلامه على تجواله في العالم الإسلامي (وأممت في المساجد. وذكرت في الجوامع، واختلفت الى المدارس...).

ويقول أيضاً (إيرانشهر هو مصر الجانب وقصبة نيسابور... بلد الأجلّة والراسخين من الأئمة... أسواق فسيحة ومجالس أليقة ومدارس رشيقة... الغالب على عوامها غير الفريقين، الشيعة والكرامية أصحاب شقين، والفقهاء معهم في بلاء وشين...).

ويقول المقدسي أيضاً (الري بلد جليل... وبه مجالس ومدارس...). ويقول

السبكي أنَّ محمد بن عبد الله بن خمشاد (٣١٦- ٣٨٨هـ): (كان الى أن خرج من دار الدنيا وهو ملازم لمسجده ومدرسته....) .

ثم أن السبكي نفسه يقول إن المدرسة البيهقية بنيسابور أسست قبل أن يولد نظام الملك أي قبل سنة ٤٠٨هـ كما أسلفنا.

وميتز هو الآخر يؤيد أنَّ المدرسة كانت من منشئات القرن الرابع حين يقول في معرض كلامه على المدارس (أن القرن الرابع الهجري هو الذي أظهر هذه المعاهد الجديدة التي بقيت إلى أيامنا).

ويبدو مما سبق أن اعتقاد مرغوليوث وشلبي بأن نظام الملك هو الذي أسس المدارس أمر ينقصه الدليل. ونظام الملك كما يعتقد السبكي ليس أول من أنشأ المدارس بل (أول من قدر المعاليم للطلبة...). وإذا كان المقصود بالمعاليم هو أرزاق الطلبة فليس نظام الملك أول من قدَّرها بل سبقه الى ذلك الشريفان الرضي والمرتضى. وربما سبق الجميع في ذلك ابن سوار الذي سبقت الإشارة إليه. فالشريف الرضي كان يجري على طلبته بدار العلم التي أنشأها أرزاقاً كما أسلفنا، أما المرتضى فكان (يعطي للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قراءته عليه كل شهر إثني عشر ديناراً، وللقاضي إبن البراج كل شهر ثمانية دنانير...) .

أما فيما يتعلق بمكان أول مدرسة، فأقول أن المدرسة مؤسسة تطورت عن دور الكتب ودور العلم وربما تطورت عن المساجد ولذا يصعب تحديد تاريخ ومكان معينين لنشوء أول مدرسة. ثم أن مشاهدة المقدسي في تجواله لعدد من المدارس في مدينة (ايرانشهر) ومدينة (الري) فضلاً عن تصريحه في أنه اختلف الى المدارس أثناء تجواله كما أسلفنا يدل على أن المؤسسة المذكورة لم تقتصر على قطر

دون آخر أو بلدة دون أُخرى. ويظهر أن رغبة المقريزي في أن يجعل أول (من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور) هي تقليد لما تعارف عليه جماعة من المؤرخين المسلمين وهو رغبتهم في ذكر أول فرد أو جماعة قاموا بعمل ما في الاسلام كاول شهيد وأول شهيدة في الاسلام وأول من صلى...الخ .

وبعد ما قررته عن زمان نشأة المدارس عند المسلمين سأحاول في ما يلي أن أبحث عن وجودها عند الشيعة قبل وفاة الشيخ الطوسي. لم تسعفني مصادر التي اطلعت عليها بأدلة قطعية عن وجود مدرسة عند الإمامية قبل وفاة الشيخ الطوسي سنة ٤٦٠هـ. وسأورد هنا ما عثرت عليه في هذا الصدد. سبق أن أشرت الى أن المقدسي شاهد بمدينة (إيرانشهر) مجموعة من المدارس، وأن جماعة من أهلها كانوا من الشيعة فمن المحتمل أن بعض تلك المدارس يعود لاولئك الشيعة في تلك المنطقة. وكتب بديع الزمان الهمداني الإمامي (ت ٣٩٨هـ) رسالة الى إبن أُخته قال فيها : (أنت ولدي ما دمت والعلم شأنك، والمدرسة مكانك، والمحبرة حليفك، والدفتر أليفك، فإن قصّرت ولا أخالك فغيري خالك والسلام). قال ابن خلكان في معرض ترجمته للشريف المرتضى :(كان هذا الشريف إمام أئمة العراق بين الإختلاف والإتفاق، إليه فزع علماؤها، وعنه أخذ عظماؤها، صاحب مدارسها وجماع شاردها وانسها، ممن سارت أخباره...).

قال ابن شهراشوب- (املا الشيخ أبو الفتوح في مدرسة الناجية أن الحسين بن علي عليه السلام...). ولم تعرف سنة وفاة أبي الفتوح هذا ولكنه كان يروي عن أبي علي الحسن الطوسي نجل شيخ الطائفة الطوسي وتلميذه. وذكر الأميني

أن محمد الروياني الطبري (٤١٥ - ٥٠١هـ) أنشأ مدرسة بآمل بطبرستان.

ويمكن أنْ نستنتج بعدما سبق، ما يأتي:

أولاً: إن طائفة من النصوص التي أوردتها يكتنفها الغموض ولا يمكن اتخاذها دليلاً قاطعاً على وجود المدرسة عند الإمامية قبل وفاة الطوسي، بمعناها الإصطلاحي المعروف. فالنص الذي أورده الهمداني، وإن تضمن كلمة مدرسة ولكن الكلمة المذكورة يمكن أن تنصرف الى أنَّ المقصود بها المعهد الدراسي بصورة عامة لا المدرسة ذات المعنى المعروف.

أما نص ابن خلكان فهو الآخر يتصف بالغموض والتعميم وربما كانت كلمة (مدارس) الواردة فيه محرفة عن كلمة المدراس وهو الموضع الذي يدرس فيه القرآن وغيره. وحتى بعد صرف كلمة (المدارس) الواردة في النص الى المدارس المعروفة، لا ينتفي عنها الغموض لأنه بأية صفة يوصف المرتضى بأنه صاحب المواضع التي يدرس فيها القرآن وغيره في العراق كله.وكان العراق، كما هو معروف، في عهد المرتضى مركز الخلافة السُّنية ومن مراكز أهل السنة والجماعة المهمة فكيف تنسب مواضع التعليم فيه الى المرتضى الإمامي. وإن صح وجود عدد كبير من المدارس أو من مواضع التعليم، حسب تفسيرنا، فلماذا لم تتحدث عنها المصادر كما تحدثت بتفصيل عن معهد تعليمي واحد يقل أهمية عن المدرسة وهو (دارعلم) الشريف الرضي أخي المرتضى الذي سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن دور العلم عند الإمامية.

أما النصوص الاخرى، ما عدا نص المقدسي، فهي وإن تشير الى المعنى الإصطلاحي للمدرسة ولكن أمر معاصرتها للشيخ الطوسي لا يعدو الحدس

والتخمين، وهذا ما يجعل اتخاذها بمثابة دليل على وجود المدرسة عند الإمامية قبل وفاة الطوسي لا يعدو الترجيح لا القطع.

ثانياً: إن نص المقدسي السابق يدل على وجود المدرسة بمعناها الإصطلاحي في مواضع من البلدان الإسلامية قبل وفاة الطوسي. يضاف الى ذلك أنَّ النص المذكور يشير الى وجود طائفة من الشيعة من بين سكان المنطقة التي وجدت بها تلك المدارس، ولكن الإشارة المذكورة رغم أنها أوضح من سابقاتها، لا يمكن أن تمكّن الباحث من الوصول الى نتيجة حول وجود المدرسة عند الإمامية قبل وفاة الشيخ الطوسي.

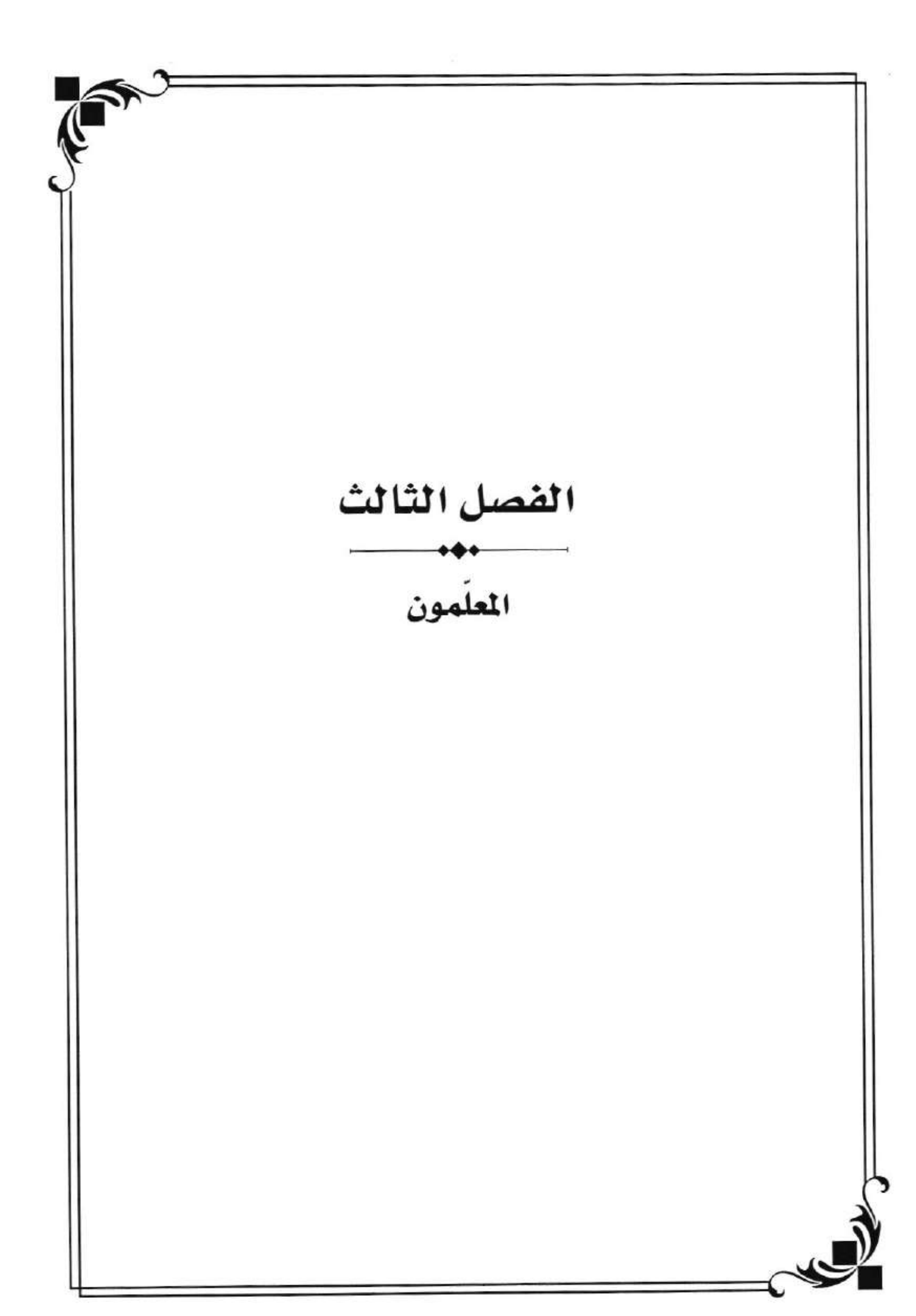
ويمكن أن نعزو ندرة وجود المدارس عند الإمامية، كما يظهر من صمت المصادر عن التحدث عنها، في الفترة التي تبدأ باحتلال السلاجقة للعراق أي قبيل وفاة الطوسي، الى الضعف العام الذي حل بحركة التشيع نتيجة للهجمات التي شنها السلاجقة على التشيع على الصعيدين الفكري والسياسي. فمن الناحية السياسية أخذ السلاجقة يضيقون على الشيعة كثيراً. ففي سنة ٤٥٦هـ طلب الوزير عبد الملك من السلطان طغرلبك أن يسمح (في لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن في ذلك فأمر بلعنهم....). وذات مرة قرأ الشحنة على أهل الكرخ (مثالاً من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون، وحضور الجماعة والتدين بمذهب أهل السنة فأجابوا الى الطاعة... وكتب أهل الكرخ على أبواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي....).

وعندما اخبر السلطان الب أرسلان أن أهل حلب خطبوا له وللخليفة العباسي (فقال أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حي على خير العمل...).

أما مقاومة السلاجقة للتشيع على الصعيد الفكري فتظهر في تأييدهم وتبنيهم لسياسة وزيرهم القدير نظام الملك حول إنشاء المدارس النظامية في المدن الإسلامية الكبرى واتخاذها وسيلة لمقاومة التشيع على الصعيد الفكري. وذات مرة قال نظام الملك مخاطباً ألب أرسلان (جعلت لك من خراسان جنداً ينصرونك ولا يخذلونك، ويرمون دونك بسهام لا تخطي وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك.

ويقول الغزالي في معرض كلامه عن الرد على التعليمية أي الذي يأخذون تعليمهم من الإمام المعصوم- (ثم اتفق أن ورد عليّ أمر جازم من حضرة الخلافة، بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته، وصار ذلك مستحثاً من خارج، ضميمة للباعث الأصلي من الباطن) .





الفصل الثالث

المعلّمون



توطئة :

يُعدُّ المعلّم في جميع مراحل الدراسة من العوامل المهمة في عملية التعليم، وما العملية المذكورة في الواقع إلا نتيجة اتصال المعلم بالتلميذ. وقد أظهر النبي ﷺ احترامه للمعلم فقال (إنما بُعثتُ مُعلّما)[١]. وقال ﷺ أيضاً (بجّلوا المشايخ فأن من إجلال الله تبجيل المشايخ)[٢]. كما أظهر النبي ﷺ إحترامه للتعليم، فروى مالك بن الحويرث أنَّ النبي ﷺ قال له ولصحبه (إرجعوا الى أهليكم فعلّموهم[٣]، وعندما كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام يحثُّ أحد أصحابه على التعليم قال له (فإنْ أحسنتَ في تعليم الناس ولم تتجبّر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعتَ علمكَ وأخرقتَ بهم عند طلبهم العلم منك كان حقاً على الله عز وجل أنْ يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلّك)[٤]. وذات مرة كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يحثّ أصحابه على التعليم ويضرب لهم الأمثال الغابرة فقال لهم أن الحواريين قالوا (لعيسى بن مريم يا معلّم الخير علّمنا)[٥].

ذكر الصدوق إنَّ رسول الله ﷺ قال (المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات، وما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلا ناداه ربُّه عزَّ وجل جلستَ الى حبيبي وعزتي

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين (القاهرة، ١٣١١): ج١: ص ١٠.

(٢) الطوسي، الامالي: ص ١٩٦.

(٣) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري (القاهرة، ١٩٥٩): ج١: ص ١٣٣.

(٤) الطبرسي، رضي الدين، مكارم الاخلاق (القاهرة، ١٣١١): ص١٤٣.

(٥) القمي، محمد بن علي، الخصال: ج١: ص ١٧.

وجلالي لأسكننك الجنة معه ولا أُبالي)[١] ولم يكن احترام التعليم والمعلّمين مقتصراً على خاصة الإمامية بل يظهر أنَّ نظرة الخاصة من السُّنة للتعليم والمعلّمين كانت تنطوي على الاحترام والتقدير أيضاً. فيقول الزرنوجي، وهو من أهل السنة، إن (من توقير المعلّم ألاّ يمشي أمامه ولا يجلس مكانه، ولا يبتدأ بالكلام عنده إلا بإذنه، ولا يسأل شيئاً عند ملالته... ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج)[٢].

ويظهر مما سبق أنَّ مهنة التعليم كانت محترمة عند خاصة المسلمين. ولا تمثل الإشارات التي يستدل منها على احتقار المعلم إلا وجهة نظر جماعة من العامة حول طائفة من معلّمي الكتاتيب. وسنضرب أمثلة على ذلك عند الكلام عن حالة المعلم الاجتماعية.

---

(١) الامالي: ص ٣٧.

(٢) تعليم المتعلم (القاهرة، ١٩٣٥م): ص ١٦.

أصناف المعلمين

أولاً: معلمو الكتاتيب

أُسند تعليم الصبيان في الكتاب الى المعلّم. وذات مرة قال أحد زملاء زرارة بن أعين (ما كنّا حول زرارة إلا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم)[١]. وعندما أراد جابر الأنصاري أن يزور الكتّاب الذي كان يتعلم فيه محمد بن الإمام زين العابدين ذهب في طلبه (فقال للمعلم أين محمد ؟)[٢]. ورأي خلف الأحمر الكميت بن زيد يعلّم الصبيان في مسجد الكوفة [٣]. وكان كلٌّ من محمد بن بلال ومحمد بن الفتح معلّماً[٤]. وذات مرة قال حسّان المعلم (سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن التعليم فقال لاتأخذ على التعليم أجراً، قلت الشعر والرسائل وما أشبه ذلك اشارط عليه، قال نعم، بعد أن يكون الصبيان عندك سواء في التعليم لا يفضل بعضهم على بعض)[٥]. وحكى عن الربيع بن خيثم أنه مرَّ على صبيان في المكتب يبكون فقال (ما بالكم يا معشر الصبيان قالوا أن هذا يوم الخميس يوم عرض الكتاب على المعلم فنخشى أن يضربنا) [٦].

وقد يسمى مَنْ يعلّم الصبيان، وخاصة صبيان الخاصة، المؤدِّب. وكان

(١) الكشي، الرجال: ص ٨٨.

(٢) الكليني، الكافي: ص ١٩١.

(٣) الاصفهاني، ابو الفرج، الاغاني: ج١٥: ص ٢٦٠.

(٤) الطوسي، الرجال: ص ٤٩٨.

(٥) الكليني، فروع الكافي: ص ٣٦٢.

(٦)البهائي، المخلاة: ص ١٥٤.

لأولاد جعفر الصادق عليه السلام مؤدِّبٌ[١]. وذات مرة شاهد أحدُهم علياً بن الإمام محمد الجواد عليه السلام وعمره سبع سنين أو أقل جالسا في الكتّاب (وكان مؤدبه رجل كرخي من أهل بغداد يُكنى أبا زكريا....)[٢]. وكان أبو داود سهل بن محمد مؤدب سيف الدولة الحمداني[٣] وكان كل من محمد بن عبد المؤمن القمي ومحمد بن جعفر النحوي وموسى بن محمد الأشعري[٤] وإبراهيم بن مجاهد مؤدباً[٥].

ومن الجدير بالذكر أنه ليس من الضروري أن يُسمى مَنْ يعلِّم ولد الخاصة مؤدِّباً. قال ابن شهراشوب أن عبد الرحمن السلمي (علَّم ولد الحسين عليه السلام الحمد فلما قرأها على أبيه أعطاه ألف دينار وألف حلة وحشا فاه، دُرّاً، فقيل له في ذلك قال: وأين يقع هذا من عطائه يعني تعليمه)[٦].

ومن الجدير بالذكر أن الرواية الخاصة بهدية الحسين عليه السلام لمعلّم ولده لا تخلو من المبالغة. ومع ذلك فإنها تصلح لبيان وجهة نظر من رواها عن أهمية دور المعلّم وضرورة العناية به، وكان الزجّاج محمد بن الليث معلم ناصر الدولة الحمداني[٧].

ويظهر أن المؤدِّب كان يقوم بتعليم صبيان الخاصة عند السُّنة أيضاً . وكان

(١) النعماني، المصدر السابق: ص ٥٢.

(٢) المسعودي، الوصية: ص ١٩١.

(٣) الخونساري، روضات الجنان: ص ٣٢٥.

(٤) الحلي، الرجال: ص٧٩، ٨١، ٨٠.

(٥) الطوسي، الرجال: ص ٤٣٩.

(٦) مناقب آل ابي طالب :ج٣: ص ٢٢٢.

(٧) ابن النديم، الفهرست: ص ١٢٧.

الكسائي مؤدب الأمين والمأمون[١]. وكان عبيد الله بن محمد عبيد المعروف بابن أبي الدنيا (يؤدب المكتفي)[٢]. وقال عبد الملك بن صالح لعبد الرحمن بن وهب مؤدِّب ولده (يا عبد الرحمن لا تعنّي على قبيح ولا تردنَّ عليَّ في محفل.... واعلم أنني قد جعلتك جليساً مقرّباً بعد أن كنتَ معلماً مباعداً)[٣]. وقال التنوخي أنَّ اليزيدي الأكبر كان (مؤدب المأمون)[٤].

ونستنتج مما سبق أنه لم يكن هناك فصل تام بين عمل المعلّم وعمل المؤدِّب، فمعلم محمد بن الإمام زين العابدين ومؤدِّب علي بن الإمام الجواد عليه السلام كلاهما كان يعلِّم الصبيان بالكتاب. يضاف إلى ذلك أن الجاحظ عندما يورد أمثلة من معلمي أولاد الملوك مرة يسميهم معلّمين ومرة يسميهم المؤدبين أمثال ابن سعيد المؤدب[٥]. والجاحظ في مكان آخر، يسمي ابن سعيد نفسه بالمعلم[٦]. وينطبق ما سبق على عبد الصمد بن عبد الأعلى إذ دعاه الجاحظ مرة مؤدباً[٧] ومرة معلمًا[٨]. وكان أحمد بن الطيب معلماً للمعتضد[٩].

(١) أيضاً : ص ٩٧.

(٢) أيضاً : ص ٢٦٢.

(٣) الصابي، هلال بن المحسن، رسوم دار الخلافة (بغداد ١٩٦٤) : ص ٤٧.

(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة : ج٨ : ص ١١٦.

(٥) البيان والتبيين : ج٢: ص ٢٥١.

(٦) البيان والتبيين: ج٢: ص ٢٢١.

(٧) أيضاً : ج٢ : ص ٧٣.

(٨) أيضاً : ج٢ : ص ٧٣.

(٩) ابن النديم، المصدر السابق: ص ٣٦٦.

فالمعلم عندما يُنتَدَب لتعليم أولاد الخاصة يسمى غالباً المؤدب، ولذلك تبقى كلمة معلم أكثر شيوعاً من غيرها كإسمٍ اصطلاحي لمعلمي التعليم الاولى. وأحسبُ أنَّ الفرق الرئيسي بين المعلم والمؤدب هو أن المعلم رجلٌ ممتهن للتعليم في الكتاتيب، وأن المؤدب قد يشترك معه أحياناً في تعليم الصبيان في الكتاتيب ولكن المؤدب في الغالب هو المعلم الخصوصي لأ بناء الخاصة وينتدب لهذه المهمة انتداباً وإن لم تكن من مقتضيات مهنته. فالشيخ المفيد كان منصرفاً الى البحث في علم الكلام والفرق وغير ذلك عندما كلّفته والدة محمد وعلي، المعروفين بالشريفين الرضي والمرتضى فيما بعد، بتعليم ولديها[١]. وكان الكسائي منصرفاً الى البحث في الأدب والنحو ولكنه انتدب لتعليم الأمين والمأمون. ويؤيد الاستاذ خليل طوطح وجهة النظر القائلة بأن المؤدب معلّم خصوصي يذهب الى بيوت الخاصة لتعليم أولادهم[٢]. ويقول كولدزيهر إن المؤدب كان ذا مكانة مرموقة في البلاط الاموي . وكان آباء الامراء يذللون جميع العقبات التي قد ينجم عنها عرقلة أعماله [٣].

وسنرى عند الكلام عن معلمي العلوم أن المؤدب قد يقوم بتعليم العلوم للخاصة أو لغيرهم كما في الحال في تعليم محمد بن جعفر المؤدب للشيخ المفيد [٤].

ويقول ابن داود الحلي أن محمد بن جعفر بن أحمد بن بطة المؤدب كان (كبير

---

(١) البحراني، يوسف، المصدر السابق: ص ٢٤١.

(٢) التربية عند العرب (المقدس، لا. ت): ص ٤٨.

(3) Goldziher، Op. Cit، V، P. 199.

(٤) المفيد، الاختصاص: ص ٦٤.

المنزلة بقم كثير الأدب والفضل والعلم)[١]. كما كان (محمد بن جعفر بن عبد الله النحوي أبو بكر المؤدب عالماً بالعربية والحديث)[٢]. ويظهر من الأمثلة الأخيرة أن المشار إليهم أعلاه، رغم كونهم من علماء عصرهم كانوا قد امتهنوا تأديب الأولاد، كما يظهر من تلقيب كل منهم بالمؤدب ثم امتهنوا تعليم العلوم في الوقت نفسه نظراً لاختصاصهم في تلك العلوم.

وقبل الإنتهاء من الكلام عن معلمي التعليم الاولى أود أن أضيف بعض الأخبار عن المعلمين والكتاب رغم أنها أخبار متفرقة، ولا تمثل اتجاهاً عاماً، كما أنها ليست خاصة بالإمامية ولم أعثر إلا على مثال واحد لكل منها. ومن الأخبار المذكورة.

أولاً: يبدو أن المعلم كان يسمى المكتب أحياناً. روى الشيخ الطوسي أن بشر بن عمار الخشعمي الكوفي المكتب من بين رواة الحديث[٣]. والمكتب في اللغة هو المعلم على رواية ابن منظور[٤].

ثانياً: وردت إشارة الى أن المعلمين كانوا يستخدمون رجلاً يتعهد الصبيان في غدوهم ورواحهم. وقد أوصى ابن الإخوة المعلمين بأن (يكون السائق لهم أميناً ثقة متأهلاً، فأنه يتسلم الصبيان بالغدو والرواح)[٥].

---

(١) ابن داود الحلي، الرجال: ص ٣٠١.

(٢) أيضاً : ص ٣٠٣.

(٣) الرجال: ص ١٥٥.

(٤) لسان العرب، مادة كتب. ١٠ – ٦١١.

(٥) معالم القربة (كمبرج، ١٩٣٧): ص ١٧١.

ثالثاً: ينصح البهائي ذوي الهمم بأن لا يتعلموا على يد امرأة، فيقول (وينبغي للعالي الهمة أن لا يكون معلمه مؤنثاً)(١).

رابعاً: يبدو أن طائفة من المعلمين كان يستخدمهم السلطان لأغراض التجسس أحياناً. قال أبو شجاع (وكان معلمو الصبيان موافقين على أن يسألوا أولاد الجند الذين في مكاتبهم عن امور آبائهم ومتصرفات أحوالهم في منازلهم ويكتبون بذلك الى ديوان البريد ولهم على ذلك رزق دار) (٢)

درجة تحصيل المعلمين:

لم يرد في المصادر التي اطلعنا عليها ما يدل على أن المعلمين في الفترة موضوع البحث كانوا يُعدَّونَ إعداداً مهنياً كما هي الحال اليوم. أما فيما يتعلق بدرجة تحصيلهم فسنورد الإشارات التي عثرنا عليها في هذا الصدد. حدث مرة أنْ طلب الخليفة الواثق من أبي عثمان المازني(٣) النحوي، وهو من الإمامية، أن يمتحن طائفة من المعلمين تقدموا للعمل عند السلطان. قال الواثق للمازني (أن

---

(١) الكشكول (القاهرة، ١٣٠٢): ج٣: ص ٣١٨.

(٢) ابو شجاع، محمد بن الحسين، ذيل تجارب الامم (القاهرة،١٩١٦): ص٥٩.

[٣] هو ابو عثمان بكر بن محمد المازني البصري النحوي (ت ٢٤٩هـ/ ٨٦٣ م) ؛ ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابو يعقوب اسحاق، الفهرست، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم........ د.يوسف علي الطويل، وضع فهارسه، احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٨٩ ؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٧، ص١٠٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٨٣.

ههنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم، فمن كان عالماً ينتفع به ألزمناهم إياه[١]، ومن كان بغير هذه الصفة قطعناهم عنه). قال المازني (فامتحنتهم فما وجدت فيهم طائلاً، وحذروا ناحيتي. فقلت لا بأس على احد منكم، فلما رجعت إليه قال. كيف رأيتهم ؟ فقلت يفضل بعضهم بعضاً في علوم، ويفضل الباقون في غيرها. وكل يحتاج إليه. فقال الواثق: إني خاطبت منهم رجلاً فكان في نهاية الجهل في خطابه ونظره. فقلت: يا أمير المؤمنين أكثر من تقدم فهم بهذه الصفة[٢]، وقد أنشدت فيهم :

إن المعلـم لا يـزال مضعفـا ولو ابتنى فوق السماء سماء
من علم الصبيـان اضنوا عقله مـما يلاقي بكـرة وعشاء[٣]

ولا يمكن أن نستنتج من النص السابق وجود قاعدة عامة تقضي بامتحان المعلمين قبل توليهم مهمة تعليم الصبيان، لأن عدم تكرار أمثال النص المذكور يدل على أنَّ امتحان المعلمين لم يكن قاعدة عامة. ويظهر أن المعلمين كانوا يتلقون معلوماتهم، التي يعتقدون انها ضرورية لممارستهم التعليم الاولى لا عن طريق الإعداد المهني بل عن طريق الاتصال الشخصي بالشيوخ.

أما درجة تحصيل المعلمين فيبدو أن بعضهم كانوا ذوي ثقافة واسعة. وعدّ الطوسي كلاً من محمد بن بلال المعلم ومحمد بن الفتح المعلم من رواة الحديث[٤].

[١] الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٧، ص١١٥ (اصل النص).

[٢] الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٧، ص١١٥ (اصل النص).

(٣) ياقوت ، معجم الادباء: ج٧: ص ١١٥ -٦ .

(٤) الرجال: ص ٤٩٨.

وكان بشر بن عمار الخشعمي الكوفي المكتب[١] ممن رووا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام [٢]. وقال أحدهم رأيت الطرماح مؤدباً بالرأي... ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده وكأنهم جالسوا العلماء[٣]. وكان أبو سعيد المعلم لا يلحن البتة)[٤].

ولا شك أنَّ طائفة من المعلمين كانوا قليلي الثقافة كما يبدو من خبر المازني السابق. ولعل الجاحظ حين عدَّ طائفة من معلمي الكتاتيب من حاشية القوم وشغلتهم قصد أنَّ هؤلاء لم يكونوا ذوي ثقافة عالية[٥].

أما المؤدِّبون، وهم المعلِّمون الخصوصيون لأولاد الخاصة، فكانت أغلبيتهم العظمى من قادة الفكر في المجتمع في عصورهم، فأبو الاسود الدؤلي كان يعلم أولاد زياد بن أبيه. وكان الشيخ المفيد يؤدب محمداً وعلياً اللذين عُرفا فيما بعد بالشريفين الرضي والمرتضى. وكان السيرافي النحوي المعروف يؤدب الشريف الرضي كما بينّا سابقاً. وكان قطرب يؤدب أولاد أبي دلف[٦].

وكان مؤدبو أولاد الخاصة من السُّنة من مشاهير علماء عصرهم. فالكسائي كان مؤدب الأمين والمأمون وعبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا كان يؤدب

(١) المكتب هو المعلم (ابن منظور - لسان العرب، مادة (كتب)، ١ - ٦١١)

(٢) الطوسي، الرجال: ص ١٥٥.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين: ج٢: ص ٢١٢.

(٤) أيضاً: ج٢: ص ١٧٥.

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين: ج١: ص ١٧٤ - ٥.

(٦) اليافعي، المصدر السابق: ج٢: ص ٣١.

المكتفي[1].

حالة معلمي التعليم الأولي الاجتماعية والمالية.

أ- الحالة الاجتماعية.

يبدو أنَّ غالبية المجتمع الاسلامي، بما فيهم الإمامية، كانوا ينظرون للغالبية العظمى من طبقة معلمي الصبيان نظرة لا تتسم بالتقدير والإجلال فأبو العيناء وهو من خاصة الإمامية، يقول في إبراهيم بن سعدان النحوي مؤدب المكتفي[2] على أثر خلاف حصل بينهما بحضرة المتوكل (ومَنْ ابن سعدان؟ والله ما يفرق ذلك بين الإمام والمأموم، والتابع والمتبوع، إنما ذلك حامل درة ومعلم صبية وآخذ على كتاب الله اجرة....)[3]. وكان الجاحظ يروى أن العامة تقول (أحمق من معلم كتاب)[4]. كما روى قصة تفصح عن رأيه في بعض معلمي الكتاتيب، قال الجاحظ (عبرت يوماً على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام إليَّ وأجلسني معه ففاتحته في القرآن فإذا هو ماهر، ففاتحته في شيء من النحو فوجدته ماهراً ثم أشعار العرب واللغة فإذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلتُ قد وجب تقطيع دفتر المعلمين. فكنت كل قليل أتفقده وأزوره. قال فأتيت بعض الأيام الى زيارته فوجدتُ الكتاب مغلقاً فسألتُ جيرانه فقالوا مات عنده ميت. فقلتُ أروح أُعزيه فجئت إلى بابه فطرقته فخرجت إليَّ جارية وقالت ما تريد. قلت

(١) ابن النديم، الفهرست: ص ٢٦٢.

[٢] الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٥٢-١٥٤.

(٣) ياقوت، معجم الادباء: ج١: ص ١٥٤.

(٤) البيان والتبيين : ج١ :ص ٢٤٨ – ٥٠.

مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزاء (فطلب الاذن ودخل وسأل المعلم عن المتوفي) قال حبيبتي. فقلتُ في نفسي هذا أول المناجس. وقلت له سبحان الله تجد غيرها.. فقال وكأني بك وقد ظننت أني رأيتها فقلتُ في نفسي هذه منجسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال إعلم إني كنت جالساً وإذا رجل عابر يغني وهو يقول :

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة   رّدي علّي فؤادي أينما كانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه مافي الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها. فلما كان بعد يومين عبر علي ذلك الرجال وهو يغني ويقول :

اذا ذهب الحمار بأم عمرو   فلا عادت ولا عاد الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنتُ عليها وقعدتُ في العزاء منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيمتي وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو)[١].

ويبدو من الحكاية السابقة ان سعة اطلاع معلم الكتاب المذكور جعلت الجاحظ يعزم على تمزيق (دفتر المعلمين) أي المذكرات التي قرر فيها أنهم من صنف الحمقى، ولكن حكاية (ام عمرو) غيرت رأيه وقوّت عزيمته على الاستمرار بالكتابة عنهم.

وأعتقد أن الحكاية السابقة لا تمثل نظرة الجاحظ عن صنف المعلمين بأكمله، ومن الأدلة على ذلك – أولاً – إن الجاحظ نسب القول بحماقة معلم الكتاب الى

(١) الحموي، ابن حجة، الاوراق: ص ١٨٠.

العامة ولم ينسبه للخاصة، حين قال : (من أمثال العامة أحمق من معلم كتاب)[١].

ثانياً: قال الجاحظ يقال (فلا أحمق... وهذا المأخذ يجري في الصفات كلها من جود، وبخل... وما زلت أسمع هذا القول في المعلمين. والمعلمون عندي على ضربين منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة الى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم رجال ارتفعوا من تعليم أولاد الخاصة الى تعليم الملوك.... فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل علي بن حمزة الكسائي، ومحمد بن المستنير الذي يقال له قطرب وأشباه هؤلاء حمقى ؟ ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم، فإن ذهبوا الى معلمي كتاتيب القرى فأن لكل قوم حاشية وسفلة، فما هم في ذلك إلا كغيرهم. وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء مثل كميت بن زيد، وعبد الحميد الكاتب، وقيس بن سعد، وعطاء بن أبي رباح، ومثل عبد الكريم بن أبي امية، وحسين المعلم، وأبي سعيد المعلم....)[٢].

ويظهر مما سبق أن الجاحظ صنف المعلمين تبعاً لمراكز آباء الصبية الإجتماعي وتبعاً لدرجة تحصيل اولئك المعلمين. ويقول طيباوي في هذا الصدد (وكان تصنيف الجاحظ للمعلمين مبنياً أما على مركز آباء الصبيان الاجتماعي أو على درجة تحصيل المعلمين، ويضع الجاحظ معلمي كتاتيب القرى في أسفل السُّلَّم تبعاً للتصنيف الذي يقوم على درجة تحصيل المعلمين ويلي هؤلاء المعلمون الاعتياديون ثم المؤدبون)[٣].

---

(١) البيان التبيين : ج١ : ص ١٧٣ .

(٢) المصدر ذاته : ج ١ : ص ١٧٤ – ٥.

(3) Tibawi، Op. Cit، Vol. 28، 1954، P. 30.

وبعد أن عرضت آراء الجاحظ عن معلمي الكتاتيب أقول إن الباحث لا يستطيع أن يخرج من تلك الآراء بنتيجة وهي أنَّ نظرة غالبية المسلمين لمعلمي الصبيان في الفترة موضوع البحث، كانت تنم عن التقدير وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: إن التقدير والإحترام الذي ناله أصحاب الأسماء التي وردت في قائمة الجاحظ لم يكن مبعثه امتهانهم لتعليم الصبيان، بل ربما كان ناتجاً عن اعتبارات اخرى. فعبد الحميد الكاتب، مثلاً، اشتهر ونال تقدير المجتمع لأنه امتهن الكتابة بديوان الخلافة. والكميت بن زيد الأسدي نال تقدير المجتمع، لا بكونه معلم صبية، بل لكونه أصبح شاعراً مشهوراً. وكان الحجاج، الذي لم يدخله الجاحظ بقائمته السابقة، مثل هؤلاء.

ثانياً: إن التقدير والشهرة التي نالها جماعة من مؤدبي أولاد الخلفاء والأُمراء أمثال الكسائي وقطرب لم يكن مبعثها تعليم صبية اولئك الخلفاء والامراء بل مبعثها مركز آباء الصبية الاجتماعي وربما درجة تحصيل اولئك المؤدبين. وبالرغم مما سبق يبدو أن الاحتقار الذي يلازم مهنة تعليم الصبية يبقى ملازماً لبعض اولئك المؤدبين رغم تأديبهم لأولاد الخلفاء. ومن أشهر الأمثلة على ذلك المثال الذي أوردته في بداية هذا البحث عن إبراهيم بن سعدان النحوي وأبي العيناء. فإبراهيم هذا رغم كونه مؤدب المكتفي. وصفة أبو العيناء بأنه معلم صبية، حامل درة لا يفرق بين الإمام والمأموم[1].

ونختم كلامنا عن آراء الجاحظ بالمعلمين برأي الاستاذ الطيباوي الذي يقول فيه (وربما كان الجاحظ، برفضه الصفات المُحِطَّة للمعلمين بجميع أصنافهم،

---

(١)ياقوت، معجم الادباء: ج١: ص ١٥٤.

مدفوعاً بعامل الدفاع عن النفس وذلك لأنه هو نفسه كان يُعدّ من بين أعضاء الطبقة العليا للمعلمين وذلك بحكم كونه قد أدَّب أولاد المتوكل)[١].

ونخرج من كل ما سبق بنتيجة وهي أن نظرة غالبية المجتمع الاسلامي، في الفترة التي تناولها بحثنا لمعلمي الصبيان لم تكن تتسم بالتقدير والإجلال. ويؤيد الإستنتاج السابق قول أبي العلاء المعري الذي ضمَّنه الأبيات التالية على لسان معلم كتاب:

أيـا حرفة الزمنـي المَّ بـك الردى   أمـا لي خلاص منك والشـمل أجمع
لئن قنعت نفـسي بتعلـيم صبية   يـد الدهـر انـي بالمذلـة قانـع
وهل يرضـين حير بتعليم صبيـة   وقد ظن ان الرزق في الارض واسع[٤]

وفي رأي ابن خلدون أن المعلم كان محتقراً من أصحاب العصبية والملك[٣]. قال ابن خلدون (شمخت انوف المترفين وأهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار منتحله محتقراً عند أهل العصبية والملك[٤]، ويؤيد الاستاذ طوطح رأي ابن خلدون سالف الذكر، ويعزو السبب الرئيس في نشوء النظرة المذكورة إلى أنَّ العرب احتقروا المهن التي لا تظهر فيها أعمال الرجولة التي تتجلى في الحروب والغزو وركوب الخيل[٥]. وأحسب أن رأي

---

(1) Tibawi، Vol، 28، 1954، 430

(٢) رسالة الغفران (القاهرة ، ١٩٥٠): ص ٣٨٥ .

(٣) المقدمة (القاهرة، لا. ت): ص ٣٠.

(٤) المقدمة (القاهرة، لا.ت): ص٣٠.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٩.

طوطح ينقصه الدليل لأن الإسلام جعل التعليم والتعلم من أعمال التقوى. وقريش وفيهم كانت الخلافة والرئاسة، لم تهمل الاشتغال بالتجارة مع أنها لم تكن من فنون الحرب، بعد إسلامها إذ كان يشغل مسلمي قريش الصفق في الأسواق عن سماع الحديث[1].

وحتى أهل العصبية والملك الذين أشار إليهم ابن خلدون قد أظهر بعضهم احتراما للتعليم والمعلمين. قال مالك بن أنس (دخلت على هارون الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال. فقلت أعز الله مولانا أن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم أعززتموه عَزَّ وإن أنتم أذللتموه ذلَّ، والعلم يؤتى ولا يأتي. فقال صدقت إخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس)[2]. وذات مرة قام الكسائي ليلبس نعليه لحاجة يريدها (فابتدرها المأمون والأمين فوضعاها بين[3] يديه)[4].

إن ما قررناه هنا لا ينافي ما قلناه سابقاً من أن الغالبية من المسلمين كانت لا تنظر لمهنة التعليم الأولي نظرة تتسم بالتقدير والإجلال. ولكن النظرة المذكورة لا تبيح لابن خلدون لأن يعمم، كما فعل عند عرض رأيه السابق، فيتناول جميع أصناف المعلمين بما فيهم من تصدوا لتعليم العلوم، كما لا تبيح له أن يحشر جميع أصحاب العصبية والملك ضمن الفئة التي تحتقر مهنة التعليم وتعزف عنها. وقد

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب العلم.

(٢) الغزالي، الاحياء : ج١ : ص ٣٤.

[٣] ابن النديم، الفهرست، ص١٠٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست: ص ٩٧.

يكون الرأي المتضمن احتقار مهنة التعليم الأولي الذي قالت به غالبية المجتمع الإسلامي، وخاصة بين أوساط العامة منه، ناتجاً عن ربط تقدير تلك الغالبية للمهن بما تدرُّه على أصحابها من ربح وما تكسبه إياهم من جاه.

وكان المعلم سواء كان من معلمي الكتاتيب أو من معلمي العلوم، محترماً في الأوساط المتدينة من المسلمين على اختلاف طوائفهم لأن الأوساط المذكورة كانت تعد عمل المعلمين على اختلاف مراحله إسهاماً في نشر الرسالة الدينية التي نذرت نفسها لحمايتها وتبليغها للناس. وقال أحدهم سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول (مَنَّ الله عز وجل على الناس برِّهم وفاجرهم بالكتاب والحساب ولولا ذلك لتغالطوا)[١]. ومن المعلوم أن مبادئ الحساب والخط من أهم المواضيع التي يعلمها المعلمون في الكتاتيب فكيف يحتقرون وهم يعملون على تنفيذ أمر من الامور التي حث عليها الدين. ويقول كولدزيهر أن المعلم (يقوم بتعليم العلوم الدينية قربى الى الله. ولم يفكر المعلم عند قيامه بانجاز المهمة المذكورة إلا بكسب رضا الله)[٢].

ب - حالة معلمي الكتاتيب المالية.

لقد عَدَّ المسلمون تعلم العلوم الشرعية وتعليمها بأنه من أعمال العبادة. ونظر كثير من فقهاء السنة والشيعة للتعليم على أنه من أوكد فروض الكفايات[٣]

---

(١) الكليني، المصدر السابق: ص ٣٧٢.

(2) Goldziher، Op. Cit، V، p. 202.

(٣) الغزالي، الاحياء، ١ — ١٥، والشهيد الثاني، منية المريد: ص ٥٩.

روى الجرجاني انه مكتوب في التوراة (يا ابن آدم علِّم مجاناً كما عُلِّمتَ مجاناً)[١].
ويقول كولدزيهر (إن المتدينين في الإسلام حبذوا أن يكون التعليم مجاناً كما أهل سائر الديانات)[٢].

وقد اختلفت الفقهاء في جواز أخذ الاجرة على تعليم الاحكام الشرعية أو عدمه كما اختلفوا في قصر الحظر على تعليم القرآن دون غيره.

قال حسان المعلم (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التعليم؟ فقال: لا تأخذ على التعليم أجراً، قلت الشعر والرسائل[٣] وما أشبه ذلك اشارط عليه ؟ قال: نعم، بعد أن يكون الصبيان عندك سواء في التعليم لا تفضل بعضهم على بعض). وذات مرة أتى علياً عليه السلام رجل (فقال: يا أمير المؤمنين والله أني لأحبك لله. فقال له: لكني[٤] ابغضك لله. قال: وَلِمَ ؟ قال : لأنك تبغي على الأذان وتأخذ على تعليم القرآن أجراً). وقال أحدهم (قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن هؤلاء يقولون إن كسب المعلم سحت. فقال كذبوا أعداء الله إذاً[٥]، أرادوا ألّا يعلموا القرآن، ولو أن المعلم أعطاه رجل ديّة ولده كان للمعلم مباحاً)[٦].

يرى الطوسي انَّ الخبر الأخير لا ينافي الخبرين الأولين (لأن الحظر إنما توجه

---

(١) السهمي، تاريخ جرجان : ١ – ٣٧.

(2) Goldziher، Op. Cit، P. 202.

[٣] الطوسي، الاستبصار، ج٣، ص٦٣٤–٦٣٥ (مجلد واحد مصدر سابق).

[٤] الطوسي، الاستبصار، ج٣، ص٦٣٤–٦٣٥ (مجلد واحد مصدر سابق).

[٥]الطوسي، الاستبصار، ج٣، ص٦٣٤–٦٣٥ (مجلد واحد مصدر سابق).

(٦) الطوسي، الاستبصار (النجف ١٣٧٦): ج٣: ص ٦٥.

إلى من لا يعلم القرآن إلا بأجرة معلومة وشارط عليها[١]، والثاني محمول على من يهدى له شيء من غير شرط فيكون ذلك مباحاً له كائناً ما كان)[٢] ويدعم الطوسي رأيه المذكور بأحاديث منها أن الصادق ﷺ قال (المعلم لا يعلّم بالأجر ويقبل الهدية إذا اهدى إليه)[٣].

ويبدو من مناقشة الطوسي للأخبار المختلفة حول جواز أخذ الاجرة على تعليم القرآن أو عدمه، إن أخذ الاجرة على تعليم القرآن كان من الامور المكروهة ولكنه غير محظور. يضاف الى ذلك أن إهداء الحسين ﷺ مبالغ من المال لمعلم ابنه الذي علّمه سورة الحمد، كما سبق أنْ بيّنّا، يجعل الإهداء لمعلم القرآن سُنة مقبولة عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة.

اما الاجرة على تعليم الخط والحساب والرسائل فيظهر أنها كانت مباحة ويدل ذلك جواب الصادق ﷺ لحسان المعلم الذي أوردته فيما سبق، يضاف إلى ذلك أن إسحاق بن عمار قال للامام زين العابدين–) إن لنا جاراً يكتب وقد سألني أن أسألك عن عمله فقال: مُرْهُ إذا دفع اليه الغلام أن يقول لأهله إني إنما اعلمه الكتاب والحساب وأتجر[٤] بتعليم القرآن حتى يطيب له كسبه)[٥]

ويظهر من الحديث المذكور أن المعلم يأخذ الاجرة من أهل الصبي لتعليمه

---

[١]الطوسي، الاستبصار، ج٣، ص٦٣٤-٦٣٥ (مجلد واحد مصدر سابق).

(٢) أيضاً: ص ٦٥.

(٣) أيضاً: ص ٦٦.

(٤) تصدق وطلب الاجر.

(٥) الطوسي، الاستبصار: ج٣: ص ٦٦.

إياه الكتاب والحساب، وينال الجزاء من الله على تعليمه القرآن.

ونستنتج مما سبق أن المعلمين الشيعة، تدفعهم الإعتبارات العملية، عندما يمتهنون التعليم ليعتاشوا منه، إستعانوا بسنة الحسين عليه السلام حين أهدى لمن علَّم ابنه سورة الحمد، وبإباحة الصادق قبول الهدية على تعليم القرآن فإن المعلمين كانوا أحراراً في أخذها. قال الشيخ الصدوق القمي (ولا بأس بكسب المعلم إذا كان إنما يأخذ على تعليم الشعر والرسائل والحقوق وأشباهها وإن شارط. فأما تعليم القرآن فلا)[١].

ولم أعثر على ما يعيِّن المبلغ الذي يستوفيه المعلم عن تعليم الصبي الواحد سوى نص غامض للجاحظ يقول فيه (إن المعلم البليغ لا يرضى دون الألف درهم حين ينتدب لتعليم الصبيان، بينما غير البليغ يقبل بستين درهم فقط)[٢].

ويبدو أن طائفة من المعلمين كانوا يستوفون مواد عينية، أحياناً كهدايا أو اجور. فمعلم ابن الحسين الذي سبقت الإشارة إليه قيل أنه استلم بالإضافة الى المبالغ النقدية، كمية من الدر حشى فيها فمه وألف حُلّة. روى المبرد أن الجاحظ قال :

أما رأيت بني بحر وقد حفلوا ... كأنهم خبز بقال وكّتاب
هذا طويل وهذا حنبل جحد ... يمشون خلف عمير صاحب الباب

وقيل في الحجاج الذي كان هو وأخوه معلمين بالطائف وكان لقبه كليباً :

---

(١) من لا يحضره الفقيه (النجف، ١٣٧٨): ج٣: ص ٩٩.

(٢) البيان والتبيين: ١ – ٤٠٣.

اينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الازهر

(يقول خبز المعلمين يأتي مختلف لأنه من بيوت صبيان مختلفي الأحوال)(١). ويظهر من النصين السابقين أن المعلمين كانوا أحياناً يستلمون اجوراً عينية من الخبز. وبالرغم من وضوح النصين السابقين لا يمكن استنتاج قاعدة عامة منهما لأنهما لم يتكررا بالمصادر بكثرة.

لباس معلمي الكتاتيب.

لم نستطع أن نعثر في المصادر التي اطلعنا عليها على معلومات كافية عن لباس معلمي الكتاتيب. قال الجاحظ (عبرت يوماً على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح...)(٢). وقال الطبرسي ان وشيكة قال: (رأيت علياً عليه السلام يتزر فوق سرته ويرفع أزاره إلى أنصاف ساقيه وبيده درة يدور في الأسواق يقول. اتقوا الله وأوفوا الكيل كأنه معلّم صبيان)(٣). وأحسب أن الإزار الذي يرفع الى أنصاف الساقين هو خير لباس للمعلم لأنه يساعده على القيام بعمله دون مشقة.

---

(١) الكامل: ص ٣٠٢.

(٢) الحموي، ابن حجة، الاوراق: ص ١٨٠.

(٣) الطبرسي، الحسن بن فضل، مكارم الاخلاق (طهران، ١٣١٦): ص ٩٥.

ثانيا: معلمو العلوم

توطئة.

وردت إشارات يستدل منها على أن المؤدِّب كان يدرِّس العلوم لطالبيها من الخاصة أو غيرهم. روى النجاشي أنَّ أبا القاسم جعفر بن محمد الموسوي قال : (قرأت على مؤدبي أبي العباس عبيد الله بن أحمد بن نهيك) كتاب الصلاة الكبير لحريز بن عبد السجستاني)[١]. وكان محمد بن النعمان المعروف بالمفيد يروي (عن محمد بن جعفر المؤدب)[٢]. وكان (محمد بن عبد المؤمن المؤدب) من رواة الحديث الثقاة في قم[٣]. قال محمد بن نصير (حدثني محمد بن عيسى عن حفص مؤدب علي بن يقطين....)[٤].

وبالرغم من الإشارات المذكورة لا يمكن أنْ يعدَّ لقب (مؤدب) من بين الالقاب الاصطلاحية التي يحملها معلمو العلوم. وقد سبق أن بينّا أن المؤدِّب بالدرجة الاولى هو المعلم الخاص لأبناء الخاصة، وهو ليس ممتهناً للتعليم بصفته معلم الكتاب، بل يكلّف بمهمة التعليم تكليفاً.

وقد يطلق لقب (استاذ) على معلمي العلوم، ومن ذلك خطاب للإمام علي زيد العابدين ﷺ وجهه للمتعلمين قال فيه (وحق استاذك في العلم التعظيم له

---

(١) الرجال: ص ١١١.

(٢) المفيد، الاختصاص: ص ٦٤.

(٣) الحلي، ابن داود، الرجال: ص ٣٢٢.

(٤) الكشي، الرجال: ص ١٣٢.

والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه...)[1].. وقال النجاشي (أخبرنا استاذنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان...)[2]. وكان أحمد بن اسماعيل بن سمكة القمي (استاذ ابن العميد)[3]. قال الحلي، عند ترجمته لعلي بن الحسين الطاطري، (وكان فقيهاً ثقة في حديثة، من أصحاب الكاظم عليه السلام.... وهو استاذ الحسن بن محمد بن سماعة الحضرمي ومنه تعلم)[4].

وكان (الاستاذ) معروفاً عند السنة بمثابة معلم للعلوم. قال محمد بن أحمد الروذباري (ت ٣٢٢هـ) (أستاذي في التصوف[5] الجنيد وفي الحديث والفقه إبراهيم الحربي وفي النحو ثعلب)[6].

وأحسب أنه برغم وجود الإشارات المذكورة، يظهر أن لقب (الاستاذ) لم يكن من الألقاب التعليمية الشائعة لمعلمي العلوم في الفترة التي هي مدار بحثنا. وان الإشارات التي وردت بشأن تولي الاستاذ مهمة تدريس العلوم نادرة وتغلب عليها الصفة الأدبية واللغوية لا الإصطلاحية. وكانت كلمة (الاستاذ) تعني المتقدم في صناعة أو فن. فكانت اجرة الاستاذ من البنائين الذين بنوا بغداد قيراط

(١) الطبرسي، مكارم الاخلاق: ص ١٤٣.

(٢) الرجال: ص ١٠٨.

(٣) الطوسي، الرجال: ص ٤٥٥.

(٤) الحلي، الحسن بن يوسف، الرجال: ص ١١١.

[٣] ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م، ج١٣، ص٣٤٤.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم: ج٦: ص ٣٧٣.

فضة في كل يوم[١]. ويقول الحلي أن المفيد (من أجَّل مشايخ الشيعة ورئيسهم واستاذهم)[٢]. ومن الجائز أن الحلي (ت ٧٢٦هـ) أطلق كلمة (استاذ) على المفيد لأنها أصبحت في زمانه ترادف كلمة (الشيخ) التي كانت اللقب الإصطلاحي لمعلم العلوم في الفترة التي تناولها البحث، وبعد هذه المقدمة نقول أنَّ معلمي العلوم الذين تنطبق عليهم صفة تعليم تلك العلوم، في الفترة موضوع البحث، عند الإمامية وأسلافهم هم : الإمام المعصوم، والشيخ، وأحياناً المدرس.

أولاً: الإمام المعصوم.

استهدف الشيعة الإمامية، فيما استهدفوا، من التعليم والتعلم معرفة القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ وتوضيح كل ما يتصل بأصول مذهبهم وفروعه، وقد عدَّ الإمامية أئمتهم المصدر الرئيس الذي يستقون منه تفسير كتاب الله وتأويله وسنة رسول الله وما يتبع ذلك من استنباط الأحكام الفقهية منها. قال مفضل بن قيس بن رمانة قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن أصحابنا يختلفون في شيء (فأقول : قولي فيها قول جعفر بن محمد. فقال : بهذا نزل جبرئيل...)[٣].

وقد وضح أئمة الإمامية لمواليهم بأن معرفة الله والتمسك بأوامره ونواهيه لإطاعة الامام، هي الايمان. قال الإمام الصادق مرة : (يا جابر بلِّغ شيعتي عني السلام وأعلمهم ان لا قرابة بيننا وبين الله عز وجل، ولا يتقرب إليه إلا بالطاعة

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج٦: ص ٢٦٨.

(٢) الرجال: ص ٧٥.

(٣) الكشي، الرجال: ص ١٦٢.

له يا جابر من أطاع الله وأحبنا فهو ولينا، ومن عصى الله لم ينفعه حبنا)[١].

وكانت الحال عند الإمامية وأسلافهم هي أنهم يتلقون، فضلاً عن تفسير القرآن وتأويله، السُّنة النبوية عن طريق الأئمة المعصومين الذين لا يمكن، حسب عقيدة الإمامية، أن يتطرق الخطأ الى أي قول تثبت روايته عنهم. وسبق أن بينا قبل قليل إن الإمام الصادق عليه السلام أخبر أحد شيعته بأن قوله هو المعول عليه لأنه هو الذي نزل به جبرائيل، أي أنه مستمد من النبي ﷺ الذي تلقى الوحي بدوره من الله عز وجل.

وقد وردت روايات عن الأئمة عليهم السلام يستفاد منها أنهم كانوا يوصون شيعتهم بعدم قبول كل ما يتلقونه من أحاديث دون البحث في مضامينها. ومما يعزز الاتجاه المذكور أن الإمامية يعدون العقل من بين الأدلة الشرعية[٢] التي يمكن الفقهاء بواسطتها من معرفة الأحكام الفرعية[٣].

ومن الروايات التي يظهر منها الاتجاه السابق وصية الصادق عليه السلام لابنه (يا بني إعرف منازل الشيعة على قدر رواياتهم ومعرفتهم، فإن المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن الى أقصى درجات الإيمان، إني نظرت في كتاب لعليٍّ فوجدت في الكتاب أن قيمة كل امرئ وقدره معرفته، إن الله يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا). وقال الصادق أيضاً

(١) الطوسي، الامالي: ص ١٨٦.

(٢) الادلة الشرعية لتحصيل الاحكام الفرعية عند الإمامية هي : ١- القرآن. ٢- السنة. ٣- الاجماع. ٤- العقل.

(٣) المظفر، المصدر السابق: ص ٩.

(حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه)[(١)].

ويظهر أنه من الصعب التوفيق بين وجوب الأحاديث الثابتة صحتها عن الأئمة على أنها بمثابة أقوال النبي ﷺ أي مُنَزَّلة من الله. وبين محتوى الروايات المشار إليها أعلاه والتي تجعل للعقل والدراية في الحديث دوراً كبيراً في قبول أو رفض ما يرد عن الأئمة من أحاديث وأقوال. ويظهر أن دور العقل هنا ينحصر، غالباً، في التأكد من صحة طريقة نقل الحديث بفحص سنده والتأكد من سلامة متنه من التصحيف حسب الطرق المعروفة في نقد الحديث دون أن يتعدى ذلك الى مناقشة محتوياته.

واستمر أئمة الشيعة يعلّمون شيعتهم منذ عهد الإمام علي أمير المؤمنين حتى غيبة الإمام محمد المهدي في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة. وكان الامامان محمد الباقر وابنه الصادق من مشاهير معلميهم كما يعدان من أهم المؤسسين للفقه الجعفري. ومن الأمثلة على نشاط الأئمة في حقل التعليم إن جابر بن يزيد الجعفي قال (حدّثني أبو جعفر عليه السلام سبعين ألف حديثاً)[(٢)].

وقال جابر أيضاً (قلت لأبي جعفر عليه السلام جُعلتُ فداك أنك قد حملتني وقراً عظيماً بما حدثني به....)[(٣)]. قال ثوير بن فاختة (خرجت حاجاً فصحبني عمرو بن ذر القاضي وابن قيس المآصر والصلت بن بهرام وكانوا إذا نزلوا قالوا انظر الآن فقد حررنا أربعة آلاف مسألة نسأل أبا جعفر عليه السلام منها عن ثلاثين كل يوم وقد

(١) القمي، معاني الاخبار (طهران، ١٣٧٦) ص ١-٢.

(٢) المفيد الاختصاص، ص ٦٦.

(٣) المفيد، الاختصاص، ص٦٧.

قلدناك ذلك...)[١]. ويورد الشيخ الطوسي عدداً من تلامذة الباقر والصادق عليهما السلام ومن بين هؤلاء (إسماعيل بن زياد البزاز الكوفي الأسدي. روى عنه (أي الباقر) وعن أبي عبد الله عليه السلام). (والحسن بن شهاب بن يزيد البارقي الكوفي. روى عنه عليه السلام وعن أبي عبد الله عليه السلام). و (زهير المدائنى روى عنه عليه السلام وعن أبي عبد الله عليه السلام. والحكم بن المختار بن أبي عبيدة... روى عنه وعن أبي عبد الله)[٢].

ويبدو مما سبق ان الإمام الباقر كان من مشاهير علماء أهل البيت ومحدثيهم. وقال عنه المجلسي انه (لم يظهر عن أحد من أولاد الحسن والحسين عليهما السلام من العلوم ما ظهر منه (أي الباقر) من التفسير والكلام والفتيا والحلال والحرام[٣].... وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين. فمن الصحابة نحو جابر بن عبد الله الأنصاري، ومن التابعين نحو جابر بن يزيد الجعفي وكيسان السختياني صاحب الصوفية، ومن الفقهاء نحو ابن المبارك، والزهري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وزياد بن المنذر، والنهدي، ومن المصنفين نحو الطبري، والبلاذري، والسلامي، والخطيب في تواريخهم. وفي الموطأ، وشرف المصطفى، والإبانة، وحلية الأولياء، وسنن أبي داود،..... ومسند أبي حنيفة والمروزي، وترغيب الاصفهاني، وبسيط الواحدي وتفسير النقاشي والزمخشري، ومعرفة اصول السمعاني. (و كانوا) يقولون قال

---

(١) الكشي، الرجال، ص ١٩١.

(٢) الطوسي، الرجال، ص ١٠٤، ١٠٨، ١١٣

[٢] المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار، تحقيق و تعليق الشيخ محمود درباب، دار المعارف للمطبوعات، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج١٩، ص١٧٧.

محمد بن علي وربما قالوا محمد الباقر)[١].

وبعد ما أوردته عن علم الباقر ونشاطه في حقل التعليم أقول.

يظهر أن الباقر أعار علوماً غير العلوم الشرعية شيئاً من اهتمامه مثل علم الكلام. وسبق أنْ أشرنا الى رواية المجلسي التي تبين اهتمام الباقر بعلم الكلام. وربما كان للجدل والتحدي اللذين تعرض إليهما أثر في اهتمامه بعلم الكلام. وكان طاووس اليماني والابرش الكلبي من بين الذين تحدوا الإمام الباقر. وذات مرة قال الأبرش الكلبي لهشام مشيراً الى الباقر (من هذا الذي احتوشه أهل العراق يسألونه ؟ قال هذا نبي الكوفة وهو يزعم أنه ابن رسول الله وباقر العلم ومفسر القرآن، فاسأله مسألة لا يعرفها. فأتاه وقال: يا ابن علي قرأت التوراة والانجيل والزبور والفرقان. قال نعم. قال فأني اسألك من مسائل. قال سل فان كنت مسترشداً فستنتفع بما تسأل وإن كنت متعنتاً فتضل بما تسأل عنه....)[٢]. وكان الباقر يشجع الشيعة على نشر فضائل آل البيت. قال سعد الإسكاف (قلت لأبي جعفر ﷺ إني أجلس فأقصّ وأذكر حقكم وفضلكم. قال وددتُ أنَّ على كل ثلاثين ذراعاً قاصاً مثلك)[٣].

ويُعدُّ انتقال الإمامة الى الصادق نقطة فاصلة في تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، وفي تركيز قواعد مذهبهم. وكان عصر الصادق مواتياً من الناحيتين السياسية والثقافية. فمن الناحية السياسية كان عصر الصادق عصر انتقال من

---

(١) بحار الانوار، ج١١، ص ٨٤.

(٢) المجلسي. بحار الانوار، ج ١١، ص ١٥٢.

(٣) الكشي، الرجال، ص ١٨٧.

الدور الاموي الى العباسي، وفيه خفت الرقابة على الشيعة الأمر الذي سهل عليهم نشر علومهم. أما من الناحية الثقافية فيُعدُّ عصر الصادق العصر الذي انتشر فيه تدوين معظم العلوم الإسلامية من فقه وحديث، هذا فضلاً عن ظهور علم الكلام الذي تأثر واضعوه بالعلوم اليونانية. وكان الصادق من أكثر أئمة الشيعة نشاطاً وعملاً على نشر علوم أهل البيت من جهة، والدفاع عن مذهبهم في وجه ممثلي الجماعات الاخرى من مسلمين وغلاة وزنادقة من جهة اخرى. قال محمد بن عيسى إن بعض أصحابنا سأل يونس بن عبد الرحمن (وأنا حاضر فقال له يا أبا محمد ما أشدك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا، فما الذي يحملك على رد الأحاديث فقال حدثني؟ هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول [] لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فأن المغيرة بن سعيد[١] لعنه الله دسَّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدِّث بها أبي.....). وأوردت تفصيلات عن موقف الإمامية وأسلافهم من الشيعة من الغلو والغلاة، وعن محاولاتهم لتزوير الحديث عن الائمة عليهم السلام[٢].

قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام

---

[١] المغير بن سعيد: ترجم له الكشي بروايات عن الامامين الباقر والصادق عليهما السلام فقال: (قال الصادق: لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا، كان يكذب على ابي جعفر فأذاقه الله حر الحديد). وقال ابو عبد الله عليه السلام: (المغيرة هذا: لعنه الله دس في كتب أصحاب ابي احاديث، وقال: كان المغيرة يتعمد الكذب على ابي وكان يدس في كتب أصحاب الكفر والزندقة، وقال: لعنه الله ولعن يهودية كان يختلف اليها يتعلم فيها السحر و الشعبذة). محمد بن عمر بن عبد العزيز، فهرس رجال (اختيار معرفة الرجال)، خرجها وحققها حسن المصطفوي، مطبعة الاعتماد، ط١، طهران، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٢) الفياض، عبد الله، المصدر السابق، ص ١٢٣ - ١٢٩.

ووجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متوافرين، فسمعتُ منهم وأخذت كتبهم فعرضتها من بعد على ابي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام....[١].

ويمكن أن نستنتج من النص السابق ما يأتي :

أولاً : إن أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام كانوا يدوّنون الأحاديث التي يسمعونها عنهما في كتب دسَّ فيها المغيرة أحاديث لم يحدِّث بها والد الصادق عليه السلام. كما أن يونس بن عبد الرحمن، المعاصر للرشيد والمأمون، وجد طائفة من كتب أصحاب الصادق وعرضها على الرضا عليه السلام فأنكر بعض محتوياتها.

ثانياً : إن يونس المذكور وجد أصحاب الصادق متوافرين في العراق وسمع منهم الحديث واقتنى طائفة من كتبهم.

وقد استمر الصادق على تعليم شيعته. وذات مرة أتى قوم من الأمصار الى الإمام الصادق (يسألونه الحديث)[٢]. وكان الصادق (يجلس للعامة والخاصه ويأتيه الناس من الأقطار يسألونه عن الحرام والحلال وعن تأويل القرآن وفصل الخطاب فلا يخرج أحد منهم إلا راضياً بالجواب)[٣].

وسنورد أمثلة عن أصحاب الصادق وتلامذته. روى مطلب بن زياد

---

(١) الكشي، الرجال، ص ١٩٥.

(٢) أيضاً، ص ٢٤٩.

(٣) المسعودي، الوصية، ص ١٥٤.

الزهري (عن جعفر بن محمد نسخة)[١] وكان مسمع بن مالك وقيل ابن عبد الملك ممن رووا عن الصادق. واختص ابن مالك هذا بالإمام. وقال له الصادق يوماً (إني لأعدّك لأمر عظيم يا أبا اليسار)[٢]. وروى محمد بن أبي عمير الطيب (كتاب الديات عن أبي عبد الله عليه السلام)[٣]. وكان منهال بن عمرو الأسدي الكوفي يروي (عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام)[٤]. روى محمد بن راشد عن جده قال (قصدت إلى جعفر بن محمد أسأله عن مسألة فاستفتيته فأفتاني)[٥]. روى النجاشي أن أبان بن تغلب لقي (علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليه السلام وروى عنهم)[٦]. قال حماد بن عيسى الجهني (سمعت من أبي عبد الله عليه السلام سبعين حديثاً....)[٧]. روى عبد الرحمن بن ميمون البصري عن أبي عبد الله عليه السلام سبعمائة مسألة[٨]. وكان (عمر بن محمد بن بريد أبو الاسود بياع السابري... كوفي ثقة جليل أحد من كان يفد في كل سنة. روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام وأثنى عليه الصادق عليه السلام شفاهاً)[٩]. دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له (يا أبا حنيفة إن ههنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد فاذهب بنا

(١) الطوسي، الرجال، ص ٢٩٨.

(٢) الحلي، الرجال، ص ٨٤.

(٣) الطوسي، الرجال، ص ٣٠٦.

(٤) الطوسي، الرجال، ص ٣١٣.

(٥) المجلسي، البحار، ج١١، ص ١٣٩.

(٦) الرجال، ص ٨.

(٧) الحلي، الرجال، ص ٢٨.

(٨) أيضاً، ص ٥٦

(٩) أيضاً، ص ٥٩.

إليه نقتبس منه علماً فلما أتيا إذا هما بجماعة من علماء شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه...)[١] قال أحدهم [دخلت على العبد الصالح ﷺ وأنا اريد أن أسأله عن مسائل كثيرة...... قال زرارة (أمر أبو جعفر ﷺ أبا عبد الله فأقرأني صحيفة الفرائض فرأيت جل ما فيها على أربعة أسهم)[٢]. قال أبو بصير (قرأ عَليَّ أبو عبد الله ﷺ فرائض علي ﷺ فكان أكثرهن خمسة أو من أربعة وأكثره من ستة أسهم)[٣]. جاء عباد البصري لأبي عبد الله ﷺ ومعه أُناس من أصحابه فسأله عن حديث فأخبره به فكتب القوم الحضور عنه ذلك الحديث)[٤]. قال مسعدة بن صدقة (سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام أنْ يعلمني دعاءً أدعو به في المهمات فأخرج إليَّ أوراقاً من صحيفة عتيقة فقال انتسخ ما فيها فهو دعاء جدي علي بن الحسين....)[٥]. روى ابن داود الحلي أنَّ (أبان بن تغلب... روى عن الصادق ﷺ ثلاثين ألف حديث قال له أبو جعفر ﷺ إجلس في مسجد الكوفة وافتِ الناس، إني أُحب أن يُرى في شيعتي مثلك). وكان إذا دخل على أبي عبد الله ثنى له الوسادة وصافحه، وكان إذا قدم المدينة تقوضت إليه الحلق، وأُخليت له سارية النبي ﷺ. قال أبو عبد الله لسليم بن أبي حبّة لما ودَّعه [(إئتِ أبان بن تغلب فإنه سمع مني حديثاً كثيراً، فما روى لك عني فاروه عني). مات سنة إحدى

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ص ٢١٠.

(٢) أيضاً، ج٧، ص ٨١.

(٣) أيضاً، ج٧، ص ٨١.

(٤) الكليني، الكافي، ص ١٨٢.

(٥) الطوسي، الأمالي، ص ٩.

وأربعين ومائة....)[١].

ومن الجدير بالذكر أنه من الصعب تصديق الروايات التي نسبت الى محمد بن[٢] مسلم وأبان سماع ذلك العدد الضخم من الأحاديث عن الإمامين الباقر والصادق، لاسيما أنَّ الاثنين لم يكونا من أهل المدينة حيث سكن الباقر والصادق عليهما السلام وكانا يفدان على المدينة بين آونة واخرى للقاء إماميهما، ومع ذلك فإن مدة الوفادة لا تكفي لسماع العدد المذكور من الأحاديث وحفظه.

وقد سبق أن أشرنا الى بعض جهود الصادق في حقل التعليم عند الإمامية عند الكلام عن التعليم في المسجد ومنازل العلماء[٣].

وبعدما أوردته عن جهود الصادق التعليمية أقول:-

أولاً: يظهر أن الصادق عليه السلام كان مجداً في تعليمه ومثابراً على تعليم شيعته.

وتقوم كثرة تلامذة الصادق، وغزارة علمهم، دليلاً على ما ذهبت إليه. ويظهر أن طائفة من تلامذته كانت ممتازة فمن تلامذته أبان بن عثمان الذي سبقت الإشارة إليه وهشام بن الحكم الذي يصفه ابن النديم بأنه (من متكلمي الشيعة الإمامية...، وممن دعا له الصادق عليه السلام فقال أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله التحيات ، لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك وهو الذي فتق الكلام

---

(١) الرجال، ص١٠ – ١١.

(٢) كان محمد بن مسلم، كما أسلفنا، من أصحاب الباقر والصادق وقد نسب إليه أنه روى سبعين ألف حديث عن الباقر وثلاثين ألفاً عن الصادق.

(٣) ص ٦٤ وما بعدها.

في الإمامة وهذب المذهب وسهَّل طريق الحجج فيه)[١]. ومن تلامذته زرارة بن أعين الذي قال فيه الصادق عليه السلام (لولا زرارة لظننتُ أن أحاديث أبي ستذهب). وقال أحد أصحابه (والله ما كنا حول زرارة بن أعين إلا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم)[٢]. وروى النجاشي أن الحسن بن علي الوشاء قال (أدركت في هذا المسجد[٣] تسع مائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد)[٤]. قال ابن شهر آشوب أن العصابة[٥] أجمعت إن أفقه الأولين ستة وهم أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وهم زرارة بن أعين، ومعروف[٦] الخربوذ المكي، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، وبريد بن معاوية العجلي)[٧].

ثانياً : كان الإمام الصادق يزوّد أصحابه ببعض النصائح التربوية. قال جابر الجعفي أحد تلامذة الصادق (سمعت أبا عبد الله يقول أنَّ علياً عليه السلام كان يقول اقتربوا، اقتربوا واسألوا فإن العلم يقبض قبضاً)[٨]. وذات مرة ضرب لتلامذته مثالاً آخر من سيرة الإمام علي فقال: (إن أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى عماله أدقوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا من فضولكم، واقصدوا قصد المعاني

---

[٢] ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٧-٣٠٨.

(٢) الكشي، الرجال، ص ١٢٢ – ٣.

(٣) يقصد مسجد الكوفة .

(٤) الرجال، ص٣١.

(٥) يقصد الشيعة.

(٦) ضبط الكشي (الرجال، ص ١٨٤) اسم معروف الخربوذ على صورة معروف بن خربوذ.

(٧) مناقب آل ابي طالب، ج٣، ص ٣٤٠.

(٨) المجلسي، بحار الانوار، ج١١، ص ٦٣.

وإياكم والإكثار)[١]. وكان الصادق ﷺ يشجع طلبته على كتابة ما يسمعون عنه خوف النسيان. وذات مرة قال لتلميذه عبيد بن زرارة أن رسول الله ﷺ قال قيِّدوا العلم، وفسَّر تقييد العلم بكتابته. ثم قال له: (احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها)[٢]. وفي مرة قال لأصحابه (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون كامل العقل، ولا يكون كامل العقل حتى يكون فيه عشر خصال الخير منه مأمول، والشر منه مأمون... ولا يسأم من طلب العلم عمره....)[٣].

ثالثاً: كان الصادق يصحح مؤلفات تلامذته أحياناً ويجيب على أسئلتهم خطاً. روى الحلي أن لعبيد الله الحلبي كتاباً (عرضه على الصادق ﷺ وصححه وقال عند قراءته ليس لهؤلاء في الفقه مثله. وهو أول كتاب صنفه الشيعة)[٤] وذات مرة قال للصادق أحد طلابه: (أريد أن أسألك عن مسائل، قال اذهب فاكتبها وأرسل بها إليَّ)[٥]. روى أحدهم أنه كان عند الصادق حينما دخل عليه رجل ومعه صحيفة مسائل...)[٦] وعندما كتب النجاشي إلى الصادق يسأله كتب الإمام إليه (رسالة عبد الله النجاشي المعروفة)[٧].

رابعاً: يظهر أن طائفة من تلامذة الصادق كانوا يلازمونه مدة طويلة ليكملوا

(١) القمي، الخصال، ص ١٤٩.

(٢) الجزائري، نعمة الله، الانوار، ص ٣٧٢.

(٣) الطوسي، الرجال، ص ٢٣١.

(٤) الطوسي، الرجال، ص ٥٦.

(٥) الكشي، الرجال، ص ٢٣١.

(٦) الطوسي، الرجال، ص ١١٢

(٧) النجاشي، الرجال، ص ٧٩.

دراستهم على يده. روى محمد بن مسلم الطائفي أنه أقام بالمدينة أربع سنين[١] وسأل الصادق أحد أصحابه عمن يأخذ الحديث قال له الإمام (ما يمنعك من محمد بن مسلم؟ فإنه قد سمع من أبي وكان عنده وجيهاً) وكان مسلم هذا قد صحب الباقر والصادق (وروى عنهما وكان من أوثق الناس)[٢]. وذات مرة قال زرارة بن أعين للصادق (جعلني الله فداك أسالك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتيني. فقال يا زرارة بيت يحج قبل آدم بألفي عام تريد أن تفنى مسائله بأربعين عاماً)[٣]. كما يظهر أن طائفة من تلامذة الصادق كانوا يفدون على المدينة للقاء الإمام في كل سنة. وكان من بين اولئك التلاميذ عمر بن محمد بياع السابرى، وعمر هذا أحد من كان يفد في كل سنة)[٤].

خامسا: يبدو أن الإمام الصادق كان يدير المناقشات التي تحصل بين تلاميذه أو بينهم وبين أتباع المذاهب الاخرى. روى الكشى أن رجلاً من أهل الشام ورد على الصادق فقال: (بلغني إنك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لاناظرك. فقال أبو عبد الله عليه السلام فبماذا؟ قال في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفعه. فأمر الإمام صاحبه حمران أن يناظره فأفلجه. فقال الشامي عن حمران رأيته حاذقاً ما سألته عن شيء إلا أجابني فيه). وتناظر الشامي المذكور في المجلس نفسه مع زرارة في الفقه فغلبه زرارة. ثم ناظر الشامي مؤمن الطاق في الكلام فتغلب مؤمن الطاق عليه. وناظره الطيار في الإستطاعة فأفلجه. وناظره هشام بن الحكم في

---

(١) الكشي، الرجال، ص ١٠٩.

(٢) ابن داود الحلي، الرجال، ص ٣٣٦.

(٣) النجفي، محمد حسن، الجواهر، ج٣، (حجر) ص ٢٧٣.

(٤) الحلي، الرجال، ص ١١٩.

الإمامة فتغلب عليه. وناظره هشام بن سالم في التوحيد فسُجل الكلام بينهما[١] وربما كان في الرواية المذكورة مبالغة لأنه يندر أن يكون رجل كالشامي المذكور عالماً بجميع العلوم التي ورد ذكرها فيها.

سادساً: كان الإمام الصادق يحرّض طلبته على تعلم الحديث ومعالم الدين الاخرى قبل فوات الفرصة. قال صالح بن الأسود (سمعت جعفر بن محمد يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدثكم أحد بعدى بمثل حديثي)[٢]. وقال الصادق مرة: (من حفظ من أحاديثنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً)[٣]. وقال الصادق: (إن اجلت في عمرك يومين فاجعل أحدهما لأدبك لتستعين به على يوم موتك، فقيل له: وما تلك الإستعانة ؟ قال تحسن تدبير ما تخلف وتحكمه)[٤].

ونختم كلامنا عن الإمام الصادق برأي الشهرستاني عنه: (هو ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات. وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم.... ثم دخل العراق وأقام بها مدة ما تعرض للإمامة قط، ولا نازع أحداً في الخلافة قط. ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط، ومن تعلى الى ذروة

(١) الكشي، الرجال، ص ١٧٨.

(٢) المجلسي، بحار الانوار، ج١١، ص ١١٣.

(٣) الكيلني، الكافي، ج٨، ص ١٥٧.

(٤) أيضاً، ج٨، ١٥٧.

الحقيقة لم يخف من حط)[١].

ودأب الأئمة المعصومون من أبناء الصادق وأحفاده على تعليم شيعتهم من أسلاف الإمامية علوم أهل البيت، ولكنهم لم يصلوا المرتبة التي وصلها الباقر والصادق من قبلهم، كما إن دورهم لايمكن أنْ يقارن بالدور الذي لحق دورهم والذي كان من رجاله العياشي الذي قيل (أنه أنفق في العلم تركة أبيه وهي ثلثمائة ألف دينار، وكانت داره كالمدرسة للمشتغلين....)[٢]. ومن رجال الدور المذكور الشيخ الصدوق القمي (ت ٣٨١هـ) والشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) والشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) والشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) وأخيراً شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي الذي ينتهي بحثنا عند وفاته سنة (٤٦٠هـ). ويمكن أن نجمل الأسباب التي دعت إلى ذلك فيما يأتي :

أولاً : كانت رقابة خلفاء بني العباس المعاصرين للإمام موسى الكاظم بن الإمام الصادق شديدة على الشيعة وعلى إمامهم موسى. قال هشام بن سالم (كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام... فقعدنا في بعض أزقة المدينة.... فنحن كذلك إذ رأيت شيخاً يومي إليَّ بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع، بعد جعفر إليه الناس فيؤخذ فيضرب عنقه)[٣]. وذات مرة جاء أحدهم يسأل الإمام موسى، كما كان يسأل

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ص ٣٣٤ – ٥.

(٢) ابن داود الحلي، الرجال، ص ٣٣٥.

(٣) المفيد، الارشاد، ص ٢٦٦.

أباه، قال له الإمام (سل تُخبر ولا تُذع فإن أذعتَ فهو الذبح)(١). وسأل أحدهم الإمام موسى عن مسألة فقال - (إذا هدأت الرجل وانقطع الطريق فأقبل...)(٢). وسبق أنْ أشرنا إلى أن أحد الشيعة عاتب الإمام الرضا لأنه فتح بابه للإفتاء، خلافاً لخطة أبيه موسى، فقال أنه ليس عليه من هارون الرشيد بأس.

ثانياً : إنشغال الإمام علي الرضا لفترة من حياته في السياسة وذلك حين ولاه المأمون ولاية العهد واستقدمه لخراسان حيث توفي هناك.

ثالثاً: تجديد رقابة الخلفاء العباسيين، وخاصة المتوكل، على أئمة الشيعة المتأخرين. وحمل المتوكل الإمام العاشر من المدينة الى سامراء وأوكل شخصاً من أهل الأدب والقرآن بتعليمه وكان هدفه أن يمنع اتصال الشيعة به(٣). وسبق أن أشرنا في الفصل الأول من هذه الرسالة الى الإجراءات التي اتخذها المتوكل ضد مؤسسات الشيعة بما فيها قبر الحسين عليه السلام بكربلاء.

وبالرغم من كل ما سبق قام الأئمة بعد الصادق حتى غيبة الإمام الثاني عشر في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة بدور مهم في تعليم أسلاف الإمامية من الشيعة. وسنورد أمثلة على نشاطهم في حقل التعليم في تلك الفترة.

تولى الإمامة بعد الصادق ابنه موسى الكاظم (ت ١٨٣هـ). وقد أبدى الكاظم عليه السلام نشاطاً في تعليم شيعته رغم ما تعرض له من مضايقة وسجن أيام الرشيد. ومن أشهر تلامذته إبراهيم المروزي مؤدب أولاد السندى بن شاهك

(١) الكيلني، الكافي، ج١، ص ٢٧.

(٢) الكيلني، الكافي، ج١، ص ٢٧.

(٣) المسعودي، الوصية، ص ١٩٣.

الذي اوكلت له رقابة الإمام موسى في السجن ببغداد. وكان إبراهيم يروي الحديث عن الإمام الكاظم، وألف كتاباً ضمَّنه ما سمعه من أحاديث الإمام وهو في الحبس[1]. ومن تلامذته علي بن يقطين (وله كتاب مسائل موسى بن جعفر عليه السلام)[2]. وكان علي بن جعفر من تلامذة أخيه الكاظم وله مسائل مشهورة عنه وجوابات رواها سماعاً منه[3]، وكان محمد بن عمير ممن (لقي أبا الحسن موسى عليه السلام وسمع منه أحاديث...)[4]. ومن تلامذة الكاظم ابنه عبد الله. قال الطوسي إن (عبد الله بن موسى بن جعفر عليه السلام روى عن أبيه)[5]. وكان الحسن بن بشار المدايني من تلامذته عليه السلام وقد (روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام)[6]. وممن درس على الإمام موسى محمد بن أبي عمير الأزدي فلقي (أبا الحسن موسى عليه السلام وسمع منه أحاديث كنّاه في بعضها فقال يا أبا أحمد....)[7]. وكان بكر بن الأشعت من تلامذة الكاظم. وقال النجاشي أنه روى (عن موسى بن جعفر كاتباً)[8]. وممن درس على الإمام موسى علي بن سويد. وقال علي مرة (كتبتُ إلى أبي الحسن عليه السلام وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة

---

(١) النجاشي، الرجال، ص ٣١٩.

(٢) الفهرست، ص ٧٣.

(٣) المفيد، الارشاد، ص ٢٦٦.

(٤) الحلي، الرجال، ص ٤٩.

(٥) الرجال، ٣٥٣.

(٦) الحلي، الرجال، ص ٢٥٠.

(٧) النجاشي، الرجال، ص ٢٥٠.

(٨) الرجال، ص ٨٤.

اأحتبس الجواب عليَّ أشهراً ثم أجابني هذه نسخته....)[١].

روى أبو الوضاح أنَّ أباه قال (كان جماعة من خاصة أبي الحسن عليه السلام من أهل البيت والشيعة يحضرون ومعهم في أكمامهم ألواح آبنوس لطاف وأميال فإذا نطق أبو الحسن بكلمة أو أفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك)[٢]. ومن الصعب تقدير الدور الذي قامت به تلك الألواح من حيث هي وسيلة للتسجيل لأن الألواح التي تحمل لابد أن يكون حجمها صغيراً فيصعب حينئذ على المسجل أن يسجل عليها مواد كثيرة، لاسيما أنَّ ما يُملى من فقه وحديث يحتاج الى فراغ كبير. أما الأميال[٣] التي كانت تستعمل للتسجيل فيبدو إنها مكونة من مادة تقوم مقام الطباشير اليوم.

أما الإمام الرضا عليه السلام (ت ٢٠٣هـ) فرغم انشغاله لفترة من حياته في السياسة، أسهم هو الآخر بتبليغ علوم آل الرسول ﷺ للإمامية. وذات مرة قال الحسن بن موسى الوشاء البغدادي (كنت بخراسان مع علي بن موسى الرضا في مجلسه... وأبو الحسن مقبل على قوم يحدثهم)[٤]. ويقول الحلي إن (يونس بن عبد الرحمن

---

(١) الكليني، الكافي، ج٨، ص ١٢٤.

(٢) المجلسي، الحبار، ج١٢، ص ٢٧٨.

(٣) يظهر أن الأميال المذكورة مكونة من مادة قابلة للكتابة على ألواح الآبنوس السود. ولعل تلك المادة شبيهة بالطباشير. ويبدو ان الطباشير كان معروفاً في بداية القرن الخامس للهجرة. وعندما حدث غلاء ببغداد سنة ٤٣٩ هـ بيع الطباشير درهم بدرهم من فضة. (ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ١٣٢).

(٤) المجلسي، بحار الانوار، ج١١، ص ٦٥.

مولى علي بن يقطين أبو محمد... روى عن أبي الحسن موسى وعن الرضاﷺ...)[١]. وقال أحدهم للرضا إني لا ألقاك كل وقت فعن من آخذ معالم ديني فقال خذ من يونس بن عبد الرحمن)[٢]. روى محمد بن أبي عمير مولى الأزد (عن أبي الحسن الرضا عليه السلام)[٣]. ودخل محمد بن عيسى بن عبد الله الأشعرى شيخ القميين (على الرضا وسمع منه)[٤]. وكان عبد الله بن سعد بن حيان من بين من لقي الرضا ﷺ وروى عنه كتاب الديات)[٥]. روى الحلي أن الحسن بن الجهم الشيباني (روى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام)[٦]، وكان (لعبد الله بن أحمد بن عامر الطائي نسخة رواها عن الرضا ﷺ (ويقول النجاشي إنه قرأها على شيخه أحمد بن موسى الجندي)[٧]. قال الحلي أن الحسن بن محمد بن الفضل (روى عن الرضا عليه السلام نسخة)[٨]. روى الصدوق أن عبيد بن هلال قال: (سمعت أبا الحسن الرضا ﷺ يقول: إني أُحب أن يكون المؤمن محدِّثاً. قال قلت:

(١) الحلي، الرجال، ص ٨٩.

(٢) الحلي، الرجال، ص ١٤١.

(٣) أيضاً، ص ١٥٤.

(٤) أيضاً، ص ٥٥.

(٥) أيضاً، ص ٤٣.

(٦) النجاشي، الرجال، ص ٧٨.

(٧) الرجال، ص ٧٨.

(٨) الرجال، ص ٤٣.

وأي شيء المحدَّث ؟ قال المفهم)[١] -[٢]. وروى الصدوق أيضاً أنَّ عبد السلام بن صالح الهروي قال: (سمعتُ أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: وكيف يحيي أمركم ؟ قال يتعلم علومنا ويعلّمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا، قال: قلت يا بن رسول الله فقد روي لنا عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: من تعلّم علما ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو ليقبل بوجوه الناس إليه فهو في النار. فقال عليه السلام : صدق جدي عليه السلام أفتدري مَن السفهاء ؟ فقلت: لا، يا بن رسول الله، قال عليه السلام: هم قصاص مخالفينا، أَوَ تدري مَن العلماء ؟ قلت: لا، يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هم علماء آل محمد عليهم السلام الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودتهم، ثم قال: أَوَ تدري ما معنى قوله:أو ليقبل بوجوه الناس إليه ؟ فقلت لا ، فقال عليه السلام: يعني والله إدعاء الإمامة بغير حقها، ومن فعل ذلك فهو في النار)[٣].

ويمكننا أن نستنتج من النصين السابقين اللذين رواهما الصدوق القمي ما يأتي :

أولاً : إن الراوي استعمل في كلا النصين عبارة (سمعت) وهي أرفع الطرق الواقعة في التحمل عند جمهور المحدثين، كما سنشرح ذلك. يضاف الى ذلك أن طريقة الأسئلة والأجوبة التي سنشير إليها في الفصل الخامس من هذه الاطروحة قد استعملت في النص الثاني بوضوح.

(١) جاء في عيون اخبار الرضا للصدوق (ج١ ٣٠٧ الحاشبة) المفهم – الذي يتعلم ويدرك علومهم عليهم السلام ويعلمها للناس.

(٢) عيون اخبار الرضا، ج١، ص ٣٠٧.

(٣) عيون اخبار الرضا، ج١، ص ٣٠٧ – ٨.

ثانيا : إن الإمام أوضح في النص الثاني لتلميذه إن الذي يحيي أمر الإمام هو من يتعلم علوم آل البيت ويعلمها للناس. ومن هذا يظهر أن تعلم تلك العلوم وتعليمها، كما سبق أنْ أشرنا الى ذلك في مواضعه من هذه الرسالة، من الامور التي يثاب عليها المؤمنون.

ثالثاً : لقد وصف الإمام قصاص المخالفين للشيعة بأنهم السفهاء، كما فسر عبارة (العلماء) الواردة بحديث جده الصادق والذي ذكره به تلميذه، بأنها تعني (علماء آل محمد) أي علماء شيعتهم.

وقد وردت إشارة يستفاد منها أن الإمام الرضا عليه السلام كان يشير على بعض تلامذته بتلقي العلم عن بعض النابهين من تلامذته. وكان تلميذه زكريا بن آدم الذي روى عنه الحديث من بين هؤلاء. (وقال الرضا عليه السلام أنه، أي زكريا، المأمون على الدين والدنيا.... وقال ابن المسيب الهمداني... قلت للرضا عليه السلام - شقتي بعيدة ولستُ أصل إليك في كل وقت فممن آخذ معالم ديني ؟ قال من زكريا بن آدم...)[1].

وقد وردت إشارتان شبيهتان بالإشارة المذكورة قال في إحداهما (ابو عبد الله عليه السلام لسليم بن أبي حبة لما ودّعه : إئت أبان بن تغلب فإنه سمع مني حديثاً كثيراً، فما روى لك عني فاروه عني)[2]. وقال في الثانية، إجابة لعبد الله بن يعفور حين قال له: (أنه ليس كل ساعة ألقاك ويمكن القدوم ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه. قال الصادق- (فما يمنعك من محمد بن

(١) الحلي، الرجال: ص ٧٥.

(٢) الحلي، ابن داود، الرجال: ص ١١.

مسلم الثقفي فإنه قد سمع من أبي وكان عنده وجيها ؟)[١].

ولما كانت الإشارات التي اوكل فيها الأئمة تعليم الشيعة للنابهين من تلاميذهم قليلة، وتكاد تنحصر، كما أعلم بالإشارات التي أوردتها هنا، لا يمكن أن يستنتج منها الكاتب قاعدة عامة.

ونختم ما قلناه عن جهود الرضا عليه السلام في حقل التعليم بالإشارة الى كتاب الشيخ الصدوق القمي الموسوم بـ (عيون أخبار الرضا) الذي سبقت الإشارة إليه والذي حوى تفصيلات عن جهود الرضا في حقلي الوعظ والتعليم يحسن بالقارئ أن يطلع عليها.

وكان الإمام محمد الجواد من بين الأئمة الذين نقلوا علوم آل محمد الى الشيعة أسلاف الإمامية. قال الحلي إن محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين (روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام مكاتبة ومشافهة)[٢]. وكان يعقوب بن اسحاق بن السكيت (متقدماً عند أبي جعفر الثاني عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام وكانا يختصان به، وله عن أبي جعفر رواية ومسائل. قتله المتوكل لتشيعه...)[٣] قال الحلي أن أحمد بن اسحاق القمي (روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام...)[٤]. قال النجاشي إن (الحسن بن العباس... روى عن أبي جعفر الثاني...)[٥] وكان لأحمد بن عبد الله

---

(١) الكشي، الرجال: ص ١٤٥.

(٢) الحلي، الرجال: ص ٦٩.

(٣) الحلي، الرجال: ص ٩٠.

(٤) أيضاً: ص ٩.

(٥) الرجال: ص ٤٨.

بن مصقلة الأشعري (نسخة عن أبي جعفر الثاني ﷺ)[١]. قال النجاشي إن بكر بن أحمد بن إبراهيم الأشبح (روى عن أبي جعفر الثاني ﷺ)[٢].

وتولى الإمامة بعد الجواد ابنه علي الهادي (ت٢٥٤هـ). وكان الإمام الهادي قد أسهم في تعليم شيعته علوم آل البيت. وكان أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الذي كان شيخ أهل اللغة واستاذ ثعلب ممن رووا عن أبي محمد الحسن بن علي وأبي الحسن علي الهادي قبله)[٣]. ويُعدُّ محمد بن عبد الله الأشعري من الثقات وكان قد (روى عن أبي الحسن الثالث ﷺ)[٤]. وكان محمد بن أحمد بن عبيد الله بن المنصور (اسند) عن الإمام الهادي[٥]. روى النجاشي أن لدواد الصرمي (مسائل) الى أبي الحسن صاحب العسكر ﷺ[٦].

وكان الإمام الهادي يحتفظ، شأنه الأئمة المعصومين، بصحيفة علي ﷺ التي سبقت الإشارة اليها[٧]. قال أحدهم إنه أتى علي بن محمد عائداً من مرضه الذي توفي فيه فحدَّثه حديثاً استحسنه فقال (يا ابن رسول الله، ما أدري أيهما أحسن الحديث أم الإسناد ؟ فقال. إنها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب بإملاء رسول

---

(١) أيضاً : ص ٧٩.

(٢) أيضاً : ص ٨٥.

(٣) الحلي، الرجال: ص ٩.

(٤) أيضاً، ص ١١.

(٥) الطوسي، الرجال: ص ٤٢٢.

(٦) الرجال: ص ١٢٣.

(٧) ص ٣٧.

الله ﷺ نتوارثها صاغراً عن كابر)[١].

وكان الإمام الحسن العسكري (ت٢٦٠هـ) ممن عمل على تبليغ علوم آل البيت للشيعة أسلاف الإمامية. وكان محمد بن الحسن الصفار من أصحاب العسكري وله مع الإمام مسائل[٢]. روى إبراهيم بن أبي حفص الكاتب عن أبي محمد العسكري[٣]. وكان محمد بن سليمان بن الحسن الرازي حسن الطريقة (وله الى مولانا أبي محمد عليه السلام مسائل وجوابات)[٤]. وكان لعبد الله بن جعفر الحميري القمي كتاب (مسائل لأبي محمد الحسن...)[٥].

وقد وردت تفصيلات عن أصحاب الأئمة في كتب الرجال والحديث أمثال رجال الكشي، والنجاشي، والطوسي، والحلي، وابن داود الحلي. والكافي للكلينى والاستبصار للطوسى وغيرهم.

وبعد أن استعرضنا الدور الذي مثلّه الأئمة المعصومون في حقل التعليم عند أسلاف الإمامية نقول إن دور الأئمة المعصومين في تبليغ علوم آل البيت للشيعة أسلاف الإمامية ونشرها بينهم، رغم أهميته وخطر شأنه، لا يبلغ الدور الذي قام به مشايخ الشيعة في التبليغ المذكور. ويكون أن نجمل أسباب ذلك فيما يأتي :

أ - يظهر إن الضغط الذي مارسته السلطات المتعاقبة خلال عهد الأئمة

(١) المسعودي، مروج الذهب: ج٤: ص ١٧١.

(٢) الطوسي، الرجال: ص ٤٣٦.

(٣) الحلي، الرجال: ص ٤.

(٤) أيضاً: ص ٧٦.

(٥) النجاشي، الرجال: ص ١٦٣.

جعل اولئك الأئمة في وضع لا يستطيعون معه القيام برسالتهم التعليمية على الوجه المطلوب. وقد ضربنا أمثلة من ضروب الضغط المذكور في مواضعه من هذه الرسالة.

ب - إن سكنى الأئمة كلهم في الحجاز ماعدا فترات قصيرة استقدمهم فيها الخلفاء للعراق لتشديد المراقبة عليهم، وشلّ نشاطهم في تبليغ علوم آل البيت ونشرها وذلك لتركز علماء أهل الحديث والسُّنة هناك. وكان اولئك العلماء يتعاونون مع السلطان لمقاومة انتشار العلوم المذكورة لأنها كانت في نظرهم من (البدع) التي يجب مقاومتها.

جـ - إن وجود الأئمة في الحجاز، أيضاً جعلهم بعيدين عن المراكز التي ينتشر فيها مواليهم أو شيعتهم كالعراق ومنطقة قم في إيران، لذا كان تعليمهم مقتصراً في الغالب على الجماعة المحدودة التي تيسر لها لقاؤهم في الحجاز.

ومن الجدير بالذكر إن نشاط مشايخ الشيعة في تعليم علوم آل البيت ونشرها بلغ ذروته خلال القرن الرابع للهجرة والنصف الأول من القرن الخامس. ولعل انشغال الخلفاء العباسيين وعلماء أهل السُّنة في المشكلات التي نشأت عن ظهور مذهب المعتزلة في النصف الأول من القرن الثالث، وضعف الخلفاء العباسيين نتيجة لسيطرة الطبقة العسكرية من الأتراك في النصف الثاني من القرن المذكور وأوائل القرن الرابع، كانا من العوامل المساعدة على تسهيل مهمة اولئك الشيوخ الرامية لنشر قواعد المذهب الجعفري وتعاليمه. وبعد قيام الحكم البويهي في العراق وإيران أصبح عمل شيوخ الشيعة أكثر سهولة وذلك لتوفر الحرية النسبية للشيعة الإمامية خلال العصر البويهي. وقد عمل اولئك الشيوخ تحت زعامة

الشيخ الصدوق القمي والمفيد والشريفين الرضي والمرتضى ثم شيخ الطائفة الشيخ الطوسي على نشر قواعد المذهب الجعفري بتعليمه والتشجيع على تعلمه. ويبدو أن مشايخ الشيعة استغلوا الحرية التي وفّرها لهم العهد البويهي أحسن استغلال. فكان الشيخ المفيد يستميل أُمراء الأطراف لمذهبه. ووضع الشريفان الرضي والمرتضى إمكاناتهما الفكرية والمالية لتشجيع دراسة المذهب الجعفري ونشره.

وسنورد تفصيلات عن ضروب نشاط مشايخ الشيعة الإمامية وأسلافهم بعد قليل.

ثانياً- الشيخ :

الشيخ في اللغة هو الذي استبانت فيه السنّ وظهر عليه الشيب[١]. وإطلاق الشيخ على الاستاذ والعالم وكبير القوم ورئيس الصناعة إنما هو باعتبار الكبَر في العلم والفضيلة والمقام ونحو ذلك[٢]. ويعني الشيخ في الإصطلاح الكبير أو المتقدم في فن أو صناعة. فالنجاشي، مثلاً، يسمّي المؤرخ أبا مخنف (شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم)[٣]. ويسمي الطوسي عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب بـ (شيخ الطالبيين) كما يسمي أحمد بن إبراهيم الكاتب النديم بـ (شيخ أهل اللغة)[٤]. وكان محمد بن أحمد بن داود (شيخ القميين في وقته وفقيههم)[٥].

إن البحث بالإستعمالات السابقة لا يهمنا هنا، بل الذي يهمنا هو لقب (الشيخ) باعتباره لقباً تعليمياً. وهو بهذا المعنى كثير الاستعمال عند طوائف المسلمين كافة ومن بينهم الشيعة الإمامية وأسلافهم. ومن أمثلة استعمالاته عند الإمامية قول النجاشي أن الحسن بن علي سفين البزوفري ألّف كتاب أحكام العبيد، و(قرأت هذا الكتاب على شيخنا أبي عبد الله (ر)[٦]. قال الشيخ الطوسي

---

(١) ابن منظور مادة (شاخ) لسان العرب: ج٣: ص ٣١ ؛ الزبيدي مادة (شاخ) تاج العراوس: ج٢: ص٢٦٥.

(٢) الشرتونى، الخوري سعيد (شاخ) اقرب الموارد: ج١: ص ٦٢٥.

(٣) الرجال: ص٢٤٥.

(٤) أيضاً: ص ١٢١، ٤٢٧ – ٨.

(٥) الحلي، الرجال: ص ٧٩.

(٦) الرجال: ص ٥٤.

عند ذكره لسند كتابه الموسوم بـ (الاستبصار) (فما ذكرته عن محمد بن يعقوب الكليني فقد أخبرنا به الشيخ المفيد... وما ذكرته عن أحمد بن إدريس فقد رويته بهذه الأسانيد... وأخبرني بجميع رواياته أيضاً الشيخ أبو عبد الله... ويقول الطوسي أيضاً (أخبرني الشيخ المفيد عن شيخه الفقيه عماد الدين أبي جعفر....)[١] قال جعفر بن محمد بن قولويه (حدثنا أبي وسائر شيوخي)[٢].

وعندما يتكلم الصدوق في أماليه الذي أشرنا إليه في الفصل الثاني من هذه الرسالة (يقول حدثنا الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن موسى بن بابويه)[٣]. كان (جعفر بن محمد... بن قولويه.... شيخ المفيد.... مات سنة ثمان وستين وثلثمائة)[٤].

وكان لقب (الشيخ) معروفاً عند أهل السنة بالمعنى السابق أي أنه من ألقاب معلمي العلوم. روى أحدهم أنه حضر يوم الجمعة (مجلس محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨هـ) فصحَّف الشيخ محمد إسماً ورد في إسناد حديث، فأعظم المستمع ان يحمل عن مثل الشيخ الانباري في فضله وجلالته وهم)[٥]. وقد حدَّث ابن الجوزي جماعة من مشايخه عن جابر بن ياسين الجبائي (ت ٤٦٤هـ) الذي كان ثقة من أهل السنة، كما روى أشياخه عن محمد بن أحمد الإصبهاني الشافعي المتوفى

---

(١) الاستبصار: ج٣: ص ٣٥٣، ٣٥٦.

(٢) النجاشي، الرجال: ص ٦.

(٣) الصدوق القمي، الامالي: ص ٩٩.

(٤) ابن داود، الحلى، الرجال: ص ٨٨.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم: ج٦: ص ٣١٢.

سنة (٤٦٤هـ)[١].

وسنضرب أمثلة يرد فيها لقب (الشيخ) في المصادر مقروناً مع التعليم بكثرة مما يدل على أن اللقب المذكور كان أكثر شيوعاً عند الإمامية وأسلافهم من غيره من ألقاب معلمي العلوم في الفترة موضوع البحث. قال النجاشي كان لإسماعيل بن علي بن نوبخت (كتاب التنبيه في الإمامة قرأته على شيخنا أبي عبد الله)[٢]. قال الشيخ الصدوق عند ذكره لمصادر كتابه الموسوم بـ (من لا يحضره الفقيه -... وغيرها من الاصول والمصنفات التي طرقي إليها معروفة في فهرست الكتب التي رويتها عن مشايخي وأسلافي رضي الله عنهم)[٣].

قال النجاشي كان (صالح بن محمد الصراي شيخ شيخنا أبي الحسن الجندي)[٤]. وقال أيضاً (كان إبراهيم بن عمر اليماني الصنعاني شيخ من أصحابنا... له كتاب يرويه عنه حماد بن عيسى وغيره)[٥]. روى أحمد بن الحسين بن سعيد مولى علي بن الحسين (عن جميع شيوخ أبيه إلا حماد بن عيسى)[٦]. قال النجاشي كان (أحمد بن عبد الواحد.... البزاز شيخنا المعروف بابن عبدون... قوياً في الأدب قد قرأ كتب الأدب على شيوخ أهل الأدب... [٧]. قال النجاشي

(١) أيضاً : ج٨: ص ٢٧٤.

(٢) الرجال: ص ٢٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه : ج١: ص .

(٤) الرجال : ص ١٤٩.

(٥) أيضاً : ص ١٦.

(٦) النجاشي، الرجال: ص ٦٠.

(٧) أيضاً : ص٦٨.

كان « أحمد بن محمد بن عمران... استاذنا رحمه الله ألحقنا بالشيوخ في زمانه...)[١]. وعندما يترجم الطوسي للمرتضى يقول « علي بن الحسين الموسوي... أكثر أهل زمانه أدبا وفضلاً، متكلم فقيه، جامع للعلوم كلها... يروي عن التلعكبري والحسين بن علي بابويه وغيرهم من شيوخنا... وسمعنا منه أكثر كتبه وقرأناها عليه»[٢]. وعندما يترجم النجاشي لجعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه يقول «وعليه قرأ شيخنا أبو عبد الله الفقه ومنه حمل، وكل ما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه «[٣]. وقال أحدهم « أخبرنا الشيخ المفيد أبو علي الحسن بن محمد الطوسي قرأه عليه « [٤].

ونستنتج من كل ما سبق:

أولاً: إن لقب «الشيخ» كان من الألقاب التعليمية الأكثر شيوعاً عند الإمامية في الفترة موضوع البحث. وربما كان أكثر ألقاب معلمي العلوم بما فيهم الإمام، شيوعاً. إذ كان لقب الإمام لا يطلق عند الإمامية في تلك الفترة، إلا على الأئمة الإثني عشر المعصومين عليهم السلام يضاف إلى ذلك أن لقب الإمام كان بالدرجة الاولى لقباً دينياً مصدره إلهي لا بشري، ومما يؤيد ماذهبت إليه عن الشيخ مارواه مسكويه، في معرض كلامه عن تشجيع عضد الدولة البويهي للعلم « فعاشت هذه العلوم وكانت مواتاً وتراجع أهلها وكانوا أشتاتاً، ورغب الأحداث في التأدب

(١) أيضاً : ص٦٧.

(٢) الطوسي، الرجال: ص٤٨٥.

(٣) الرجال : ص٩٥.

(٤) الطوسي، الاماني: ص٢٢٣.

والشيوخ في التأديب وانبعثت القرائح ونفقت أسواق الفضل وكانت كاسدة، وأخرج من بيت المال أموال عظيمة صرفت في هذه الأبواب وفي غيرها...»[١].

ثانياً: قد يكون حمل العالم للقب «شيخ» من بين الأدلة التي يستدل بها تحقق أهليته العلمية. كما أن حامله يكون من العلماء المتقدمين في السن على الأغلب. وقد وردت إشارة تؤيد ما ذهبت إليه بهذا الخصوص. قال النجاشي عند ترجمته لابن بابويه القمي «أبو جعفر نزيل الري شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان. وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن...»[٢].

ولترتون رأي يؤيد فيه ضرورة التقدم في السن لمن يتصدى لتعليم العلوم، يقول فيه يندر أن يتصدى المعلم (يقصد معلم العلوم) للتدريس وهو حدث السن. ويضرب ترتون أمثلة على ذلك منها أن شاباً في سن الثامنة عشر رفض أن يدرّس العلوم في المدينة لصغر سنه وذهب مع طلبته ليدرس في حديقة تقع خارج المدينة[٣]. ويقول ترتون أيضاً ينبغي أن يكون عمر المعلّم، حين يتصدى لتدريس العلوم، خمسين أو أربعين سنة على الأقل، وينقطع عن التدريس عادة بعد أن يتجاوز سنُّه الثمانين سنة[٤].

---

(١) مسكويه، المصدر السابق، ج٦، ص٤٠٨.

(*) الارقام من ٢١٥ الى ٢١٨ كررت سهواً.

(٢) الرجال، ص٣٠٢.

(3) Tritton، A.S، Materials On Muslim Edu Cation in the Middle Aqes London، 1957، P. 123

(4) Ibid، p.221

وأعتقد أن الآراء السابقة التي أوردها ترتون عن معلمي العلوم عند المسلمين تنطبق على الإمامية منهم، لان النظام التربوي عند الإمامية فرع من التربية الإسلامية عامة، ولأن النص الذي أوردته عن النجاشي قبل قليل يسند شطراً من المعلومات المذكورة.

ثالثاً: يبدو أن لقب «شيخ» عند الإمامية يفوق من حيث الأهمية نظيره عند أهل السُّنة لأنه كان، فضلاً عن أنه لقب لمعلم العلوم الإعتيادي، يمنح للمبرزين في العلوم أمثال الشيخ الصدوق والمفيد والإسكافي، شيخ الإمامية في عهده، وأخيراً شيخ الطائفة الطوسي. وكان اللقب المذكور عندما يحمله الإمامي المبرَّز في العلوم، يقترب من الناحية التعليمية من لقب « الإمام » عند أهل السُّنة الذي حمله سهل بن محمد الصعلوكي (ت ٣٨٧ هـ)[١]. وإمام الحرمين استاذ الغزالي[٢] ومما يبرر الإستنتاج المذكور إن الإمامية كانوا، وربما لايزالون، لايستسيغون تلقيب أحد بلقب الإمام غير الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ونختم الكلام عن الشيخ برأي لكاتب إمامي متأخر وهو الشيخ الشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ) يقول فيه « وأما الشيخ فأنه وإن أُريد به المتقدم في العلم ورياسة الحديث لكن لايدل على التوثيق»[٣].

أما لقب استاذ، فيظهر أنه الآخر نادر الاستعمال لمعلمي العلوم في تلك الفترة. ومن الأدلة على ذلك أن الشيخ الطوسي كان لايستعمله، إلا نادراً، للرجال الذين

---

(١) ابن خلكان، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥.

(٢) السبكي، عبد الوهاب، طبقات الشافعية، ج٤، (القاهره، لا.ت) ص١٠٣.

(٣) الدراية في علم مصطلح الحديث (النجف، لا.ت) ص٧٨.

ترجم لهم في كتابه الموسوم بـ «الرجال». ولم أعثر على استعماله بمثابة لقب لمعلمي العلوم إلا مرة في الكتاب المذكور وذلك حين وصف أحمد بن إسماعيل بأنه استاذ ابن العميد[١]. ويبدو أن لقب «استاذ أصبح مستعملًا كأحد القاب معلمي العلوم الشائعة في الفترة اللاحقة للفترة التي تناولها بحثنا. ومن الأدلة على ذلك ورود اللقب المذكور مرات عديدة في رجال الحلي [٢].مع أنه لم يرد، كما أشرت سابقاً إلا مرة واحدة في رجال الطوسي.

ثالثا : المـدرّس

يظهر أنّ لقب المدرس من حيث هو لقب تعليمي كان متأخراً في الإستعمال عن لقب الشيخ. ومع هذا فقد أُطلق لقب مدرس على أحد العلويين في وقت مبكر. روى المسعودي أنه لما ظهر يحيى بن عمر العلوي بالكوفة سنة ثمان وأربعين ومائتين وقتله جيش الخليفة العباسي بقيادة الحسن بن إسماعيل جاء الناس للسلام عليه ماعدا علي بن محمد بن جعفر العلوي المعروف بالحماني الذي كان « مفتيهم وشاعرهم ومدرّسهم ولسانهم»[٣]. ويبدو إن كلمة « مدرّس « هنا لا تعني الشخص الذي يقوم بالتدريس في المدرسة لأن المدرسة لم تكن قد ظهرت أولاً، وأن الحماني، كما يبدو، لم يكن محترفاً للتعليم. ثانياً – ويظهر أن لقب مدرّس شاع بعد ظهور المدرسة في أواخر القرن الرابع الهجري كما بينا في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

---

(١) الطوسي، الرجال، ص ٤٥٥.

(٢) الرجال، ص ٩١، ١٢، ١٠، ١٧، ٧٢، ٩، ١١١.

(٣) مروج الذهب، (القاهرة، ١٣٥٧)، ج٤، ص ٩٦.

وإليك الإشارات التي عثرت عليها والتي كانت تحوي كلمة « مدرّس»، بمعناها الاصطلاحي. قال المقدسي عند كلامه عن جزيرة العرب التي بها بيت الله الحرام ومدينة الرسول ﷺ التي منها «انتشر دين الإسلام... ثم هي عشرية قد ذكرها الأئمة في دواوينهم، ولابد للمدرّسين من معرفتها في شروحهم... »[١].

روى البهائي أن أحمد بن علي بن الحسين المؤدب (ت ٤٤٨ هـ) قال :

تصدَّر للتدريس كل مهوس — بليد تسمى بالفقيه المدرس

فحق لأهل العلم أن يتمثلوا — ببيت قديم شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هزالها — كلاها وحتى سامها كل مفلس[٣]

ولما كان شيوع المدارس وما صحبه من ظهور لقب «مدرّس» بمثابة لقب تعليمي تم بعد الفترة التي هي مجال بحثنا فلا نرى ضرورة لخوض هذا الموضوع.

مجلس الدرس وآدابه :

سبق أن بينا عند كلامنا على التدريس في المسجد[٣] أن الطلبة كانوا يجتمعون حول الشيخ[٤] على شكل حلق. وكان الطلبة يحرصون على الإقتراب من الشيخ لأن ذلك الإجراء سُنّة أولاً، ولأن الفائدة تتحقق لمن يكونوا قريبين من الشيخ ثانياً. وروى المجلسي أن جابر الجعفي كان يقول « سمعت أبا عبد الله يقول أن

(١) احسن التقاسيم، ص٦٧.

(٢) الكشكول ، ج٣ ، ص ٣٥٧ .

(٣) ص ٦٤ وما بعدها.

(٤) يقصد بالشيخ هنا معلم العلوم سواء كان إماماً أو شيخاً أو مدرساً.

علياً عليه السلام كان يقول اقتربوا، اقتربوا، واسألوا فإن العلم يقبض قبضاً »[١]. وكان الشيخ يستعين في مجلس الدرس، أحياناً، خاصة إذا كان عدد الطلبة كبيراً، برجل يعرف بالمستملي. وعندما قعد الصاحب بن عباد للإملاء « وحضر الخلق الكثير وكان المستملي الواحد ينضاف إليه ستة كل يبلغ صاحبه فكتب الناس »[٢].

وكان المستملي معروفاً عند أهل السُّنة أيضاً قال السبكي أن أبا عمرو « أحمد بن المبارك المستملي... »[٣].

ويورد ترتون تفصيلات عن وظيفة المستملي في النظام التربوي الإسلامي. يقول ترتون كانت وظيفة المستملي في الحلقات الكبرى إعادة ما يقوله معلّم العلوم لكي يسمع الطلبة الذين لم يستطيعوا سماع الشيخ. وهناك حالات رفض فيها الطلبة الإكتفاء بالسماع من المستملي. وذات مرة تخطى أحد الطلبة رقاب أصحابه ليصل الى مكان الشيخ ليسمع منه كلمة رغم أنه سمعها من المستملي. ويقوم المثال المذكور دليلاً على حرص الطلبة لأن يسمعوا من الشيخ مباشرة دون واسطة.

ويظهر أن طائفة من المستملين كانوا يقومون بوظائف مهمة في مجلس الدرس فمستملي الجبائي مثلاً كان يجيب على أسئلة الطلبة. وحدث أنَّ أحد المستملين صحح كلمة من القرآن كان الشيخ قد حرّفها.

وقد أصبحت وظيفة المستملي مابين القرنين الثالث والخامس للهجرة معترفا بها. ولم يكن عمل المستملي مقتصراً على معاونة الشيوخ المحدّثين بل أن المبرّد كان

(١) بحار الانوار، ج١، ص٦٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ١٨٠.

(٣) طبقات الشافعية، ج٢، ص٤٣.

يستعين بأحد المستملين[١].

أما عدد الطلبة في الحلقة فيظهر أنه كان غير محدود، ويصعب الوقوف على أرقام تبين عدد الطلبة في الحلقة الواحدة. ويعود ذلك الى عدم توفر الشكليات الموجودة في مؤسسات التعليم الحديثة أولاً: ولأن التعليم كان من الأعمال التي لها صبغة دينية، في الغالب، لذا كان يصعب على معلم العلوم دفع من شاء التعليم ثانياً.

وكان نظام الحلق معروفاً عند أهل السُّنة أيضاً. قال وكيع « أدركت الناس والحلقة لعلي بن عاصم بواسط »[٢].

ويظهر أن عدد الطلبة في مجلس الشيخ في الفترة التي سبقت ظهور المدارس المعروفة غير محدودة. وقد يتناسب العدد المذكور تناسباً طردياً مع شهرة الشيخ ورغبة الطلبة في السماع منه. ومع هذا فقد حذر الشهيد الثاني « الطلبة من التقييد بالمشهورين وترك الأخذ عن الخاملين فأن ذلك من الكبر على العلم وهو عين الحماقة لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ويغتنمها حيث ظفر بها »[٣].

آداب الشيخ:

للشيخ آداب في نفسه، وآداب مع طلبته، وآداب في مجلس درسه.

---

(1) Tritton، Op. Cit، p. 35-6.

(٢) اليافعي، المصدر السابق، ص٣.

(٣) منية المريد، ص ٩٥-٦.

أ - آدابه في نفسه.

١-أن لا ينتصب للتدريس حتى يظهر استحقاقه لذلك، ويشهد له به صلحاء شيوخه. قال الإمام علي « إنما هلك الذين قبلكم بالتكلف، فلا يتكلف رجل منكم أن يتكلم في دين الله بما لا يعرف، فإن الله عز وجل يعذر على الخطأ إن أجهدت رأيك »[١].

٢- صيانة العلم. على الشيخ أن يصون العلم، كما صانه علماء السلف، وأن لايذلّه فيبذله لغير أهله، وألاّ يذهب الى مكان المتعلم مهما كبر قدره إلا أن تدعو إليه ضرورة وتقتضيه مصلحة دينية [٢]. روى الطوسي أن رسول الله قال: « تناصحوا في العلم فأن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله وأن الله سائلكم يوم القيامة»[٣]. قال الإمام علي كانت الحكماء فيما مضى تقول يحسن بالانسان أن يسعى الى « أبواب العلماء الذين يستفاد منهم علم الدين والدنيا » [٤].

أن يكون الشيخ عاملاً بعلمه. قال الصادق (العلم مقرون الى العمل فمن علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل عنه) [٥].

بذل العلم عند وجود المستحق وعدم البخل به، وذلك أن الله أخذ على العلماء من العهود ما أخذه على الأنبياء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. قال الصادق

---

(١) اليعقوبي، التاريخ، (النجف، ١٣٥١)، ج١٢، ص ١٨٤.

(٢) الشهيد الثاني، منية المريد، ص٥٩.

(٣) الأمالي، ص٧٩.

(٤) القمي، الخصال، ج٢، ص٤٨.

(٥) ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، تذكرة السامع والمتكلم (حيدر آباد الدكن، ١٣٥٣) ص١٦.

« قرأت في كتاب علي عليه السلام أن الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلماء حتى أخذ عهداً على العلماء ببذل العلم للجهال، لأن العلم كان قبل الجهل ». قال الجعفي إن الباقر عليه السلام قال «زكاة العلم أنْ تُعلمه عباد الله» [1].

ومن الجدير بالذكر أن ما أوردناه عن آداب الشيخ في نفسه لا يعدو توصيات وردت عن الأئمة والشيوخ، ولايعني ذلك أن معلمي العلوم التزموا بالتوصيات المذكورة وطبقوها. يضاف الى ذلك أن كثيراً من تلك التوصيات مقتبس من آراء الشهيد الثاني وهو من علماء القرن العاشر للهجرة، لذا ليس من الضروري أن يكون ما أقترحه هنا قد طبقه معلمو العلوم في الفترة التي تناولها بحثنا.

ومما دعانا للاستفادة من توصيات الشهيد الثاني المذكورة هو أنه كان يشير أحياناً الى أنَّ بعض توصياته كانت تقليداً سبق للعلماء الماضين أن اتبعوه ومن ذلك ما أشار إليه في رقم (٢) الذي أوردناه قبل قليل.

ب- آداب الشيخ مع طلبته :

لقد اقتبست كثيراً مما أوردته في هذا الباب من توصيات الشهيد الثاني (ت ٩٦٥ هـ) من كبار شيوخ الإمامية، ومن القلائل الذين كتبوا في حقل التربية عند الإمامية كما سبق أنْ أشرتُ في مقدمة هذه الرسالة. وأغلب الظن أن التوصيات المذكورة تمثل تقاليد تعليمية درج عليها الإمامية.

أنْ يؤدبهم على التدريج بالآداب السنية والشيم المرضية، ورياضة النفس بالآداب الدينية، وأول ذلك أن يحرص الطالب على الإخلاص لله تعالى في عمله

---

(١) الشهيد الثاني، منية المريد، ص٦١.

وسعيه ويعرفه الشيخ أنَّ بذلك تنفتح عليه أبواب المعارف وينشرح صدره.

أنْ يرَغبهم في العلم ويذكر لهم فضائله وفضائل العلماء وأنهم ورثة الأنبياء[١].

أنْ يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها. قال ابن عباس أكرم الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إليَّ لو استطعت ألا يقع الذباب عليه لفعلت[٢].

أنْ يزجرهم من سوء الأخلاق وارتكاب المحرمات والمكروهات أو ما يؤدي الى فساد حال أو ترك اشتغال، بطريق التعريض ما أمكن لا بطريق التصريح، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة[٣].

أنْ لا يتعاظم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع قال النبيﷺ علِّموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف.

أنْ يكون حريصاً على تعليمهم باذلاً وسعه في تفقيههم وتقريب الفائدة الى أفهامهم وأذهانهم، ويفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه، ولا يعطيه ما لا يحتمله ذهنه، ولا يبسط الكلام بسطاً، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وحسب فهمه[٤].

إذا تكمل الطالب وتأهل للإستقلال بالتعليم واستغنى عن التعلم فينبغي

---

(١) أيضاً، ص٦٤.

(٢) الشهيد الثاني، منية المريد، ص٦٥.

(٣) الشهيد الثاني، منية المريد، ص٦٥.

(٤) أيضاً، ص٦٦.

أن يقوم المعلم بنظام أمره في ذلك ويأمر الناس بالإشتغال عليه والأخذ عنه، وسبق أنْ بيَنّا أن الإمام الباقر عليه السلام أذِنَ لأبان بن تغلب أن يفتي في مسجد المدينة، وأن الرضا عليه السلام أشار الى تلميذه يونس بن عبد الرحمن (في العلم والفتيا)[١]. وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام الى علي بن حمزة يلقاك غداً رجل من المغرب اسمه يعقوب «وإذا سألك عن الحلال والحرام فأجبه عني...»[٢]. وكانت الإجازات التي يمنحها الشيوخ لمن درسوا عليهم من بين الوسائل التي يعبر فيها أولئك الشيوخ عن رأيهم في مقدرة طلبتهم العلمية. وسنوضح ذلك في الفصل الخامس من هذه الرسالة.

جـ: آداب الشيخ في مجلس درسه.

إن أكثر ما سنذكره في هذا الباب، شأنه شأن ما ذكر في الفقرة السابقة لا يعدو توصيات اقتبس أكثرها من كتاب الشهيد الثاني سالف الذكر لذا ليس من الضروري أن المعلمين تقيدوا بها وطبقوها. وتلخص آداب الشيخ في درسه بما يأتي :

١- أنْ لا يخرج الى الدرس إلاّ كامل الأُهبة وما يوجب له الوقار والهيبة والنظافة في الثوب والبدن، ويختار له البياض فأنه أفضل لباس. وليتطيب ويسرح لحيته ويزيل كل ما يشينه. روى الشهيد الثاني أن بعض السلف إذا جاء الناس لطلب الحديث يغتسل ويتطيب ويلبس ثياباً جدداً ويضع رداء، على رأسه ثم

(١) النجاشي، الرجال، ص٣٤٨.

(٢) المفيد، الاختصاص، ص ٨٩.

يجلس على منصة ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ ويقول أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ(١).

أما الموضع الذي يجلس عليه الشيخ فيظهر أنه متعدد التسمية. وكان الكرسي أحد المواضع المذكورة. وذات مرة جاء رجل يسأل النبي ﷺ عن دينه فأتى النبي ﷺ « بكرسي فقعد عليه فجعل يعلّمه...» (٢). وعندما كبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ سنة (٤٤٩ هـ) أخذ « ما وجد من دفاتر وكرسي كان يجلس عليه للكلام... »(٣). وفي سنة (٣٨٥ هـ) جلس القاضي محمد بن النعمان « على كرسي بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولأخيه بمصر ولأبيه بالمغرب »(٤). وقد وردت إشارة الى أن الشيخ قد يجلس على (سرير). وذات مره قال أبو العالية الرياحي كان ابن عباس يرفعني على سرير وقريش أسفل منه...(٥). إن ورود الإشارة المذكورة لا يدل على أن السرير بمثابة موضع لجلوس الشيخ، كان شائعاً. كما أن السرير من الناحية العملية لا يصلح للتدريس ثم أنه صعب النقل عند الحاجة.

وكان (المنبر) من المواضع التي يجلس عليها الوعاظ، والشيوخ في المساجد، ولكن المنبر، كما يبدو، لم يكن مخصصاً للشيوخ الذين يمتهنون التعليم. وكان الخلفاء والحكام يستعملون المنبر لأغراض مدنية ودينية معاً . وتستعمل المنابر

---

(١) الشهيد الثاني، منية المريد، ص٧٥.

(٢) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص١٠٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٨-١٧٩

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٦.

(٥) ابن جماعة، التذكرة، ص٣٣ (الهامش).

عادة لأغراض خطبة الجمعة التي لا صلة لها بالتدريس غالباً. ومن الأمثلة على استعمال المنبر لغرض الوعظ حين خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنبر فقال : « يا أيها الناس إذا علِمتُم فأعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون، إن العالــم العامل...»[١]. وصعد أمير المؤمنين على المنبر بالكوفة فحمد الله وقال... »[٢].

وقد وردت إشارة الى أن الشيوخ من أهل السُّنة يستعملون الدكَّة عندما يجلسون للتعليم. وفي مرة اجتاز عبد الله بن محمد البغوي (ت ٣١٧ هـ) فسمع صوت مستملٍ فسأل عنه فقيل ابن صاعد فقال : «والله لا أبرح من وضعي حتى أُملي من ها هنا. فصعد الدكة»[٣] وجلس وراءه أصحاب الحديث، فأملى ستة عشر حديثاً من ستة عشر شيخاً..[٤] وقد ورد ذكر السدة [٥] بمثابة موضع جلوس الشيخ[٦].

٢- السلام على الحاضرين والصلاة عند وصول مجلس التدريس. وقد أورد الشهيد الثاني تفصيلات عن الصلاة وكيفية الجلوس والدعاء[٧].

٣- أنْ يحسن خلقه مع جلسائه ويوقر فاضلهم، ويرفع مجالسهم على حسب

---

(١) الكليني، الكافي، ص١٧.

(٢) أيضاً، ص٣٨٦.

(٣) يقول الفيروز ابادي (القاموس المحيط، مادة « دك ») والدكة بالفتح والدكان بالضم بناء يسطح اعلاه للمقعد.

(٤) المنتظم، ٦-٢٢٨.

(٥) يقول الفيروز آبادي (ماده «سدد ») السدة بالضم باب الدار. سدة مسجد الكوفة وهي ما يبقى من الطاق المسدود.

(٦) ابن الطقطقي، الفخري، ص٢٣.

(٧) منية المريد، ص٧٥.

تقديمهم في الإمامة. قال أبان بن محمد بن أبان بن تغلب « سمعت أبي يقول دخلت مع أبي الى أبي عبد الله فلما بصر به أمر له بوسادة فالقيت له وصافحه واعتنقه وسأله ورحب به...»[١].

٤ - إذا سئل عن شيء لا يعرفه أو عرض في درسه ما لا يعرفه فليقل لا أعرفه أو أتحققه أو لا ادري حتى أُراجع النظر في ذلك، ولا يستنكف من ذلك فمن علم العالم أن يقول فيما لا يعلم لا اعلم[٢]. وروي عن الإمام علي أنه قال « ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ولا يستحي من يعلم أن يعلم »[٣].

إعداد معلمي العلوم أنفسهم للتعليم ودرجة تحصيلهم.

سبق أن صنفنا طبقة معلمي العلوم الى أصناف، كان صنف الأئمة الاثني عشر من بينهم. والبحث في دراسة هذا الصنف من المعلمين أو في درجة تحصيلهم من الامور المتعذرة، لأن مصدر علم الأئمة المعصومين عليهم السلام، كما يعتقد الإمامية وأسلافهم، كان إلهياً لا بشرياً. قال ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨ هـ). « وأئمتنا عليهم السلام خصوا بالعلوم، لأنهم لم يدخلوا مكتباً، ولا تعلموا من معلم ولا تلمذوا لفقيه، ولا تلقنوا من راوٍ[٤]. وقال ابن طاووس (ت٦٤٤هـ) مخاطباً ابنه، إعلم « أن علوم أئمتك صلوات الله عليهم كانت آية الله جل جلاله فيهم، ومعجزة دالة على إمامتهم، لأنهم لم يعرف لهم أُستاذ يترددون إليه ولا يشتغلون

(١) النجاشي، الرجال، ص٩.

(٢) الشهيد الثاني، منية المريد، ص٧٩.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص١٨٢.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٢١٨.

عليه، ولا رآهم شيعتهم ولا أعداؤهم أنهم يقرأون تلك العلوم على آبائهم على عادة المتعلمين ولا على صفات المدرّسين، ولا عُرف لهم كتاب مصنَّف اشتغلوا فيه ولا تأليف درووا حفظ معانيه»[١].

ويبدو أن التاريخ لا يؤيد العقيدة في هذه النقطة إذ وردت إشارات أوردناها في مواضعها من هذه الرسالة، يستدل منها على أن جماعة من الأئمة المعصومين وجدوا في صغرهم في الكتاتيب مع غيرهم من صبيان المسلمين، وأن بعضهم درس على مؤدبين خاصين. وربما يفسر الإمامية وجود الروايات المتعلقة بتلقي بعض الأئمة عليهم السلام علومهم بالطرق الإعتيادية أنه نتيجة لوضع الرواة. وأرى أن يُترك حل هذه القضية للمختصين من العلماء.

أما فيما يتعلق بإعداد الشيوخ فيبدو أنه لم يكن، في الفترة موضوعة البحث، نظام خاص لإعداد المعلمين بما فيهم الشيوخ. وكان الإعداد العلمي للفرد يقع على مسؤوليته الخاصة ويتأثر بميوله ورغباته. وللأستاذ الطيباوي رأي بهذا الخصوص يقول فيه « كان النظام التربوي الإسلامي حراً، يقوم على مجهود الأفراد لفترة تتعدى القرون الإسلامية الأربعة الأولى. ولم تكن هناك في الفترة المذكورة، مؤسسات تربوية رسمية تسيطر على النظام المذكور »[٢].

وبالرغم من وجود المؤسسات العلمية ذات الصلة بالتعليم[٣].التي بحثناها

---

(١) كشف المحجة، ص٤١.

(2) Tibawi، A.L، " Philosophy of Muslim Education "، The Islamic Quarterly، IV، 1957، P.81

(3) IBID، P.82.

في الفصل الثاني من هذه الرسالة، يظهر أن إعداد الشيوخ، في الفترة التي تناولها بحثنا، كان يتم عند الإمامية، في الغالب، عن طريق الإتصال الشخصي بين طالب العلوم ومعلمه.

ومما يؤيد هذا الرأي إن الإجازات التي يمنحها الشيوخ لطلبتهم كانت شخصية ولم تكن صادرة من معهد علمي مخصص لتعليم العلوم. ثم إن تعدد تلك الإجازات وصدورها من شيوخ مختلفين يعيشون في أمكنة متعددة، يدل على أن الطلبة كانوا يتصلون بعدد من الشيوخ في أمكنة وأزمنة مختلفة تقررها ظروف كل من الشيخ وتلميذه. وسنبين في الفصل الخامس من هذه الرسالة أن التلعكبري (ت٣٨٥ هـ) نال حوالي عشرين إجازة من شيوخ مختلفين[١].

ولم نعثر إلا على مثالين من إعداد معلّمي العلوم. وكان أحد المثالين المذكورين خارجاً عن الفترة التي تناولها بحثنا. وإليك هذين المثالين :

قال أبو عبيد الجوزجاني « حدثني أُستاذي أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا قال- فلما بلغتُ سن التمييز سلّمني أبي الى معلم القرأن، ثم الى معلم الآداب، فكان كل شيء قرأه الصبيان على الأديب أحفظه، والذي كلّفني استاذي كتاب الصفات، وكتاب غريب المصنف، ثم أدب الكتاب، ثم إصلاح المنطق، ثم كتاب العين، ثم شعر الحماسة، ثم ديوان ابن الرومي، ثم تصريف المازني، ثم نحو سيبويه... ثم شرعت في الفقه... ثم شرعت في علم الطب...»[٢].

وأخبر السيد علي بن طاووس (ت٦٤٤ هـ) ابنه عن دراسته فقال : « وهيأ

(1) Tibawi، op.zcit-p.230

(٢) القزويني، آثار البلاد واخبار العباد (بيروت، ١٩٦٠) ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

الله... ما كنت أشرتُ إليه من الفقه المروي عن جدك سيد المرسلين وأبيك أمير المؤمنين وعترتها المعصومين ﷺ تصنيفاً من شيعتهم وأخباراً كباراً من الكتب وصغاراً فاشتغل بالقراءة في الفقه... على رجل صالح ورع من أهل هذا العلم.. وأنا أُريد في وصف الاشتغال بما يسهل عليك طلب هذه الامور فإنني اشتغلت بعلم الفقه وقد سبقني جماعة الى التعليم بعدة سنين فحفظت في نحو سنة ما كان عندهم... وكنت قد ابتدأت بحفظ الجمل والعقود... وكان الذين قد سبقوني ما لأحدهم إلا الكتاب الذي يشتغل فيه وكان لي عدة كتب في الفقه... فصرت أطالع بالليل كل شيء يقرأ فيه الجماعة الذين تقدموني بالسنين وأنظر كل ما قاله مصنف عندي وأعرف ما بينهم من الخلاف على عادة المصنفين، وإذا حضرت مع التلامذة بالنهار أعرف مالا يعرفون... وفرغت من الجمل والعقود وقرأت (النهاية) فلما فرغت من الجزء الأول منها استظهرت على العلم بالفقه حتى كتب شيخي (محمد بن نما) (ت ٦٤٥ هـ) خطة لي على الجزء الأول وهو عندي الآن بما جرت عادته يكتبه على كتابي من شهادته في إجازته... فقرأت الجزء الثاني من النهاية أيضاً ومن كتاب (المبسوط). وقد استغنيت من القراءة بالكلية وقرأت بعد ذلك كتباً لجماعة بغير شرح بل للرواية المرضية. وسمعت ما يطول ذكر تفصيله وخط من سمعت منه وقرأت عليه في إجازات وعلى مجلدات... [1].

ونستنتج مما جاء في النصين السابقين :

أولاً: إن علاقة الطالب الإمامي بشيخه كانت شخصية، فابن سينا وابن طاووس درسا على شيوخ ولم يدرسا في معهد معين.

---

(١) ابن طاووس، كشف المحجة، ص ١٢٩ – ٣٠.

ثانياً: إن الطالب الإمامي كان يدرس كتباً لا مواضيع. كالفقه، والكلام وغيرهما. وسنوضح ذلك عند كلامنا عن المناهج في الفصل الخامس من هذه الرسالة.

ثالثاً: يظهر أن الطالب كان يدرس على شيوخ متعددين ولعل كثرة الإجازات التي ينالها الطالب تقوم دليلاً على ذلك، لاسيما إن الإجازات كانت تمنح من شيوخ مختلفين لطالب واحد. ومما يؤيد هذا الرأي إن ابن طاووس في النص المشار إليه أعلاه، يرى من التفصيل الممل أن يذكر أسماء من سمع منهم، أي درس العلوم عليهم، وأن يذكر الخطوط أو الإجازات التي نالها من اولئك الشيوخ.

رابعاً : يبدو من الإشارة التي أوردها ابن طاووس إن الكتب لم تكن متوفرة لدى جميع الطلبة بصورة كافية لأن الذين سبقوه « ما لأحدهم إلا الكتاب الذي يشتغل فيه، وإن له عدة كتب في الفقه، على حد قوله.

أما درجة تحصيل الشيوخ فيظهر أنها كانت جيدة على الأغلب. ومن الأدلة على ذلك :

١ - ظهور طائفة من مشاهير معلمي العلوم عند الإمامية وأسلافهم أمثال أبان بن تغلب الذي كان إذا قدم المدينة تقوضت إليه الحلق وأُخليت له سارية النبي ﷺ. ومحمد بن مسلم الثقفي الذي سمع من الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ثلاثين ألف حديث. وهشام بن الحكم (ت١٩٩هـ) الذي فتق الكلام في الإمامة. وأبو علي النحوي المعروف بقطرب (ت٢٠٦هـ). والعياشي (من علماء القرن الثالث) صاحب الدار التي كانت كالمدرسة، على قول ابن داود الحلي، أو

كالمسجد على قول النجاشي، وابن الجندي وأحمد بن محمد بن عمران من شيوخ النجاشي (ت ٤٥٠ هـ). والصدوق القمي صاحب الأمالي الذي كان من المعلمين الكفاة. وقد أوردت تفصيلات وافية عن جهوده التعليمية عند الكلام على مجالس الدرس. والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) الذي كان يستعين بستة من المستملين ليبلغوا صوته الى الحضور. والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـم) شيخ الشريف المرتضى والطوسي. والشريفان المرتضى والرضي، وأخيراً شيخ الطائفة الطوسي.

٢- إن هؤلاء المعلمين وغيرهم تركوا عدداً كبيراً من المؤلفات المهمة وردت أسماؤها في كتب الفهارس كفهرست الطوسي، و فهرست ابن النديم، ورجال النجاشي وغيرها. ومن الجدير بالذكر أنه من الصعب أن نعمم على أساس ما ذكرنا لأن الأمثلة السابقة تناولت في الغالب مشاهير الشيوخ.

وقبل الإنتهاء من البحث في درجة تحصيل المعلمين أود أن أشير الى نقطة مهمة في النظام التربوي الإسلامي عامة وهي إن معلمي العلوم حين يعلّمون والطلبة حين يتعلمون كانوا، في الفترة التي تناولها بحثنا، يعتقدون بأنهم يقومون بعمل من شأنه كسب رضا الله، لأن تعليم العلوم الدينية وتعلمها كانا من فروض الكفاية. وإذا تحقق الشعور المذكور لدى المعلم والمتعلم يكون من شأنه أن يحفز كلا منهما للقيام بواجبه على الوجه الأكمل. ويقول طيباوي في هذا الصدد « ليس هناك من دليل على أن اولئك الذين يعلّمون العلوم الدينية أو الذين يتعلمونها في الفترة الإسلامية الاولى، كانوا يهتمون في الأوقات التي ينفقونها في عملهم، أو للأمكنة التي يستخدمونها للقيام بالعمل المذكور، وذلك لكونهم يشعرون بأنهم

يعملون لكسب رضا الله »[1].

وإن صح ما قلناه عن النظام التربوي الإسلامي عامة فهو أكثر انطباقا على النظام التربوي عند الإمامية لأنهم، نظرا للظروف السياسية السيئة التي عاشوا فيها خلال معظم فترات تاريخهم، كانوا لا يجنون، في الغالب مكاسب دنيوية عندما يعملون على تعليم علوم آل البيت ﷺ وتعلمها، لذا علّموها وتعلموها لوجه الله.

(1) Tibawi، Op. Cit، Vol. 4، 1957، P. 80.

الحالة الاجتماعية والمالية لمعلمي العلوم

أ- الحالة الاجتماعية

قد يكون من الصعوبة بمكان أن نقدر المركزين الديني والإجتماعي اللذين كانا يحتلهما الأئمة المعصومون عليهم السلام وكان لأولئك الأئمة مركز خطير في نظر شيعتهم وفي نظر معاصريهم من غير الشيعة أحياناً. قال خزيمة بن ثابت في حق الإمام علي عليه السلام :

وجدناه أولى النـــاس بالناس إنه   أطَبّ قريش بالكتاب وبالســنن

وقال الفضل بن العباس مخاطباً أحد الامويين:

وكان ولي العهــد بعــد محمــد   عــلي وفي كل المواطــن صاحبه

عــليٌّ وليّ الله أظهــر دينــه   وأنت مع الأشقين فيما تحاربه[1]

ووصف الحسن البصري علياً بأنه «ربانيّ هذا الامة»[2].

وقال الكميت الشاعر العلوي المعروف.

الى النفــر البيض الذيــن بحبهم   الى الله فيــما نابنــي أتقــرب[3]

قال الشريف المرتضى حدّثني غير واحد من أهل الأدب أن علي بن

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ،ج٢ ،ص ٢٣٥ .

(٢) المرتضى، الأمالي، ج١، ص٥٢.

(٣) أيضاً ج١ ،ص٦٧ .

الحسين عليه السلام حج فاستهجر الناس جماله وتشوفوا إليه، وجعلوا يقولون من هذا. فقال الفرزدق:

هــذا ابــن خــير عبــاد الله كلهــم ... هــذا التقي النقــي الطاهــر العلم

هذا الــذي تعرف البطحــاء وطأته ... والبيــت يعرفــهُ والحــل والحــرم

اذا رأتــه قريــش قــال قائلهــا ... الى مــكارم هــذا ينتهــي الكــرمُ

يـكــاد يمسكه عرفــان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضــي حياء ويغضــى من مهابته ... فمـا يـكـلـم إلا حـيـن يبتسم

أيُّ القبائــل ليســت في رقابهم ... لأ وليــة هــذا أولــه نـعــم

مــن يعــرف الله يعــرف أوليــة ذا ... فالدين من بيت هــذا ناله الأُمم[1]

وكان القراء لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج علي بن الحسين. قال سعيد بن المسيب أنه خرج مرة للحج « وخرجنا معه ألف راكب...»[2]. قال الإمام الباقر عليه السلام «نحن ولاة أمر الله، وخزان علم الله، وورثة وحي الله، وحملة كتاب الله، طاعتنا فريضة، وحبنا إيمان، وبغضنا كفر، محبنا في الجنة، ومبغضنا في النار»[3].. وذات مرة قال الصادق عليه السلام لأبي بصير، يا أبا بصير : نحن شجرة العلم، ونحن أهل بيت النبي، وفي دارنا هبط جبرائيل، ونحن خزان علم الله، ونحن معادن

---

(١) المرتضى ، الأمالي ،ج١ ، ص٦٧ – ٨ .

(٢) المجلسي، بحار الانوار، ج١١، ص٤٣.

(٣) ابن شهراشوب، مناقب ال ابي طالب، ج٢، ص٣٣٦.

وحي الله من تبعنا نجا ومن تخلف عنا هلك حقا على الله»[١]. وقال الجاحظ إن أئمة الشيعة اشتهروا بـ «الفقه والعلم والتفسير والتأويل»[٢].

ويقول دونالدسن: « ويمكننا القول لو أنَّ الإمامة النظرية عند الشيعة تم لها الحصول على السلطتين الزمنية والروحية لفاقت ذلك البابوية حتى في ألمع عصورها الذهبية»[٣].

هذه لمحة موجزة عن مركز الأئمة الديني والاجتماعي أوردناها هنا، ونحيل القارئ الى الفصل الأول من هذه الرسالة للوقوف على التفصيلات، وخاصة ما يتعلق بنظرة الشيعة للأئمة بكونهم مبلغين عن النبيﷺ وأنهم معصومون عن الخطأ والخطيئة والنسيان.

أما مركز الشيخ الاجتماعي فكان كبيراً يحوطه الإجلال والإحترام. كان الخليل بن أحمد يزور تلامذته. ولما عاد تلامذته قال له تلميذه « إن زرتنا فبفضلك، وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائراً ومزوراً»[٤]. وكان أبو عبد الله الحسن بن خالويه ممن استوطن حلب» وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم، وكانت إليه الرحلة في الآفاق، وآل حمدان يكرمونه، ويدرسون عليه، ويقتبسون منه)[٥]. روى الطوسي أن يوم وفاة المفيد كان « يوماً لم يُر أعظم

---

(١) القمي، الأمالي، ص١٨٤.

(٢) الرسائل، ص١٠٦.

(٣) عقيدة الشيعة، ص٥٠.

(٤) التوحيدي، البصائر، والذخائر، ج١، ص٧١.

(٥) الثعالبي، عبد الملك، يتيمة الدهر، ج١ ص٧٦.

منه من كثرة الناس للصلاة عليه وبكثرة البكاء من المخالف والموافق»[١]. ووصف الشريف المرتضى أحد تلاميذه فقال: قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى ذو المجدين أدام الله علوه [٢]. ويبدأ أحد تلامذة الشيخ الصدوق القمي المجلس الأول من أماليه، الذي سبقت الإشارة إليه، بقوله « أخبرني سيدنا الشيخ الجليل العالم أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين القمي أدام الله تأييده... » [٣].

وأوصى الشهيد الثاني طالب العلم بأن يعترف بعظيم النعمة بالتعليم لأنه طلب من أن يعامله بمثل ما عامله الله تعالى به أن يكون إنعامك عليَّ كإنعام الله عليك، ولهذا المعنى قيل أنا عبد من تعلمت منه، ومن علَّم إنساناً مسألة ملك رِقَّه[٤].

ب- الحالة المالية لمعلمي العلوم.

كان الأئمة المعصومون ﷺ يعلّمون، كما يعتقد الإمامية، على سبيل التبليغ لرسالة أُوكل إليهم تبليغها النبيﷺ بأمر من الله. ويترتب على ذلك أنه لامجال للبحث عن أخذ الأئمة أجرة على التعليم. ولم ترد أي إشارة في المصادر التي اطلعت عليها، عن أخذ أحد من الأئمة أجرة على تعليم علم من العلوم.

اما حالة الأئمة المالية فيظهر أنها كانت جيدة لأن الأئمة كانوا يستوفون

(١) الفهرست، ص١٨٧.

(٢) الأمالي، ج١، ص١٢٧.

(٣) الأمالي، ص١.

(٤) منية المريد، ص٩٣.

الحقوق الشرعية من شيعتهم[١]. ويستوفون، فضلا عن ذلك، مبالغ من موارد مختلفة كالوقف والإيصاء كما سنبين عند بحثنا في تمويل التعليم عند الإمامية.

أما الشيوخ الإمامية فليس هناك دليل على أنهم كانوا يأخذون أجرة على تعليم العلوم الدينية. وسبق أنْ بينّا إن الصادق عليه السلام أباح قبول الهدية على تعليم القرآن في الكتاتيب، وأن الحسين عليه السلام قدم هدية للمعلم الذي علّم أحد أولاده سورة الحمد، ولكن المصادر لم تشر الى أنّ معلمي العلوم كانوا يقبلون هدايا على تعليم القرآن. ومثل القرآن في ذلك بقية العلوم الدينية كالفقه والحديث.

أما أخذ الأُجرة على العلوم الاخرى غير الدينية، فأمر يكتنفه الغموض أيضاً . فالأجرة على تعليم الحساب والرسائل في الكتاتيب كانت مباحة، ولكننا لم نعثر في المصادر إلا على مثالين أخذ فيهما معلمان العلوم، أجرة على تعليم تلك العلوم. وكان أحد هذين المعلمين المبرَّد الذي أخذ أُجرة على تعليم النحو. روى ياقوت أن ابن درستويه النحوي (ت٣٤٥هـ) قال حدّثني الزجّاج قال « كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو، فلزمت المبرّد لتعلمه، وكان لا يعلّم مجاناً ولا يعلّم بأجرة إلا على قدرها... »[٢]. أما الثاني فهو الشيخ أحمد بن طاهر النحوي (ت٤٦٩هـ) الذي كان له راتب من الخزانة يتناوله في كل شهر[٣].

ومن الأدلة التي تؤيد عدم أخذ معلمي العلوم الدينية أجرة على تعليمها :

أولاً : قول مؤلف إمامي مجهول « وكان في الزمان الأول يتعلمون الحرفة ثم

(١) ص٤٨ وما بعدها.

(٢) معجم الادباء، ج١، ص١٣١.

(٣) الخونساري، روضات الجنات، ص٣٣٩.

يتعلمون العلم حتى لا يطمع في أموال الناس... »[١].

ثانياً: لقد امتهن عدد كبير من الشيوخ الإمامية وأسلافهم مهناً مختلفة بالإضافة الى اشتغالهم بالعلم والتعليم. وكان ميثم التمار، أحد تلامذة الإمام علي عليه السلام يبيع التمر في الكوفة[٢] وكان الفقيه علي بن الحسين الطاطري يبيع ثياباً يقال لها الطاطرية[٣]. وإن نصر بن مزاحم مؤلف كتاب «صفين» كان عطاراً[٤]. وكان خالد بن سدير الذي روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام صيرفيا بالكوفة[٥]. واشتهر الشيخ آدم ببيع اللؤلؤ[٦]. وأن خيبري بن علي الكوفي، الذي كان له كتاب يرويه عنه محمد بن إسماعيل بن بزيع، كان طحاناً بالكوفة[٧]. وكان داود بن أبي يزيد الكوفي، الذي روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عطاراً في الكوفة[٨]. وإن داود بن سرخان كان عطاراً في الكوفة أيضاً. وهو ممن روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام[٩]. وكان محمد بن غالب الذي حدّث حميد بن زياد صيرفياً[١٠].

---

(١) آداب المتعلم، مخطوط، ورقة، ٤.

(٢) الكشي، الرجال، ص ٧٤.

(٣) الطوسي، الفهرست، ص ١١٨.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٧.

(٥) النجاشي، الرجال، ص ١١٥.

(٦) الطوسي، الفهرست، ٣٩

(٧) النجاشي، ص ١١٨ .

(٨) أيضاً، ص ١٢١.

(٩) أيضاً، ص ١٢٢.

(١٠) أيضاً، ص ١٢٤.

وأن ربيع بن زكريا كان ورّاقاً في الكوفة [١] وكان رفاعة بن موسى الأسدي الذي روى عن أبي عبد لله عليه السلام نحّاساً في الكوفة[٢]. وكان زياد بن عيسى الحذّاء ممن روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام[٣]. وأن سليمان بن عبد الله الديلمي كان «يتّجر إلى خراسان ويكثر شرى سبي الديلم، ويحملهم الى الكوفة وغيرها، وألّف كتاب ألف ليلة وليلة يرويه عنه ابنه محمد بن سليمان [٤]. وكان صفوان بن يحيى البجلي بياع السابري ممن روى عن الرضا عليه السلام[٥]. وكان صبيح بن أبي الصباح الصيرفي قد حدّث جماعة منهم صفوان بن يحيى بكتابه[٦]. وأن صابر مولى بسام بن عبد الله الصيرفي مولى بني أسد كان ممن روى عن أبي عبد الله عليه السلام[٧] وكان عبد الله بن ميمون القداح الذي يبري القداح ممن روى عن أبي عبد الله[٨].

ويظهر أيضاً ان طائفة من المشتغلين بتعليم العلوم وتعلمها من أهل السنة كانوا يتعلمون مهنة ليعتاشوا منها. فمحمد بن يوسف البناء (ت ٢٨٦ هـ) الذي لقي ستمائة شيخ وكتب الحديث الكثير، كان يبني للناس بالأجرة فيأخذ منها

(١) أيضاً، ص ١٢٥.

(٢) أيضاً، ص ١٢٦.

(٣) أيضاً، ص ١٢٩.

(٤) النجاشي، ص ١٣٨.

(٥) أيضاً . ص ١٤٨

(٦) أيضاً، ص ١٥٢

(٧) أيضاً، ص ١٥٣

(٨) أيضاً، ص ١٥٣

دانقاً لنفقته ويتصدق بالباقي[١] وكانت صناعة محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب « التطريز » وكان اشتغاله بالعلم قد منعه من التكسب فلم يزل مضيقاً عليه[٢]. وكان محمد بن صالح الوراق النيسابوري (ت ٣٤٠هـ) لا يأكل إلا من كسب يده [٣]. وإن الإمام الفقيه المحدِّث محمد بن عبد الله الصبغي (ت٣٤٤هـ) كان يبيع الصبغ بنفسه أو يعمله بنفسه في الحانوت على عادة العلماء المتقدمين من الذين كانوا يتسببون في المعاش[٤]. وكان الفقيه عبد الصمد بن اسحاق (ت٣٩٧هـ) «يدق السعد للعطارين بالأجرة ويقتات من ذلك... [٥].

وبعدما أوردناه عن أخذ الأُجرة على التعليم أو عدم أخذها نستنتج ما يأتي :

أولاً : يظهر أن معلّمي الكتاتيب، سواء كانوا من الشيعة أو من السُّنة، كانوا على العموم يأخذون الاجرة على التعليم الأولي باستثناء تعليم القرآن الذي ترددت طائفة من المسلمين من أخذ الاجرة عليه. وسبق أن بينّا الحلول التي أوجدها الطوسي والصدوق [٦] لقضية أخذ الاجرة على تعليم القرآن وهي قبول الهدية. وكانت الهدية، كما يبدو إجبارية لذا كانت بمثابة اجرة وإن اتخذت إسماً آخر. وذات مرة سأل أحدهم الإمام الصادق ﷺ عن الاجرة على تعليم القرآن

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٦ – ٢٤.

(٢). السبكي، طبقات الشافعية، ٢ – ١٧١.

(٣) السبكي، المصدر السابق، ٢ج، ص١٦٤.

(٤) أيضاً، ج٢، ص١٦٨.

(٥) أيضاً، ج٢، ص٢٤.

(٦) ص ١١٨ وما بعدها

فقال. «المعلّم لا يعلّم بالأجر ويقبل الهدية إذا أهدى إليه» [١].

ثانياً : يظهر إن أخذ الاجرة على تعليم العلوم كان أكثر شيوعاً بين المعلمين السنة منه عند الإمامية [٢] ويعود ذلك لأسباب :

أولاً : قام أئمة الشيعة بقسط وافر من عملية تعليم شيعتهم حتى منتصف القرن الثالث للهجرة. وكانوا ﷺ يعلّمون كتاب الله وسنة نبيه على معنى التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي. وقد استهدفوا من وراء التعليم رضا الله. ولم يؤثر عنهم أنهم أخذوا اجرة على تعليمهم. يضاف الى ذلك أنهم كانوا مستقلين إقتصادياً فلا حاجة فيهم لأخذ الاجرة.

أما الشيوخ فيبدو أنهم كانوا يسدون معظم نفقاتهم من المهن الحرة التي يمتهنونها كما أشرنا إلى ذلك قبل قليل. وربما تلقى بعض الشيوخ من الأئمة أو من وكلائهم بعد نهاية عصرهم معونات مالية من الحقوق الشرعية التي كان يستوفيها الأئمة في حياتهم ووكلاؤهم أو المجتهدون، كما يسمون اليوم، من بعدهم.

ولاشك أن الإشارات التي ظهر منها أن الأئمة ساعدوا طائفة من طلبة علوم آل البيت تعد سنة واجبة الاتباع من قبل وكلاء الأئمة الذين تعد رعاية المشتغلين بتلك العلوم من أهم واجباتهم. يضاف الى ذلك أن بعض المتمكنين اقتصادياً قدموا مبالغ محترمة لتمويل التعليم عند الإمامية، أمثال العياشي الذي أنفق (٣٠٠) ألف دينار للغرض المذكور. وأوقف المرتضى قرية على كاغد الفقهاء، وأسس الرضي

---

(١) الجزائري، نعمة الله، الانوار النعمانية (حجر، إيران) ص ٢٩٨.

(٢) ص ٤٧.

دار العلم، كما أسلفنا، وأنفق على طلبتها، أما ابن سوار فكان ينفق على مرتادي دار الكتب التي أسسها في البصرة بما فيهم الشيخ المقيم هناك دائماً لتعليم علم الكلام. وقد شرحنا ذلك في الفصل الثاني من هذه الرسالة[١]. أما الهبات السخية التي قدمها البويهيون للمشتغلين بعلوم آل البيت فقد سبق ذكرها في مواضعها من هذه الرسالة. يضاف الى ما سبق أن إسماعيل بن عباد، المعروف بالصاحب، «كانت أيامه للعلوية والعلماء والادباء، وحضرته محط رحالهم، وموسم فضائلهم ومترع آمالهم وأمواله مصروفة إليهم وصنائعه مقصورة عليهم»[٢].

ثانياً : كان الخلفاء الامويون والعباسيون، كما بينّا في فصول سابقة، ينظرون الى تعاليم الشيعة بأنها مهددة لكيانهم السياسي. وعدَّ معظم فقهاء السُّنة عقائد الشيعة بأنها تخالف ما اتفقوا عليه من تقاليد مذهبية، لذا لم يقلدوا شيوخ الشيعة وظائف التدريس والإفتاء، ولم يبيحوا تدريس فقههم في المساجد وفي المدارس بعد ظهورها. ولعل النص التالي يلقي ضوءاً على وجهة نظر أكثرية فقهاء العامة أو أهل السُّنة عن الشيعة. روى الخونساري أنه عرضت ذات مرة مسألة فقهية للشاه خدابنده فسأل فيها من حضره من فقهاء العامة فلم يعجبه ما قالوا في الموضوع. ولما ذكر له العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ) أرسل عليه ليستفتيه «فلما بعث إليه قال علماء العامة أن له مذهباً باطلاً ولا عقل للروافض...» [٣].

وكان الموقف الرسمي السابق جزءاً من سياسة الدول السُّنية، ماعدا فترة الحكم البويهي في إيران والعراق، وحتى في العهد البويهي امتنع الخلفاء، كما بينّا

---

(١) ص٥٥ وما بعدها.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣، ص٣٢.

(٣) الخونساري، روضات الجنات، ص١٧٥.

سابقا، عن إسناد منصب قاضي القضاة لرجل شيعي.

وكان الخلفاء يحتفظون، في معظم فترات العهد البويهي، بنفوذهم الديني لذا عملوا على إبعاد الشيعة، كما كان جارياً من قبل، عن المناصب الدينية بما فيها التدريس. ونتج عن موقف الخلفاء المذكور، سواء كان ذلك في العهد الاموي أو العباسي، أنْ حُرم المعلمون الشيعة من شغل الوظائف التدريسية في مؤسسات الدولة من مساجد وغيرها، ومن ثم حرموا الدخول المالية التي كانت تدرها تلك الوظائف [١]. ولما كانت الاجور التي تدفعها الدولة، بكونها أكبر مؤسسة تنفق على التعليم، يذهب معظمها أو كلها تقريباً للمعلمين السنة لم يبق للمعلمين الشيعة نصيب من ذلك المورد الكبير.

ولعل في الأخبار التالية ما يشير الى ان عناية الخلفاء، في الفترة موضوع البحث، كانت موجهة، في الغالب لعلماء أهل السُّنة بما فيهم من تصدوا للتعليم دون علماء الإمامية ومعلميهم. قال علي بن المبارك اللحياني أردت أن أدرس النوادر على الكسائي فدخلت عليه وهو جالس على كرسي ملوكي وعليه مقدارية مشهرة، وعلى رأسه بطيخية... قال ثعلب « وكان السلطان قد افسده...» [٢]. قال السبكي عند كلامه عن امتحان المأمون للناس بخلق القرآن وممن « امتحن فيها من العلماء عفان بن مسلم الحافظ، ولما دعي وعرض عليه القول بخلق القرآن فامتنع قيل قد رسمنا بقطع عطائك وكان يعطي الف درهم في كل شهر »[٣].

وقد وردت إشارة يظهر منها أن بعض الخلفاء كانوا يعزفون عن تقريب من

(١) الخونساري، المصدر السابق، ص٤٧.

(٢) ياقوت، معجم الادباء، ج٥، ص ٢٩٩.

(٣) طبقات الشافعية، ج١، ص ٢٠٩

عرف عنه الميل الى التشيع من العلماء. روى ياقوت أن أبا العيناء محمد بن القسم البصري (ت ٢٨٣ هـ) قال «قال لي المتوكل : بلغني أنك رافضي، فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة، ومنشئي مسجد جامعها. وأُستاذي الأصمعي...» [(١)].

ولترتون رأي في أخذ المعلمين الاجرة على تعليم العلوم أو عدم أخذها في العصور الإسلامية الاولى يقول فيه «كان المسلمون في العصور الإسلامية الاولى يعدون أخذ الاجرة على التعليم، وخاصة تعليم القرآن والعلوم الدينية الأُخرى، من الامور المحظورة». ويرى أن طائفة من معلمي العلوم غالت في الامتناع عن أخذ الاجرة على التعليم. ويورد قصصاً طريفة في هذا الباب منها أن احد الشيوخ كان يسير مع أحد طلبته فزلت رجل الشيخ فوقع في بئر قريبة، فبادر تلميذه لإنقاذه من البئر، فامتنع الشيخ قائلاً إن إنقاذ تلميذه له قد يعد بمثابة اجرة له عن تعليمه غياه وحينئذ يفقد الثواب الاخروي الذي كان يرجوه من وراء التعليم المذكور.

ويرجح ترتون إن النظامية كانت أول معهد تقاضى معلموه اجرة على تعليم العلوم[(٢)].

لبـاس معلمي العلوم

لقد اتخذ الشيعة البياض شعاراً لهم، في الفترة موضوع البحث، واعتدّوا ذلك سُنة لأن النبيﷺ قال : « إلبسوا البياض فأنه أطيب وأطهر»[(٣)]. وعندما

(١) ياقوت، معجم الادباء، ج١، ص ١٥٣.

(2) Tritton، Op. Cit، Vol. 43، 1953، P.90

(٣) الكليني، الفروع (تبريز، ١٣١٣) ص ٢٠٤.

قدم الصادق عليه السلام لمقابلة المنصور في الهاشمية « لبس ثياب بياض وكمة[١] بيضاء، فلما دخل عليه قال له أبو جعفر لقد تشبهت بالأنبياء. فقال أبو عبد الله عليه السلام وأنى يبعدني عن أبناء الأنبياء...»[٢] وكان أئمة الشيعة يكرهون لبس السواد. وذات مرة كان الصادق بالحيرة فأتاه رسول أبي جعفر المنصور يدعوه فدعا بممطر أحد وجهه أسود والآخر ابيض فلبسه ثم قال أبو عبد الله عليه السلام أما اني ألبسه وأنا اعلم انه لباس اهل النار.«وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم يكره السواد إلا في ثلاث الخف والعمامة والكساء»[٣]. روى الطوسي إن الصادق سئل عن الصلاة في القلنسوة السوداء فقال « لاتصلِّ فيها فإنها لباس أهل النار»[٤]. ولما ثار إبراهيم بن عبد الله العلوي اتخذ البياض شعاراً له وتبعه أهل البصرة في ذلك[٥]. وعندما ثار أحد العلويين في الكوفة سنة (٢٠٢ هـ) اتخذ البياض شعاراً له برغم أن أنصار المأمون وولي عهده الإمام الرضا كانوا يلبسون الخضرة[٦]. ولم تصبح الخضرة شعار العلويين إلا في أواخر القرن الثامن للهجرة[٧]. ويعتقد ميتز بوجود علاقة بين لباس الشيعة وبين

---

(١) الكمة بالضم القلنسوة المدورة لانها تغطي الرأس، الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٢، ص٥٤١، مادة الكُم.

(٢) الكليني، ص ٢٠٤.

(٣) أيضاً، ص ٢٠٥.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف، (النجف، لا. ت)، ج١، ص ١٧٥.

(٥) الطبري، ج٩، ص ٢٥٠ – ٥١

(٦) اليعقوبي، التاريخ، ج٣، ص ١٧٦.

(٧) ميتز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص ١٠٥.

اللباس الأبيض الذي اتخذته الفرق الغنوسطية[١]. ويظهر إن التعليل المذكور بعيد الاحتمال، وإن اتخاذ الإمامية وأسلافهم لباس البياض شعاراً لهم لأسباب تعبدية لأنه من السُّنة، أو سياسية وذلك رغبة في مقاومة الشعار العباسي وهو السواد. ومما يؤيد ذلك إن الشيعة استبدلوا بالبياض السواد والخضرة، وهما شعار العلويين اليوم، بعد أن زالت الضرورات السياسية. وذلك حين ضعفت السلطة العباسية، التي كانت تتخذ السواد شعاراً لها، في كثير في الولايات الإسلامية بعد أن استقلت تلك الولايات عن الخلافة تدريجياً، ثم زوال تلك السلطة بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة.

ورغم ما عرف عن أئمة الشيعة من عزوف عن مباهيج الدنيا، فإنهم كانوا يراعون تطورات الزمن في لباسهم. وذات مرة سأل أحدهم الإمام الصادق فقال: «ذكرت إن علي بن أبي طالب كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ونرى عليك اللباس الجديد. فقال له إن علي بن أبي طالب كان يلبس ذلك في زمان ولا ينكر ولو لبس ذلك اليوم شهر به فخير لباس كل زمان لباس أهله...» [٢].

وقد وردت إشارات متفرقة عن لباس الأئمة وشيوخ الشيعة لا يمكن أن نستنتج منها قاعدة عامة. وإليك أهم الإشارات المذكورة. لبس الأئمة الطيلسان والدراعة. روى الكليني إن سلمان بن راشد روى عن أبيه قال: « رأيت علي بن

(١) أيضاً، ج١، ص ١٠٤.

(٢) الكليني، الكافي، ص ١٦٣.

الحسين عليه السلام وعليه دراعة سوداء وطيلسان أزرق»[١]. وقد سمع أحدهم الصادق يقول: «لبس رسول الله صلى الله عليه وآله الطاق والساج والخمايص[٢]. ولبس الصادق عليه السلام ملحفة وردية. دخل أحد تلامذة الصادق عليه فوجده «في بيت منجد وعليه ملحفة وردية واكتحل» ثم يقول «فسألناه عن مسائل»[٣]. وكان الإمام الصادق عليه السلام يلبس الجبة. قال أحدهم «رأيت أبا عبد الله عليه السلام وعليه قميص غليظ خشن تحت ثيابه وفوقها جبة صوف وفوقها قميص غليظ»[٤]. وشوهد الإمام محمد الجواد عليه السلام يلبس الرداء والقميص. قال علي بن إبراهيم بن هاشم حدثني أبي قال «لما مات أبو الحسن الرضا عليه السلام حججنا فدخلنا على أبي جعفر عليه السلام وقد حضر خلق من الشيعة لينظروا الى أبي جعفر عليه السلام... وخرج أبو جعفر من الحجرة وعليه قميص قصب، ورداء قصب... وقام الشيعة وقعد أبو جعفر على كرسي... (فقال الناس) يا سيدنا أتأذن لنا أن نسألك ؟ قال نعم. فسألوه في مجلس عن ثلاثين ألف مسألة فأجابهم فيها...»[٥]. ورغم ظهور المبالغة في عدد الأسئلة التي أجاب عليها الامام، فإن ما يهمنا من إيراد النص وصف ملابس الإمام الذي ورد فيه.

وقد وردت إشارة الى إن الشيوخ الإمامية كانوا يلبسون القميص والرداء. قال الفضل بن شاذان كنت مع أبي رحمه الله « إذ جاء شيخ حلو الوجه حسن

(١) الكليني، ج٦، ص ٤٤٩.

(٢) الساج الطيلسان الاخضر او الاسود، والطاق ضرب من الثياب او الطيلسان، الخميصة كساء اسود مربع له علمان (الكليني، الفروع، ص ٢٠٢).

(٣) الكليني، ج٦، ص ٤٤٨.

(٤) أيضاً، ج١، ص ٤٥٠.

(٥) المفيد، الاختصاص، ص ١٠٢.

الشمائل عليه قميص نرسي ورداء نرسي وفي رجله نعل مخصر فسلّم على أبي... فلما أن مضى... قلت من هذا الشيخ ؟ فقال هذا الحسن بن علي بن فضال... فكان بعد ذلك يختلف الى أبي، ثم خرجت إليه بعد الى الكوفة فسمعت منه كتاب أبي بكير وغيره... »[١].

أما لباس الرأس عند الإمامية فهو العمامة. قال رسول الله ﷺ العمائم تيجان العرب. روى الصادق إن رسول الله ﷺ عليه عليه السلام بيده فسدَّ لها من بين يديه وقصَّرها من خلفه قدر أربع أصابع ثم قال أدبر فدبر ثم اقبل فأقبل ثم قال هكذا تيجان الملائكة[٢]. وعندما زار الشيعة الإمام الجواد عند توليه الإمامة خرج عليهم أبو جعفر وعليه قميصان وازار عدني وعمامة بذؤابتين، إحداهما من قدام والاخرى من خلفه... »[٣].وشوهد الشريف الرضي يلبس العمامة [٤].

ويبدو أن القلانس كانت تستعمل لباساً للرأس أيضاً . قال الإمام الصادق إن رسول الله ﷺ كان يلبس القلانس اليمنية والبيضاء والمضرية ذات الاذنين في الحرب. وقال الصادق مرة لأحدهم «إعمل لي قلانس بيضاً ولا تكسرها فإن السيد مثلي لا يلبس المكسر»[٥].

أما الإحتذاء فقد أكد الأئمة الوصية بضرورته. قال الإمام علي عليه السلام، استجادة الحذاء وقاية للبدن وعون على الصلاة والطهارة «. وقد أهدى الصادق عليه السلام لأحد

---

(١) النجاشي، الرجال، ص ٢٧ .

(٢) الكليني، الكافي، ص ٢٠٥ .

(٣) المسعودي، الوصية، ص ١٨٤ .

(٤) الخونساري، روضات، ص ٥٤٩ .

(٥) الكليني، الفروع، ص ٢٠٨ .

أصحابه نعلاً معقبة مخصرة من وسطها لها قبالان ولها رؤوس. وقال، هذا حذو النبي ﷺ»[١] وكان الأئمة لا يلبسون النعال السود لانها تضر بالبصر...»[٢]. وأوصوا مواليهم بلبس الخف لأنها « أمان من السل»[٣].

إن جميع الإشارات السابقة لا تساعد الباحث، كما بيَّنت، على استنتاج قاعدة عامة وقد عثرت على الإشارة التالية وهي من الوضوح بحيث تساعد القارئ، بالاستعانة من الإشارات المتفرقة التي أوردتها قبل قليل، أن يتصور اللباس الذي يلبسه الشيخ الإمامي عند تدريسه للحديث.

سمع الصاحب بن عباد الحديث وأملى» وروى أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بكيا. قال سمعتُ أبا الفضل زيد بن صالح الحنفي يقول لما عزم الصاحب إسماعيل بن عباد على الإملاء، وكان حينئذ في الوزارة خرج يوماً متطلساً متحنكاً بزي أهل العلم... فقعد للإملاء. وحضر الخلق الكثير وكان المستملي الواحد ينضاف إليه ستة كل يبلغ صاحبه فكتب الناس...»[٤]. ويظهر من هذا أن الطليسان كان زي العلماء.

ومما يؤيد أن الطيلسان هو زي العلماء رواية المقدسي التي جاء فيها «أما الفقهاء والكبراء فيتطيلسون ولا يتحنكون إلا من يستحق... ولا يتطيلس بما وراء النهر إلاّ كبير إنما هي الأقبية المفتوحة، وبمرو أنصاف العلماء يجعلون الطيالسة على أحد

---

(١) الكليني، الكافي، ص ٢٠٩.

(٢) الكليني، الفروع، ص ٢٠٩.

(٣) أيضاً، ص ٢١٠.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ١٨٠.

أكتافهم مجتمعة فإذا أردوا أن يرفعوا فقيهاً أمروه بالتطيلس»[1].

ويظهر أن شيوخ أهل السُّنة كانوا يستعملون الطيلسان. والدليل على ذلك نص المقدسي السابق. وذلك لأن أهل خراسان وعاصمتها مرو كانت عند زيارة المقدسي إليها حوالي (٣٧٨هـ)، خاضعة للسامانيين « وميلهم الى مذهب أبي حنيفة »[2] يضاف إلى ذلك أن ابن جبير وجد خطيب مكة وعليه طيلسان شرب رقيق[3]. وكان الشيخ عثمان بن عيسى البلطي يتطيلس ولا يدير الطيلسان على عنقه بل يرسله[4]. وبلغت شهرة داود بن علي (٢٧٠هـ) حداً كبيراً وقيل « كان في مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أخضر»[5]. ويقول ترتون «كان الطيلسان في معظم البلدان الإسلامية لباس العلماء»[6].

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٣٢٨.

(٢) أيضاً، ص ٣٣٨ – ٣٣٩.

(٣) الرحلة، ص ٦٧.

(٤) الخونساري، روضات، ص ٤٤٨.

(٥) السبكي، المصدر ذاته، ج٢، ص ٤٣.

(6) Tritton، Op. Cit، Vol، 43، 1954، P. 90.



الفصل الرابع

الطَلبة



أولاً : صبيان الكتاتيب.

روي إن الإمام علي ﷺ قال «قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شي قبلته، وإنما كان ذلك لأن الصغير أفرغ قلباً، وأقل شغلاً، وأيسر تبدلاً، وأكثر تواضعاً»

ومن المحتمل إن الإمامية اتخذوا من قول علي ﷺ سُنَّة وأرسلوا صبيانهم للكتاتيب في سن مبكرة.

وقد وردت توصية على لسان كاتب من أهل السنة وهو الماوردي قال فيها «التعلم في الصغر أحمدُ»[1]. ويصح ما قلناه عن الحديث السابق للإمام علّي على قول الماوردي وذلك فيما يخص مراعاة أهل السُّنّة لصغر السن عند إرسال صبيانهم للكتاتيب أو عدم مراعاتهم لذلك.

يتراوح سن الدخول الى الكتاب عند الإمامية بين السادسة والسابعة من عمر الصبي. قال الإمام علي ﷺ «يُرخى الصبيّ سبعاً ويُؤدَّب سبعاً...»[2]. وقال الصادق: «أكرِمْ صبيَّك حتى يأتي عليه ست سنين، ثم أدِّبه في الكتاب ست سنين، ثم ضُمَّه إليك سبع سنين فأدِّبه فإن قَبِلَ وصلح وإلا فَخلِّ عنه»[3]. وقال ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) : «إذا أتى على الصبي من أحواله ست سنين فيجب أن يُقدَّم الى المؤدِّب والمعلِّم ويدرج أيضاً في ذلك ولا يحكم عليه بملازمة الكتاب كَرَّة

(١) الماوردي، ادب الدين والدنيا (القاهرة، ١٣٧١) ص ٢٨.

(٢) الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الاخلاق (القاهرة، ١٣١١) ص ٧٤ – ٥.

(٣) أيضاً، ص ٧٤ – ٥.

واحدة»[١] وسبق أن بيّنّا أن أحدهم رأى علي بن محمد الجواد ﷺ وعمره سبع سنين أو أقل يقرأ اللوح في كتابه [٢]. وهناك حالات نادرة بدأ فيها الصبيان الكتابة في سن مبكرة. فالسيد عبد الكريم بن أحمد بن طاووس «استقل بالكتابة واستغنى عن المعلم في أربعين يوماً وعمره إذ ذاك أربع سنين». كما أنَّ عبد الكريم نفسه «حفظ القرآن في مدة يسيرة وله إحدى عشر سنة» [٣]. وأوردنا الروايات السابقة دون أن نقر ما ورد فيها من مبالغة.

وقد وردت حالات قدرت فيها بداية مرحلة التعليم الأولي لدى جماعة من الصبيان دون ذكر أرقام تبين عمر الصبي عند بداية المرحلة المذكورة. فعليّ بن الحسين الذي عُرف بالمرتضى فيما بعد كان « يقرأ مع أخيه الرضي على ابن نباتة صاحب الخطب وهما طفلان»[٤]. قال أبو عبيد الجوزجاني حدّثني استاذي إبن سينا قال «فلما بلغتُ سنَّ التمييز سلّمني أبي الى معلم القرآن، ثم الى معلم الأدب، فكان كل شيء قرأه الصبيان على الأديب أحفظه...»[٥].

ونرجح من كل ماسبق أنَّ السنة السادسة أو السابعة هي التي يبدأ بها الصبي تعليمه الأولي.

ويرى ترتون أنَّ السنَّ التي يبدأ فيها الصبي المسلم دراسته الأولية كانت

---

(١) ابن سينا، القانون، ج١ (القاهرة، لا. ت) ص ١٥٧.

(٢) المسعودي، الوصية، ص ١٩١ — ٢.

(٣) ابن داود الحلي، الرجال، ص ٢٢٧ — ٨.

(٤) الافندي، عبد الله بن عيسى، رياض العلماء (مخطوط) ورقة ٤٧٢.

(٥) القزويني، المصدر السابق، ص ٢٢٩- ٣٠٠.

تتراوح بين السنة الخامسة والسابعة من عمره[1]. وعندما يُرسل الصبي للكتاب في السن المذكورة يأخذ في تعلم القراءة والخط وهما من أهم المواضيع التي تدرس بالكتاب كما سنفصل ذلك عند البحث في منهج الكتاب في فصل قادم.

وقد وردت إشارات يستدل منها أنَّ طائفة من قادة الفكر الإمامية، نصحوا آباء الصبيان بوجوب العناية بصحة أبنائهم الجسمية بالإضافة الى العناية بتعليمهم، قال الإمام علي عليه السلام مخاطباً آباء الصبيان «إغسلوا صبيانكم من الغمر فإن الشيطان يشم الغمر فيفزع الصبي من رقاده، ويتأذى به الكاتبان»[2]. وقال الإمام الصادق لمؤدب أولاده « إذا زكم أحد أولادي فأعلمني»[3]. روى البهائي إن أحدهم قال «لمعلم ابنه علّمه السباحة قبل الكتابة، فإنه يجد من يكتب له ولا يجد من يسبح عنه... »[4].ورسم ابن سينا قواعد لحياة طفل منظمة بقوله « وإذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يُخلى بينه وبين اللعب ساعة، ثم يطعم شيئاً يسيراً، ثم يطلق له اللعب الأطول ثم يستحم ثم يغذى، ويجنبونه ما أمكن شرب الماء على الطعام لئلا ينفذه فيهم نياً قبل الهضم، وإذا أتى عليه من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم الى المؤدِّب والمعلِّم ويدرج أيضاً في ذلك ولا يحكم عليه بملازمة الكتاب كرَّة واحدة، وإذا بلغ سنُّهم هذا السن نقص من أحمامهم وزيد من لعبهم قبل الطعام... وليطلق لهم من الماء البارد العذب النقي شهوتهم ويكون هذا النهج في

---

(1) Tritton، Op، Cit، P. 17.

(٢) القمي، علل الشرائع، ص ٥٥٧.

(٣) العاملي، الفصول، ص ٤٤١.

(٤) الكشكول، ج٣، ص ٣٦٥،

تدبيرهم الى أنْ يوافوا الرابع عشر من سنيّهم... »[١].

ومن الجدير بالذكر أننا لا يمكن أن نستنتج قواعد عامة من الإشارات السابقة، وأنّ معظم الإشارات المذكورة لا تعدو كونها نصائح لا نستطيع الجزم بأنها طبقت في الواقع.

لقد أعار الإمامية وأسلافهم من الشيعة تربية أولادهم اهتماما كبيرا كما تنص القواعد التالية.

روى علي بن أبي طالب عليه السلام إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال - «حق الولد على والده أنْ يُحسن إسمه وأدبه، ويضعه موضعاً صالحاً، وحقّ الوالد على ولده أنْ لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه ولا يجلس أمامه، ولا يدخل معه الحمام»[٢].

وقال الطبرسي «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبَّل الحسن والحسين فقال الأقرع بن حابس إنَّ لي عشرة من الأولاد ما قبَّلتُ واحداً منهم، فقال ما عليَّ إن نزع الله الرحمة منك». وقال صلى الله عليه وسلم «سمُّوا أولادكم أسماء الأنبياء وأحسن الأسماء عبد الله وعبد الرحمن». وقال أيضاً «من حق الولد على والده ثلاثة يحسن اسمه ويعلِّمه الكتابة ويزوجه إذا بلغ». وقال صلى الله عليه وسلم «لئن يؤدِّب أحدُكم ولده خيرٌ له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم». وقال صلى الله عليه وسلم « أكرِموا أولادكم وأحسِنوا أدبهم»[٣]. وروى الكشي إنَّ عليَّ بن الحسين كان يقول لبنيه « جالسوا أهل الدين والمعرفة، فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة آنس وأسلم، فإن أبيتم إلا مجالسة الناس فجالسوا

(١) ابن سينا، القانون، ج١، ص ١٥٧.

(٢) القمي، من لايحضره الفقيه، ج٤، ص ٢٦٩.

(٣) مكارم الاخلاق، ص ٧٤.

أهل المروات فإنهم لا يرفثون في مجالسهم»[١]. وقال الصادق «برُّ الرجل بولده برُّه بوالديه». وقال الصادق أيضاً : « من نِعَمِ الله عز وجل على الرجل أنْ يشبهه ولده»[٢].

وقد يستنتج من الحديث التالي إن الإمامية جعلوا تربية الأولاد من الامور الملزمة شرعاً. روى الكليني أنَّ الفضل بن شاذان قال إن الصادق عليه السلام قال « لو أن رجلاً ضرب ابنه غير مسرفٍ في ذلك يريد تأديبه فقتل الإبن من ذلك الضرب ورثه الأب ولم تلزمه الكفارة لأن ذلك للأب لانه مأمور بتأديب ولده. لأنه في ذلك بمنزلة الإمام يقيم حداً على رجل فمات فلا دية عليه ولا يسمى الإمام قاتلاً»[٣]. وأكد ابن سينا على العناية بأخلاق الصبي فقال «يجب أن يكون وكد العناية مصروفاً الى مراعاة أخلاق الصبي فيعدل، وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو خوف شديد أو غم أو سهر، وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهيه ويحنّ إليه، فيقرب إليه وأما الذي يكرهه فينحى عن وجهه، وفي ذلك منفعتان إحداهما في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير ذلك له ملكة لازمة، والثانية لبدنه، فإنه كما أنَّ الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج فكذلك إذا حدثت عن العادة استتبعت سوء المزاج المناسب لها... »[٤].

وقد وردت إشارات تتضمن نصائح تربوية منها:

---

(١) الرجال، ص ٤١٩.

(٢) الطبسي، مكارم الاخلاق، ص ٧٤.

(٣) الكافي، ج٧ . ص ١٤٢.

(٤) القانون، ج١، ص ١٥٧.

أ - ضرورة وجود فترات بين الدروس، فنصح الجزائريُّ المعلِّمَ بأن « يخرج عن الصبيان أحياناً ويتركهم أنفسهم لئلا تموت قلوبهم من كثرة جلوسه معهم، ولا شيء في الدنيا أحب الى الطفل من مرض معلّمه أو غيبته »[١].

ب - تجنب الإرهاق في التعليم. روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قـال «القلب إذا أُكره عمي»[٢].

ج - إنجاز الوعد للصبيان ورحمتهم من العوامل المفيدة في تربيتهم. قال الطبرسي إن النبي صلى الله عليه وآله قال: « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم يغفر لكم»[٣]. وذات مرة قال الصادق عليه السلام « أحبّوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم ففوا لهم فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم»[٤].

وقد أورد مؤلفٌ إمامي مجهول نصائح تربوية للصبيان منها أنَّ « الكذب يورث الفقر... وكذا كثرة النوم، ثم النوم عرياناً، والبول عرياناً... والتهاون بسقاط المائدة وحرق قشر البصل والثوم وكنس البيت في الليل... ونداء الأبويين باسمهما... والإبتكار (كذا) في الذهاب الى السوق والإبطاء في الرجوع منه، وشراء كسرات الخبز من الفقراء والسائلين، ودعاء الشر على الوالدين، وترك تطهير الأواني...»[٥].

---

(١) نعمة الله، الانوار النعمانية، ص ١٩٦.

(٢) المبرِّد، الكامل، ج٣، ص٢.

(٣) مكارم الاخلاق، ص ٧٤.

(٤) القمي، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ٣١١.

(٥) آداب المعلمين (ضمن مجموعة جامع المقدمات) ص ٢٠٠.

وأستنتج من كل ما أوردته في أعلاه عن التعليم الأولي عند الإمامية :

أولاً : إن معظم ما عثرت عليه في المصادر لايعدو أحاديث عن النبي ﷺ أو الأئمة عليهم السلام وتوصيات لطائفة من قادة الفكر الإمامي. ولا أستطيع الجزم، نظراً لصمت المصادر، بأن جميع الأحاديث والتوصيات المذكورة كانت قد طبقت في الحياة العملية.

ثانياً : إن الإستدلال بالأحاديث والتوصيات السابقة لا يعنى الإعتراف بصدورها جميعاً عن قائلها، ولكن ذلك لا ينقص من اتخاذها بمثابة وسيلة لشرح وجهة نظر الإمامية، في الفترة التي تناولها بحثنا، فيما يتعلق بالقضايا التي تضمنتها تلك الأحاديث.

فالأحاديث، كما أعتقد، إنْ عجزت أحياناً، عن وصف ما كان، فهي، دون شك، تصف ما يجب أن يكون في نظر ذوي العلاقة والمربين على السواء، لاسيما أنها تتمتع بسلطة دينية، بحكم كونها من السنة الشريفة، تجعل المؤمنين يلتزمون بالعمل بها أو يستحسنون العمل بها في الأقل.

وقد استخلص ترتون قواعد وآراء عن حياة الصبيان المسلمين في الكتاتيب نورد بعضها هنا لاعتقادنا أنَّ قسماً منها ينطبق على مرحلة التعليم الأولي عند الإمامية وذلك لأن التربية عندهم، كما أشرنا في مقدمة هذه الرسالة، كانت فرعاً من التربية الإسلامية.

أولاً : يكون يوم السبت أول الاسبوع في الكتاب. ويخصص يوم الأربعاء بعد الظهر ويوم الخميس للإعادة والفحص، ثم يكون مساء الخميس والجمعة

عطلة الاسبوع. ويبدو أنَّ العرف المدرسي المتضمن تخصيص يوم الخميس لفحص الصبيان في مادة الخط كان معروفاً عند الإمامية. وقد أشار كاتب إمامي الى التقليد المذكور. وسنشير الى ذلك عند الكلام عن الإمتحانات في فصل قادم[١].

ثانياً: تعطى للصبيان عطلة في عيد رمضان أمدها ثلاثة أيام، وأُخرى في عيد الأضحى يتراوح أمدها بين ثلاثة أيام وخمسة أيام. وينقل ترتون رأي كاتب مسلم يقول فيه أن السبب الذي جعل قبول شهادة المعلّمين في مجالس القضـــاء غير مرغوب فيه هو أنهم كانوا ممعنين في الكسل ويمنحون الصبيان عطلاً كثيرة[٢].

ثالثاً: عندما ينجح[٣] الصبي في الكتاب يطاف به راكباً في شوارع المدينة ويسير الصبية حوله ناثرين اللوز. وحدث أنْ أحد الصبية الناجحين قد فقد عينه الثانية، بعد أنْ كان فقدَ الاولى بالجدري، أثناء الإحتفال الذي اُقيم بمناسبة نجاحه نتيجة لإصابتها بلوزة من نثار الصبية. ولم يحتج والده على ذلك، كما أنه لم يطلب تعويضاً لعين ابنه، وكل ما طلبه هو أنْ يخصص أحد صبيان الكتاب لقيادة ابنه الى موضع الدرس[٤].

رابعاً: كان الصبيان ينصحون بعدم إحضار الدراهم والأكل معهم الى الكتاتيب لأن المدرسة ليست محلاً لتناول الطعام، ويُفَهَّم الصبي بأن عليه أن يعود لبيته لتناول وجبات الطعام. وكان المعلمون حريصين على ترخيص الطلبة

---

(١) ص ٢٢٩.

(2) Tritton، Op، Cit، P. 18.

(٣) المعروف إن الاحتفال المذكور يجري عندما يختم الصبي القرآن الكـــريم.

(4) Tritton، Op، Cit، P.14.

وصرفهم لبيوتهم في الأوقات المعينة. وكان يصحب الصبيان في غدوهم ورواحهم للمكتب شخص لا يرتقي الشك الى سلوكه. وقد عثرتُ على إشارة أوردتها فيما سبق عن الشخص الذي يوكل له اصطحاب الصبيان. وكان يسمى « السائق » ويشترط فيه أن يكون ثقة، أمينا، متأهلاً[1]. ويرى ترتون إن اسباب الحظر الذي وضع على إحضار الصبيان للطعام معهم للمكتب هي:

١ - كان الناس حينذاك لا يستسيغون عادة الأكل أمام الجمهور.

٢- لا يستاغ الأكل في المكتب مراعاة لشعور الفقراء من الصبية الذين قد يحسدون أولاد الأغنياء على تنوع مآكلهم ونفاستها.

٣- إحتمال خوف الآباء، رغم عدم تصريحهم بذلك، من حسد صبيانهم من الآخرين.

خامسا: وجد بين الآباء من تعذر عليه إرسال إبنه للكتاب لأنه لم يستطع تهيئة الملابس اللائقة له [2].

سادساً: كان الصبيان يمنعون من البصاق على المقاعد أو العبث بها بأرجلهم، وكان الكتاب مزوداً بمحل خاص لشرب الماء، ويطلب من الأولاد أن يسهموا في نفقات إحضار الماء على أن يُعفى اليتامى منهم من دفع المبالغ اللازمة للغرض المذكور[3].

---

(١) ص ١١٠.

(2) Tritton، Op، P. 17.

(3) Ibid، p. 19

سابعاً : كان قبول الأولاد السيئي الخلق محظوراً لأن قبولهم في المكتب يجلب سمعة سيئة لذلك المكتب ولمعلمه في الوقت نفسه. ويسبب، فضلاً عن ذلك، خسائر مادية للمعلم [1]. ويبدو أنَّ ترتون يقصد بالخسارة المادية ما يفقده المعلّم أجور نتيجة لامتناع الصبيان عن حضور الكتاب المذكور رغبة في الإبتعاد عن الدراسة في كتاب كهذا.

ثانياً : طلبة العلوم

يطلق على طلبة العلوم أحياناً إسم « غلام». كان حيدر بن محمد السمرقندي «من غلمان محمد بن مسعود العياشي»[2]. وكان للحسن بن أحمد الفارسي «غلمان حذّاق، مثل عثمان بن جنّي وعلي بن عيسى الربعي. وكان عضد الدولة البويهي يقول «أنا غلام، أبي علي النحوي في النحو، و «غلام» أبي الحسن الرازي الصوفي في النجوم[3] أما أحمد بن عبد الله بن مهران فكان «أحد غلمان يونس بن عبد الرحمن»[4]. وكان أحمد بن محمد بن الحسين الازدي « غلام» العياشي[5]. وكان أبو الحسن السمسمي أحد غلمان محمد بن جعفر ابن الفتح الهمذاني[6]. ويظهر أن الإستعمال المذكور نادر الوجود إذ قلما نراه مكرراً في المصادر.

---

(1) Ibid، p. 19

(٢) الطوسي، الفهرست، ص٩٠.

(٣) ياقوت، معجم الادباء، ج٧، ص٢٣٤.

(٤) - الحلي، الرجال، ص٩.

(٥) الطوسي، الرجال، ص ٤٤٠.

(٦) ابن داود الحلي، الرجال، ص ٣٠٢.

ويسمّى طالب العلوم أحياناً بـ «متأدب... ومتعلم». وقد ورد اللقبان المذكوران بين الستة والثلاثين لقباً التي لُقب بها المقدسي أثناء تجواله في البلاد الإسلامية [١].

ويسمى الطلبة أحياناً بـ « تلامذة» فلما قدم الحسن بن أحمد الفارسي بغداد علت منزلته في النحو «حتى قال قوم من تلامذته هو فوق المبرَّد وأعلم منه»[٢]. وكان علي بن حسنويه « من تلامذة... العياشي»[٣]. وكان تقى ابن نجم الحلبي «من تلامذة المرتضى»[٤]. وكان علي بن الحكم الأنباري « تلميذ ابن أبي عمير»[٥].

وكان إبراهيم القمي «تلميذ يونس بن عبد الرحمن...»[٦] وللفضل بن شاذان كتاب النقض على أبي عبيد في الطلاق وكتاب جمع فيه مسائل متفرقة لأبي ثور والشافعي والاصفهاني وغيرهم (سماه تلميذ علي بن محمد بن قتيبة كتاب الديباج)[٧]. وكان إسماعيل بن محمد « تلميذ القبائي »[٨].

وأطلق أهل السُّنة الأسماء المذكورة على طلبة العلوم. فأبو سلمة العسكري

---

(١) احسن التقاسيم، ص ٤٣ – ٤.

(٢) ياقوت، معجم الادباء، ج٧، ص ٢٣٤.

(٣) ابن داود الحلي، الرجال، ص٢٤٣.

(٤) ابن شهراشوب، معالم العلماء (النجف، ١٩٦١م) ص ٢٩.

(٥) ابن داود، الرجال م ص ٢٤٣.

(٦) النجاشي، الرجال، ص١٣.

(٧) الطوسي، الفهرست، ص ١٥٠ – ١٥١.

(٨) الطوسي، الرجال، ص٤٤.

كان « أحد غلمان أبي علي الجبائي»[١]. قال أبو محمد الحسن بن عمر « كنت بالأندلس فقيل لي أنَّ بها تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ»[٢]. قال المرتضى كان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه»[٣].

ومن التسميات النادرة للطلبة والتي يكاد استعمالها ينحصر عند أهل السُّنة دون سواهم، إسم « فقيه» [٤] أو « متفقه» وعندما احصى الطلبة الذين كانوا يحضرون مجلس درس الشيخ أحمد الأسفرايني ظهر أنهم «أكثر من سبعمائة فقيه» وعلى رواية أُخرى «ثلثمائة متفقه أو فقيه» [٥]. وقد وردت كلمة متفقه بمثابة إسم لطالب العلوم بين ألقاب المقدسي الستة والثلاثين السالفة الذكر [٦].

إن استعمال كلمة فقيه بمثابة لقب لطالب العلم نادر الوجود في الفترة التي تناولها بحثنا. ولعله كان من باب التجوز لأن كلمة فقيه أُطلقت على الشيخ والمدرّس والعالم في اللغة وكل هؤلاء من معلمي العلوم.

ويبدو أن أكثر أسماء تلامذة العلوم شيوعاً أو بالأحرى إسمهم الاصطلاحي،

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص١١٩.

(٢) أيضاً، ج٨، ص ١٨٩.

(٣) الأمالي، ج١ ص ١٦٥.

(٤) يرى بدسن إن كلمة فقيه التي أُطلقت تجوزاً على الطلبة تعني الشيخ أو المدرس لذا قال إن ألف شيخ «scholars» حضروا مجلس درس أبي علي الحسيني (ت ٣٩٣ هـ). وإذا كان بدرسن استعمل كلمة «scholar » الانجليزية بمعنى عالم فإن استعماله خطأ.
انظر .Pedeson، J. " Masjid "، Encyclopaedia of islam، 111، p. 353

(٥) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٥٥.

(٦) أحسن التقاسيم، ص ٤٣ – ٤.

في الفترة التي تناولها بحثنا، هو «الطلبة» وذلك لأن الإسم المذكور أكثر وروداً في المصادر من غيره من الأسماء أو الألقاب الأُخرى التي أشرنا إليها قبل قليل. روى الكاشاني إن النبي ﷺ قال «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع»[(١)]. قال القمي (ت ٣٧٨ هـ) إن من فضائل الصاحب بن عباد وقف كتب كثيرة حوت أنواع العلوم وأصناف الأشعار وفنون الأخبار « على الطلبة وأهل العلم». وكان «اولئك الطلبة... » محرومين من مطالعة الكتب المذكورة في الماضي[(٢)]. وقد أسكن الشريف الرضي «طلبة العلم» الملازمين له في عمارة سماها دار العلم[(٣)]. وشاهد ابن بطوطة مدرسة عظيمة في النجف يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة[(٤)]. قال ابن الأثير كان من محاسن الوزير أبي الحسن بن الفرات أنه «جرى ذكر أصحاب الأدب وطلبة الحديث وما هم عليه من الفقر والتعفف فقال أنا أحق من أعانهم... » [(٥)]. وجاء في مخطوط يبحث في آداب المتعلمين إسم الطلبة مقروناً مرة بضرورة إختيار الشيخ والاستاذ أو غير ذلك مما له علاقة بالتعليم. جاء في الفصل الثالث، الذي عنوانه « في اختيار المعلم والاستاذ... ». «ينبغي لطالب العلم...» [(٦)] وجاء في الفصل الرابع « لابد لطالب

(١) الكاشاني، المولى محسن الفيض، المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، (طهران، ١٣٣٩)، ج١، ص ٢٠.

(٢) القمي، الحسن بن محمد، تاريخ قم (بالفارسية) (طهران - ١٣٥٣) ص٦.

(٣) الخونساري، روضات، ص ٥٨٤.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص ٤١٤.

(٥) الكامل، (القاهرة، ١٢٩٠)، ج٨، ص ٥٢.

(٦) المؤلف المجهول، آداب المتعلمين (مخطوط) ورقة ٢.

العلم من الجدّ والمواظبة...». وجاء في الفصل الخامس «ولابد لطالب العلم من المطالعة والمناظرة...» [(١)] وجاء في الفصل السادس «لابد لطالب العلم من التوكل في طلب العلم...» وجاء في الفصل الثامن « ينبغي لطالب العلم... »[(٢)] وقد وردت كلمة «طالب» في أمكنة متعددة من كتاب الشهيد الثاني الموسوم بـ «منية المريد في آداب المفيد والمستفيد». قال الشهيد الثاني «إذا أساء بعض الطلبة أدباً على غيره لم ينهه غير الشيخ...»[(٣)] قال الشهيد «إذا دعا الطالب الشيخ» [(٤)]. وقال «فإن لم يجد الطالب من يذاكره...» [(٥)] وقال على الطلبة مراعاة الأدب...» وللأمثلة الأخيرة رغم تأخر زمان المؤلفات التي وردت فيها عن الفترة موضوعة البحث، أهمية لأنها مستقاة من كتابين خاصين بعلم التربية عند الإمامية.

(١) أيضاً، ص٣.

(٢) أيضاً، ص٣.

(٣) الشهيد الثاني، منية المريد، ص ١١٨.

(٤) أيضاً، ص ١١٩.

(٥) أيضاً، ص ١٢٠.

آداب طلبة العلـوم.

أود أن أشير قبل البحث في آداب الطلبة، الى إنني اتخذت، بمثابة الأساس، لبحثي هذا، كتابين تربويين وهما الكتاب الموسوم بـ « آداب المتعلمين» للمؤلف المجهول.

والكتاب الموسوم بـ «منية المريد في آداب المفيد والمستفيد» للشهيد الثاني. وذلك لاختصاصها في الموضوع من جهة، ولقلة توفر المعلومات عن آداب الطلبة في المصادر العامة من جهة اخرى. ويترتب على ذلك إنني لا أستطيع الجزم بأن جميع المعلومات النظرية التي وردت بهما عن الطلبة كانت قد طبقت في الحياة العملية. وبالرغم من تأخر زمن مؤلفي الكتابين المذكورين عن الفترة التي تناولها بحثي فإني أميل الى أن بعض توصياتها ربما طبقت من قبل المعلمين والطلبة في الماضي لاسيما أنَّ المؤلِفَّين كانا يستعملان أحياناً، بعد ذكر توصياتهما، عبارة على عادة السلف الماضين وسبق أن أشرنا الى ذلك في حينه.

للطلبة آداب خاصة بهم. ويمكن أنْ نقسمها الى ما يأتي :

أ - آداب الطلبة في نفسه.

ب - آدابه مع شيخه.

ج - آدابه في مجلس درسه.

وقبل الحديث عن آداب الطلبة نود أن نورد أحاديث عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام ذات علاقة بالموضوع.

وردت مجموعة من الأحاديث عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام تضمنت توصيات لطلبة العلم نورد فيما يأتي طائفة منها دون أن نجزم بتطبيقها فعلاً من الطلبة.

وبالرغم من ذلك فإنها تعكس وجهة نظر فيما يجب أن يكون عليه طالب العلم. وإليك طائفة من الأحاديث المذكورة :

أورد الكليني أحاديث عن أهمية المناقشة في الدروس، وضرورتها لطلبة العلم. ومنها حديث رفعه الى الرسول ﷺ قال فيه : « تذاكروا، وتلاقوا، وتحدثوا، فإن الحديث جلاء للقلوب، ان القلوب لترين كما يرين السيف، جلاؤها الحديث. وروى الكليني أيضاً حديثاً رفعه الى الإمام الباقر عليه السلام قال فيه «تذاكر العلم دراسة والدراسة صلاة حسنة».

كما روى الكليني حديثين عن أهمية السؤال بالنسبة لطالب العلم رفعهما الصادق عليه السلام قال فيهما الإمام عليه السلام : «إن هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسئلة». وذات مرة قال الإمام عليه السلام « لحمران بن أعين في شيء سأله : إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون».

وروى الكليني حديثين رفع أحدهما للإمام عليّ عليه السلام والثاني للإمام الصادق عليه السلام بيّن فيهما الإمامان أهمية التفهم والتواضع بالنسبة لطلبة العلم. قال الإمام علي عليه السلام «.... ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر... «وقال الصادق ع : « إطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم...» [١-أ].

(١ - أ). الكليني، الكافي، ج١، ص ٤١، ٤٠، ٣٦.

آ - آداب الطالب في نفسه :

١ - النية. لابد لطالب العلم من النية في تعلم العلم، إذ النية هي الأصل في جميع الأحوال لقوله ﷺ إنما الأعمال بالنيات[١-ب]. وقال علي بن حشرم شكوت إلى وكيع قلة الحفظ فقال استعن على الحفظ بقلة الذنوب، وقد نظم ذلك في بيتين فقال :

شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم إن العلم فضل وفضل الله لايؤتاه عاصي[٢]

٢- أن يغتنم التحصيل في الفراغ والنشاط وحالة الشباب، وقلة الشواغل سيما قبل ارتفاع المنزلة والإتسام بالفضل والعلم فإنه أعظم صاد عن درك الكمال. قال الإمام الباقر «كان أبي زين العابدين - إذا نظر الى الشباب الذين يطلبون العلم، أدناهم إليه وقال مرحباً بكم أنتم ودايع العلم ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين».

٣ - أن يقطع ما يقدر عليه من العوائق الشاغلة والعلائق المانعة من تمام الطلب وكمال الإجتهاد، وقوة الجد في التحصيل، روى الشهيد الثاني إن أحدهم قال « لا ينال هذا العلم إلا من عطّل دكانه، وخرب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته «ويطلق الشهيد على ذلك بقوله. وهذا كلّه وإن كان فيه مبالغة فالمقصود به أنه لابد فيه من جمع القلب واجتماع الفكر. وقال « قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك» .

(١-ب). المؤلف المجهول، آداب المتعلمين (مخطوط) ورقة ١ .

(٢) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص٨٦ .

٤- أن يترك التزويج حتى يقضي وطره من العلم .

٥ - أن يكون حريصاً على التعلم مواظباً عليه في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، ولا يُذهب شيئاً من أوقاته في غير العلم عدا ما تقتضيه الضرورة .

أكد أئمة الإمامية وشيوخهم على وجوب احترام الطالب لشيخه. قال الإمام علي عليه السلام في نصيحةٍ وجهها للطلبة. « إن من حق العالم أن لا تكثر السؤال عليه، ولا تسبقه في الجواب، ولا تلحّ عليه ولا تأخذ بثوبه إذا كسل ولا تشير إليه بيدك، ولا تغمزه بعينك، ولا تسارّه في مجلسك، ولا تفشي له سراً، ولا تغتاب عنده أحداً... وأن تعمّ القوم بالسلام وتخصه بالتحية وتجلس بين يديه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته، ولا تملّ من طول صحبته، فإنما هو مثل النخلة فانتظر متى يسقط عليك منها منفعة، والعالم بمنزلة الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، وإذا مات العالم إنثلم في الإسلام ثلمة لا تسد الى يوم القيامة وإن طالب العلم ليشيعه سبعون ألف ملك من مقربي السماء» وقال الصدوق. «وحقُّ سايسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الإستماع إليه، والإقبال عليه، وأنْ لا ترفع صوتك عليه، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدِّث في مجلسه أحداً...» . وأظهرت طائفة من الطلبة إحتراماً كبيراً لشيوخهم. وعندما يترجم الحسن بن علي بن داود الحلي لشيخه أحمد بن موسى الطاووس (ت ٦٧٣ هـ) يقول «منصف مجتهد كان أورع فضلاء زمانه قرأت عليه أكثر «البشرى» و «الملاذ» وغير ذلك من تصانيفه ورواياته. حقق الرجال والرواية تحقيقاً لا مزيد عليه، ربّاني وعلّمني وأحسن إليّ، وأكثر فوائد هذا الكتاب من إشاراته وتحقيقاته، جزاه الله عني أفضل جزاء

المحسنين» .

ومن أهم آداب المتعلم مع شيخه ما يأتي :

إختيار المعلم. يقول المؤلف المجهول في معرض كلامه عن إختيار الطالب لمعلمه، ينبغي أن يختار الطالب « الأعلم والأورع والأسنَّ وينبغي أن يشاور في طلب العلم لا يتعجل في الإختلاف الى العلماء، وأن يصبر شهرين حتى كان اختياره للأستاذ لم يؤد الى تركه والرجوع الى الآخر فلا يبارك له، فينبغي أن يثبت ويصبر على استاذ وكتاب حتى لا يتركه...» . قال ابن طاووس (ت ٦٤٤ هـ) لابنه محمد إدريس « الفقه المرويّ عن جدك سيد المرسلين وأبيك أمير المؤمنين وعترتهما المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين... فاشتغل بالقراءة في الفقه بالله جل جلاله ولله جل جلاله على رجل صالح ورع من أهل هذا العلم الموهوب، فإنني أرجو من رحمة ربي... أن يغنيك بالمدة اليسيرة عن المدة الكثيرة» . ويورد الشهيد الثاني تفصيلات حول موضوع اختيار الطالب لمعلمه فيقول « فإن تربية الشيخ لتلميذه ونسبة إخراجه لأخلاقة الذميمة وجعل مكانها خلقاً حسناً، كفعل الفلاح الذي يقلع الشوك من الأرض ويخرج منها النباتات الخبيثة من الزرع، ليحسن نباته ويكمل ريعه، وليس كل شيخ يتصف بهذا الوصف بل ما قلَّ ذلك فانه في الحقيقة نائب عن الرسول ﷺ وليس كل عالم يصلح للنيابة فيختر من كملت أهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته، وعرفت عفّته، واشتهرت صيانته وسيادته، وظهرت مروته وحسن تعليمه» . ويوصي الشهيد الثاني الطالب بالإحتراز من الدراسة على الشيخ الذي «أخذ علمه من بطون الكتب من غير قراءته على الشيوخ خوفاً من وقوعه في التصحيف والغلط والتحريف. قال بعض

السلف من تفقّه من بطون الكتب ضيّع الأحكام. وقال آخر إياكم والصحفيون الذين ياخذون من الصحف فإن ما يفسدون أكثر مما يصلحون. وليحذر من التقييد بالمشهورين وترك الأخذ من الصحف فإن ذلك من الكبر على العلم وهو عين الحماقة لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها...» .

ويعلل ترتون وجود التأكيد على التعليم الشفهي في النظام التربوي عند المسلمين بقوله إن دراسة علم الحديث وتدريسه احتلا الصدارة في النظام التربوي الإسلامي. ومن الأدلة على ذلك إن البحث في الحديث والمحدِّثين شغل الجزء الأكبر من «تاريخ بغداد» و «تاريخ دمشق» معاً. وكان التقليد التعليمي عند المسلمين في بداية الأمر يؤكد على ضرورة سماع الحديث شفاهاً من شخص سمعه في الطريقة نفسها. والحديث لا يكون كاملاً بنفسه، بل إنه مرتبط بالأسناد أو سلسة الرواة التي تنتهي عند أول من سمعه من النبي، ولذا قيل أن من يريد معرفة العلوم الدينية دون التقيد بالإسناد يكون كمن يريد أن يرتقي سقفاً بدون سلَّم. ويخلص ترتون الى القول بأن الإعتقاد المذكور كان من أهم الأسباب التي أدت الى وجود ما نسمّيه بالرحلة في طلب العلم عند المسلمين.

وبالرغم مما سبق فإن الإعتقاد القائل بضرورة المشافهة في التعليم أخذ يضعف شيئاً فشيئاً. وقد تقوم انتقادات الطلبة التي وجهت لمعلمي العلوم الذين يعلمون من بطون الكتب دليلاً على ذلك. ففي القرن الثالث للهجرة انتقد أحد الطلبة شيخه بقوله أنه يحتفظ بمجموعة من المذكرات المدونة ويتظاهر بأنه سمعها بنفسه. وانتقد شيخ آخر (ت ٢٨٢ هـ) بأنه يستعمل في تدريسه مادة يستخرجها من كتاب اشتراه من بائع الكتب. ووجه انتقاد لشيخ آخر يستعمل مذكرات أبيه

ويتظاهر بأنه سمعها منه مع أن أباه مات قبل أن يولد هو.

ويتابع ترتون حديثه بقوله إن عدم الإعتماد على الذاكرة في التدريس أخذ يظهر بصورة مبكرة بالرغم من القصص التي تتضمن خلاف ذلك. ففي نهاية القرن الثالث رفض أحد الشيوخ، رغم عجب سامعيه ودهشتهم، أن يملي لأن متن محاضراته لم يكن معه. وذات مرة كان أحد معلمي العلوم يدرس موطأ مالك دون أن يكون معه متن الكتاب فانقطع أحد طلبته احتجاجا على ذلك .

وإن انطبق ما قاله ترتون عن أهمية درس الحديث وتدريسه، وبالرغبة في نقله مشافهة على النظام التربوي الإسلامي عامة فهو أكثر انطباقاً على النظام التربوي عند الإمامية خاصة، وذلك لأن الحديث عندهم، كمادة للدرس والتدريس كان يحتل مركزاً رفيعاً جداً، ويعود ذلك للأسباب الآتية :

أولاً: يعتقد الإمامية وأسلافهم إن الأحاديث الثابتة روايتها عن أئمتهم المعصومين أجدر من غيرها بالصحة والتوثيق لأن أحاديث أهل السُّنة، بحكم كون رواتها من غير المعصومين، يكون تطرق الوضع والخطأ إليها أكثر احتمالا من الأحاديث الصادرة عن المعصومين عليهم السلام.

ثانياً: إن عدد الأحاديث عند الإمامية يفوق نظيره عند أهل السنة، وذلك إن مجموع أحاديث «الكافي» للكليني يزيد على مجموع أحاديث الصحاح الستة عند أهل السُّنة.

ب- أن يعتقد الطالب في شيخه أنه الأب الحقيقي والوالد الروحاني وهو أعظم من الوالد الجسماني.

روى الشهيد الثاني أن الشريف الرضي كان عظيم النفس لا يقبل لأحد مِنَّة بما في ذلك الخلفاء. وذات مرة قال له أحد مشايخه «بلغني أنَّ دارك ضيقة لا تليق بحالك، ولي دار واسعة صالحة لك وهبتها لك فانتقل إليها فأبى فأعاد عليه الكلام فقال يا شيخ أنا لم أقبل برَّ أبي قط فكيف أقبل من غيره. فقال الشيخ إن حقي عليك أعظم من حق أبيك لأني أبوك الروحاني وهو أبوك الجسماني. فقال السيد قبلت الدار» .

ويرى ترتون أن المعلم يستحق احتراماً أكثر عند المسلمين مما يستحق الأب لأن الأب يربي جسم ابنه بينما معلمه يربي عقله، والتوبة تمحي الذنوب التي يرتكبها الإبن تجاه أبيه، ولكن ذنوب الطالب التي يرتكبها تجاه معلمه لا غفران لها

جـ - أن ينظر الطالب شيخه بعين الإحترام والإجلال، كان جابر الأنصاري يأتي الباقر عليه السلام «فيجلس بين يديه فيعلّمه... وكان يقول. يا باقر، يا باقر، يا باقر أشهد بالله قد اوتيت الحكم صبياً» . وكان الخليل بن أحمد يزور تلاميذه.

فعندما عاد بعض تلاميذه قال له تلميذه «إن زرتنا فبفضلك، وإن زرناك فلفضلك، ولك الفضل زائراً ومزوراً» . قال حمدان الأصفهاني «كنت عند شريك فأتاه بعض أولاد الخليفة المهدي فاستند الى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا ثم عاد شريك بمثل ذلك فقال اتستخف بأولاد الخلفاء ؟ قال لا ولكن العلم أجلُّ عند الله من أن اضيعه. فجثى على ركبتيه فقال شريك هكذا يطلب العلم» . ويقول الشهيد الثاني كان بعض السلف إذا ذهب الى شيخه تصدَّق

بشيء وقال اللّهم استر عيب معلمي عنّي ولا تذهب ببركة عمله منّي. وقال آخر كنت أُصفح الورقة بين يدي شيخي صفحاً رقيقاً لئلا يسمع وقعها .

د - أن يجتهد الطالب في أن يسبق الحضور الى المجلس قبل حضور الشيخ. كان أبو علي النحوي المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ) من أشهر تلامذة سيبويه. وكان حريصاً على الإشتغال والتعليم وكان يبكّر الى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة، فقال له يوما ما أنت إلا قطرب ليل فبقي عليه هذا اللقب. وكان قطرب هذا ممن رووا عن الصادق عليه السلام .

ج- آداب الطالب في مجلس درسه :

وردت مجموعة من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام تضمنت توصيات لطلبة العلم في مجالس دروسهم، فحيثما وردت لايمكن أن نجزم بتطبيقها فعلاً من الطلبة :

١- ينصح المؤلف المجهول طالب العلم أن يجلس تجاه القبلة عند الدرس، وأن يكثر من الدعاء والصلاة لأن ذلك عون على التحصيل والعلم .

٢- على طالب العلم أن يحمل معه أدوات الكتابة. روى عباد البصري أنه جاء لأبي عبد الله عليه السلام ومعه أُناس من أصحابه فسأله حديثاً فأخبره به «فكتب القوم الحضورعنه ذلك الحديث». وسبق أن بينّا إن أصحاب الكاظم عليه السلام كانوا يحضرون مجلسه ومعهم ألواح آبنوس لطاف وأميال يثبتون فيها ما يسمعونه عن الإمام . ويقول الشهيد الثاني على طالب العلم أن يحضر معه الدواة والقلم والسكين للتصحيح. وعليه أن يضبط ما يصححه لغةً وإعراباً، وإذا رد الشيخ

عليه لفظه فظنَّ أو علم أنَّ ردَّه على خلاف الصواب كرر اللفظة مع قبلها لينتبه لها الشيخ أو يأتي بلفظ الصواب على وجه الإستفهام فربما وقع ذلك سهواً أو سبق لسان لغفلة، ولا يقل بل هي كذا، فإن رجع الشيخ الى الصواب فذاك وإلا ترك تحقيقها الى مجلس آخر .

ويقول المؤلف المجهول على الطالب أن يكون مستفيداً في كل وقت حتى يحصل له الفضل. وطريق الإستفادة أن يكون معه في كل وقت محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوائد. قيل ما حُفظ فرَّ وما كُتب قرَّ. وضرب للطلبة مثلاً أن النبي ﷺ قال لهلال بن يسار حين قرر له العلم هل معك محبرة .

أما فيما يتعلق بتقسيم الطالب لأوقاته فقد وردت نصائح للشهيد الثاني في هذا الخصوص منها ما يتعلق بضرورة تقسيم الطالب لأوقات ليله ونهاره على ما يحصله. ومنها أنَّ أجود الأوقات للحفظ الأسحار وللبحث الإبكار، وللكتابة وسط النهار، وللمذاكرة والمطالعة الليل وبقايا النهار. ويعتقد الشهيد الثاني إن أقوال السلف والتجربة دلَّت على أنَّ حفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع، وينصح أن يكون الحفظ في المكان البعيد عن الملهيات، كما ينصح الطالب أن يبكر بالدروس لأن النبي ﷺ قال «بورك لأُمتي في بكورها».

ولترتون آراء وملاحظات جمعها من المصادر التي تبحث في النظام التربوي عند المسلمين نورد طرفاً منها هنا لاعتقادنا أن بعضها ينطبق على الطالب الإمامي كما ينطبق على غيره من الطلبة المسلمين. يقول ترتون إن الطالب المسلم كان ينصح بأن يتجه نحو مكة أثناء الدرس. ويورد قصة تضمنت، فضلاً عن قضية ضرورة

الإتجاه نحو القبلة أثناء الدرس، آراء من تبناها من المربين المسلمين عن أسباب النجاح والفشل في الدراسة لطالبين مسلمين. وأشارت القصة المذكورة الى طالبين من طلاب العلم أحدهما كان قد نجح بدروسه أما الآخر فقد فشل فيها. وبعد التقصي ظهر أن الطالب الناجح كان دائماً يتجه نحو القبلة أثناء الدرس، وأنه يتبع القول القائل بأن الحكمة لا تجد سبيلها الى قلب الطالب الذي لا يحمل كتاباً في كمِّه بصورة مستمرة. على أن يكون الكتاب المذكور محتوياً على أوراق بيض، وأنَّ حامله يكون على استعداد لإخراج قلمه ومحبرته ليدوِّن ما يسمع من الفوائد. ويرى قائل القصة أنه من قبيل المخاطرة أن يتنكب الإنسان الطريق الذي أثبت العرف صحة السير عليه. وتذهب القصة الى أنَّ الطالب الفاشل بدروسه كان قد ركب هواه ونذر نفسه لمتابعة الامور التي تهدم عقل المرء، وأنه قلد اليهود في كل ما يجلب سخط الله، وكانت نتيجته أن باع كتبه وأمتعته الاخرى بدافع الفقر واضطر أخيراً للهجرة الى آسيا الصغرى.

وبعدما قدمت أود أن أشير الى حقيقة مهمة في النظام التربوي عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة في الفترة موضوع البحث، وهي إن علاقة الطالب بشيخه كانت تقوم في الغالب على الصلة الشخصية بين الإثنين. وسأورد فيما يلي أمثلة كثيرة تؤيد ما ذهبت إليه. وسنرى من الأمثلة التالية أنَّ كثيراً ما يكون إسم الطالب مقروناً بالإمام الذي روى عنه أو الشيخ الذي درس عليه. وهذا لا يعني أن الطالب لا يدرس إلا على شيخ واحد، أو إن الشيخ لا يدرِّس إلا طالباً واحداً، فقد يكون لطالب واحد في زمن معين عدة شيوخ، كما يكون لشيخ واحد عدة طلبة. وسبق أن بينت في الفصل الثاني من هذه الرسالة أنَّ العياشي، صاحب الدار المعروفة، كان من بين الشيوخ الذين درّسوا عدداً كبيراً من الطلبة، وقد أوردنا

أسماء جملة من الطلبة المذكورين في حينه. وسنبين في الفصل الخاص بالإجازة أن هارون التلعكبري (ت ٣٨٥هـ) نال أكثر من عشرين إجازة من شيوخ مختلفين في عهد تلمذته عليهم.

وسأبدأ بإيراد أمثلة عن الطلبة الذين رووا عن الأئمة بعد أن درسوا عليهم، ثم اورد أمثلة عن الطلبة الذين درسوا على شيوخ الإمامية.

وكان أبان بن تغلب ممن لقى أبا محمد على بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام وروى عنهم. أما إسماعيل بن مهران السكوني فانه (روى عن جماعة من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام ولقي الرضا عليه السلام وروى عنه).

وكان أبان بن عثمان البجلي ممن روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام. قال الطوسي إن إبراهيم بن محمد بن يحيى (روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وكان خاصاً بحديثنا... وله كتاب مبوَّب في الحلال والحرام عن جعفر بن محمد عليه السلام). وقال أيضاً إن إبراهيم بن سليمان (روى عن أبي عبد الله عليه السلام) أما إسماعيل بن أبي خالد فقد (روى أبوه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وروى هو عن أبي عبد الله عليه السلام . وكان لإسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام (كتب يرويها عن أبيه عن آبائه عليهم السلام وعندما يترجم ابن داود الحلي لرزام بن مسلم يقول (علَّمه الصادق عليه السلام دعاء). وكان لأيوب بن نوح (كتاب وروايات عن أبي الحسن الثالث عليه السلام. روى الكشي أن يحيى بن مبارك قال (كتبت الى الرضا عليه السلام بمسائل فأجابني). روى الصدوق أن علي بن الحسن بن علي بن فضل حدَّث عن أبيه قال سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون).

فقال إن الله تعالى لا يوصف بمكان يحل فيه....). وسألته عن قول الله عز

وجل. (وجاء ربك والملك صفاً صفا).

فقال ان الله تعالى...) وسألته عن قول الله عز وجل. (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة). قال يقول. هل ينظرون.... قال وسألته عن قوله تعالى (سخر الله منهم). وعن قوله (الله يستهزئ بهم). وعن قول (ومكروا ومكر الله) وعن قوله (يخادعون الله وهو خادعهم)فقال إن الله تعالى...).

وروى الصدوق أيضاً أن القاسم بن مسلم قال إن أخاه عبد العزيز بن مسلم قال. سألتُ الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل (نسوا الله فنسيهم) فقال ان الله تعالى لا ينسى....

ذكر الطوسي إن أحمد بن أبي بشر السراج لقي الرضا عليه السلام... روى عنه كتاباً. ويقول أيضاً إن عمر بن رياح العلاء روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام. إن الأمثلة التي أوردتها أعلاه كانت بمثابة نماذج تمثل أصحاب عدد من الأئمة المعصومين عليهم السلام. وترجم الطوسي في كتابه الموسوم بـ (الرجال) لأصحاب كل إمام على انفراد. ويعني الطوسي بالأصحاب الجماعة الذين سمعوا الحديث من الإمام ورووا عنه. وكان أصحاب الإمام الصادق، أكبر عدد من أصحاب أي أمام آخر إذ بلغ عددهم أربعة آلاف رجل.

أما الطلبة الذين درسوا على شيوخ الإمامية في الفترة موضوع البحث فعددهم كبير. ومن الأمثلة على ذلك كان إسماعيل بن محمد الإسكاف تلميذ القبائي). ويقول الطوسي إن تقى بن نجم الحلي) قرأ علينا وعلى المرتضى). وكان علي بن محمد القيتبى (تلميذ الفضل بن شاذان).

قال ابن طاووس إن سلار بن عبد العزيز تلميذ المرتضى وسأله مسائل).

وأنه كان يقرأ على المرتضى علوماً كثيرة منها النجوم وكان إبراهيم بن هاشم القمي (تلميذ يونس بن عبد الرحمن) وكان أحمد بن عبد الله بن مهران (أحد غلمان يونس بن عبد الرحمن).

روى الحلي أن بكر بن محمد المازني (ت ٢٤٨هـ) كان (من غلمان إسماعيل بن ميثم في الأدب) وكان المظفر بن محمد الخراساني (ت٣٦٧هـ) من غلمان أبي سهل النوبختي.

وقرأ يحيى ابن وثاب على عبيد بن بصلة وكان (يقرأ عليه كل يوم آية ففرغ من القرآن في سبع وأربعين سنة). قال الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (أملى علينا أبو عبد الله محمد بن النعمان....).

وقال الطوسي أيضاً حدثنا شيخي (ر) قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد قال أخبرني أبو الطيب محمد بن أحمد الثقفي قال. قرأت على الحسين بن علي الحجاج وهو ينظر في كتابه....). روى الطوسي عن شيخه (ر) قال أملى علينا والدي رضى الله عنه.... قال عمرو بن أبي مسلمة) قرأت على أبي عمر الصنعاني...).

كان علي بن القاسم البرقي قد (رأى أحمد بن محمد البرقي وتأدّب عليه) قال الطوسي كان لأحمد بن الحسين بن عبد الملك كتاب المشيخة (سمعنا هذه النسخة من أحمد بن عبدون، قال سمعنا من علي بن محمد بن الزبير عن أحمد بن الحسين بن عبد الملك. وكان إسماعيل بن سمكة من أصحاب أحمد بن أبي عبد الله

البرقي) وممن تأدب عليه).

قال ابن داود الحلي عند ترجمته لأحمد بن موسى بن جعفر (قرأت عليه أكثر (البشرى) و(الملاذ) وغير ذلك من تصانيفه...). كان عبد الرحمن بن ميمون خِتْنَ الفضيل بن يسار و(روى عنه سبعمائة مسئلة). روى أحمد بن محمد عن إبراهيم بن أبي محمود مسائل موسى عليه السلام قدر خمس وعشرين ورقة).

يتبين من الأمثلة التي أوردتها أعلاه، سواء ما كان منها عن الأئمة وأصحابهم أو الشيوخ وطلبتهم أن التدريس ما كان يتم في معهد معيّن بل كان يقوم على الإتصال الشخصي بين معلّم العلوم وتلميذه.

ولترتون رأي يقول فيه لقد كان متعارفاً بين الطلبة المسلمين إن المعرفة التي ينالها الطالب عن طريق الإتصال بمعلِّم أفضل من المعرفة التي ينالها بوسائل اخرى، لذا قيل الخطأ مع المعلم أفضل من الصواب بدونه.

وكان لتحصيل المعرفة، وخاصة الحديث، عن طريق الإتصال الشخصي بالمعلم، فضلا عما ذكر، مبررات أُخرى في النظام التربوي عند الطلبة الإمامية وأسلافهم. وذلك أنهم كانوا يعتقدون إن الحديث الذي يسمع من المعصوم لا يمكن أن يرتقي الشك الى وثاقته لأن المعصوم، كما يعتقدون، منزَّه عن الخطأ والنسيان. وكان الطلبة الإمامية، في الفترة التي تناولها بحثنا، حريصين كل الحرص على السماع من الإمام المعصوم أو من الشيوخ الذين يوثقهم ذلك الإمام. وذات مرة قال جعفر بن عيسى للإمام أبي الحسن الثاني عليه السلام ياسيدي نستعين بك على هذين الشيخين يونس وهشام وهما حاضران، وهما أدبانا وعلّمانا الكلام فإن كنا يا سيدي على هدى فقرنا وإن كنا على ضلال فهذان أضلانا فمرْنا بتركه. وسنوضح

موقف الإمامية وأسلافهم تجاه سماع الحديث من أئمتهم عند كلامنا عن الرحلة في طلب العلم فيما يلي من الصفحات.

الرحلة في طلب العلم

كانت الرحلة في طلب العلم من التقاليد العلمية والتعليمية المهمة عند الطلبة المسلمين بما فيهم الإمامية وأسلافهم في الفترة التي تناولها بحثنا. وامتازت الرحلة عند أسلاف الإمامية وخلفائهم بكونها تحقق غرضين أحدهما ديني إمامي في طابعه والثاني علمي ويتحقق الغرض الديني في الرحلة، خاصة في الفترة التي عاش فيها أئمة الإمامية المعصومون وأسلافهم المعصومون والتي تنتهي في حدود ٢٦٠هـ لأن الحديث الذي يروى عن الإمام يعد في نظر الإمامية كأنه مرويٌّ عن النبي ﷺ لأن الإمام المعصوم عندهم مبلّغ عن النبي الذي هو بدوره مبلّغ عن الله. روى الكليني إن جماعة سمعوا (أبا عبد الله عليه السلام يقول حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدّي... وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله) وكان الصادق عليه السلام يصف أحاديث أبيه بأنها آثار النبوة فقال (رحم الله زرارة بن أعين لولا زرارة لاندرست آثار النبوة أحاديث أبي عليه السلام.

وقال الإمام الباقر لجابر بن يزيد (يا جابر لو كنّا نحدِّثكم برأينا وهوانا لكُنّا من الهالكين ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم.

وقد حفلت كتب الحديث والرجال بذكر أسماء الطلبة أسلاف الإمامية الدين كانوا يتوافدون من مختلف الأمصار للقاء الأئمة وتلقي الحديث عنهم.

روى الكشي أنَّ أقواماً كانوا يأتون من الأمصار ليسألوا أبا عبد الله الحديث. وقال محمد بن معروف الهلالي (مضيت الى الحيرة الى جعفر بن محمد عليه السلام فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس). وقال أحمد بن محمد بن عيسى (خرجت الى الكوفة في طلب الحديث فلقيت الحسن بن علي الوشاء فسألته أن يخرج لي كتاب العلاء بن رزين وأبان بن عثمان الأحمر، فأخرجهما إليَّ فقال يرحمك الله وما عجلتك ؟ إذهب فاكتبهما واسمع من بعد. فقلت لا آمن الحدثان. فقال لو علمت إن هذا الحديث يكون له هذا الطلب لا ستكثرت منه فإني أدركت في هذا المسجد تسع مائة شيخ كل يقول حدَّثني جعفر بن محمد...).

ولما كان أئمة الشيعة قد قضوا معظم حياتهم الى ما بعد منتصف القرن الثالث للهجرة في الحجاز حيث الأماكن المقدسة، وحيث وفرة الحديث والمشتغلين فيه، فكان أصحابهم وتلامذتهم يفدون عليهم لطلب الحديث في أوقات الحج في الغالب فاتحد بذلك الواجب الديني والرغبة في التعليم معاً في رحلة كثير من الطلبة الجعفرية أو أسلاف الإمامية خلال قرنين من الزمن. وهناك أدلة تؤيد الإرتباط بين الحج والهدف التعليمي عند الطلبة أسلاف الامامية. قال أبو جعفر عليه السلام (تمام الحج لقاء الامام). وقال الصادق عليه السلام (النظر الى الكعبة عبادة، والنظر الى الوالدين عبادة، والنظر الى الإمام عبادة).

وقال أبو جعفر عليه السلام (إبدأوا بمكة واختموا بنا). وعندما تولى الإمام الجواد الإمامة بعد أبيه وكان ذلك قبيل موسم الحج فلما (قرب وقت الموسم اجتمع فقهاء بغداد والأمصار وعلماؤهم ثمانون رجلاً وقصدوا الحج والمدينة ليشاهدوا أبا جعفر...).

وكان زياد بن عيسى الحذّاء ممن تلمذ للصادق وأبيه الباقر، وكان حسن المنزلة عند آل محمد، وكان زامل أبا جعفر الى مكة.

وقد وردت إشارة الى أن طائفة من تلامذة الأئمة كانوا يفدون على أئمتهم في كل سنة للتعلم منهم. روى الحلي أن عمر بن محمد بن بريد بياع السابري كان (أحد من يفد في كل سنة).

وروى بياع السابري هذا عن أبي عبد الله وأبي الحسن ﷺ وأثنى عليه الصادق ﷺ شفاهاً. ومن أشهر الذين رحلوا في طلب العلم من أسلاف الإمامية أحمد بن علوية الأصفهاني الذي سمي (الرحال لأنه رحل خمسين رحلة).

أما الغرض العلمي الذي عمل الطلبة أسلاف الإمامية وخلفاؤهم على تحقيقه من الرحلة، فضلاً عما سبق، فهو أنهم كانوا يرون أن العلم الذي يكسبه الطالب مشافهة من الشيوخ أجدر بالاعتماد من العلم الذي يؤخذ من الدفاتر والكتب، لذا كانوا يثنون على المشايخ الذين لم يستعملوا الكتب أثناء تدريسهم. وكان أحمد بن محمد الكوفي المعروف بابن عقدة (ت ٣٣٢هـ) من أكابر الحفّاظ الشيعة. وقال عنه الدار قطني (أجمع أهل الكوفة أنه لم يُرَ من زمن عبد الله بن مسعود إلى زمن أبي العباس بن عقدة أحفظ منه). وكان ابن عقدة يقول. (أحفظ من الأحاديث بالأسانيد والمتون ألف حديث).

ويحذّر كاتب إمامي متأخر الطالب من أخذ علمه من بطون الكتب، وينصحه بالقراءة على الشيخ لأن من (تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام).

وقد أخذت الرحلة في طلب العلم عند الإمامية، خاصة بعد نهاية عصر

الأئمة تتجه شيئاً فشيئاً نحو المراكز الدينية الإمامية في الكوفة وقم وبغداد ثم النجف في حدود بداية القرن الخامس للهجرة. وكانت بغداد بحكم كونها مركز الثقافة الإسلامية، وكون مرقد الإمام موسى عليه السلام، فضلاً عن المساجد الشيعية المهمة أمثال براثا والعتيقة، فيها، ولكثرة الشيعة الإمامية فيها خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة، من المراكز العلمية التي قصدها الشيوخ والطلبة الإمامية رغبة في طلب العلم. وكان الشيخ الصدوق والطوسي من بين من قصدوها لهذه الغاية. وكان لتوفر الحرية للشيعة في العهد البويهي، ولنشاط الشيخ المفيد والشريفين الرضي والمرتضى التعليمي أثر في نمو الدراسات الإمامية في مشهد الإمام موسى وفي المساجد الشيعية الاخرى ببغداد. ولما زار المقدسي بغداد في أواخر القرن الرابع للهجرة وجد الحنابلة والشيعة هم المتغلبين فيها . وعندما نصح الخليفة العباسي أثناء دخول البساسيرى الى بغداد سنة (٤٥٠هـ)، أن يبيت في مشهد الإمام موسى الكاظم عليه السلام امتنع وقال إن أهل هذا المشهد من العلويين يعادونني.

وكانت الرحلة في طلب العلم معروفة عند أهل السُّنة. روى السبكي إن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي (ت ٢٣٨هـ) كان (أحد أئمة الدين.... سمع من عبد الله بن المبارك... وارتحل في طلب العلم سنة أربع وثمانين... وسمع في الرحلة من جرير بن عبد الحميد وسفيان بن عينية وعبد العزيز الدراوردي وفضيل بن عياض... وخلق سواهم). وقال أيضاً عند ترجمته للربيع بن سليمان المرادي (ت٢٧٠هـ) (وكانت الرحلة في كتب الشافعي إليه من الآفاق نحو مائتي رجل).

وكان أهل السُّنة والشيعة يستوون في قضية تفضيل السماع من الشيخ، وعد بعضهم السماع من الشيخ أرفع مرتبة من القراءة عليه وقالوا إن تشييخ الصحيفة

يعد من البلية.

ولترتون آراء وملاحظات عن الرحلة في طلب العلم عند المسلمين منها إن رغبة الطالب في سماع الحديث مباشرة من الشيخ دفعته للقيام بالرحلة في طلب العلم. ويقول ترتون إن كاتباً مسلماً متأخراً قال إن الطلبة يرحلون في طلب العلم فراراً من ثقل الواجبات العائلية التي من شأنها عرقلة تحصيلهم العلمي.

ويتابع ترتون حديثه فيقول أن الرحلة في طلب العلم استمرت ولكن هدفها تغير بحيث أصبح من يرحل في طلب العلم يجمع أسماء شيوخ درس عليهم بدلاً من أن يجمع أحاديث منهم وقد ادعى بعض الطلبة أنه سمع أحاديث في مائة وعشرين موضعاً كان من بينها، فضلاً عن المراكز الإسلامية الكبرى، مدن آمد وبوشنج وتنيس. بينما ادعى آخر أنه سمع من ألف وثلاثمائة رجل وثمانين امرأة، وادعى ثالث أنه سمع من سبعة آلاف شيخ.

سن التعليم لطلبة العلوم والمدة اللازمة لإكمال التحصيل.

روي عن النبي ﷺ قال. (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد).

وأنه قال (إطلبوا العلم ولو بالصين).

وقد تلاقت الضرورات الإجتماعية للتعليم مع الواجب الديني على حث المسلمين على التعليم كلما وجدوا الى ذلك سبيلاً. وسبق أن بينت إنَّ السنَّ التي يبدأ عندها الصبيان التعلم بالكتاب كانت تتراوح بين السادسة والسابعة من عمرهم، وأن المدة التي يقضيها الولد في الكتاب كانت في حدود السبع سنوات تقريباً.

أما السن التي يبدأ عندها العلوم فيصعب تحديدها، ومثل ذلك ينغلق على المدة اللازمة لإكمال التحصيل. وبالرغم مما سبق فقد عثرنا على إشارات قد تصلح لأخذ فكرة عن هذا الموضوع. لقد وجد بين الإمامية عدد من النوابغ ممن بدأوا تعلم العلوم في سن مبكرة. فالشريفان علي ومحمد اللذان عرفا فيما بعد بالمرتضى والرضي أرسلتهما أمهما الى الشيخ المفيد وهما صغيران ليعلمهما الفقه.

وحدَّث ابن سينا تلميذه أبا عبيد الجوزجاني أنه تعلم كتاب الصفات، وأدب الكتاب، وإصلاح المنطق وكتاب العين، وشعر الحماسة، وديوان ابن الرومي، وتصريف المازني قبل العاشرة من عمره.

وقال أيضاً (فلما بلغت عشر سنين كانوا في بخارى يتعجبون مني... ثم شرعت في علم الطب وصنفت القانون وأنا ابن ستة عشر سنة... فلما انتهى عمري الى أربع وعشرين سنة كنت أفكر في نفسي أنه لا شيء من العلوم لا أعرفه) واستطاع الشريف غياث الدين بن طاووس ان يحفظ القرآن وله إحدى عشرة سنة.

إن الأمثلة السابقة تمثل النوابغ، لذا لايمكن أن يقاس عليهم الطلبة الإعتياديون.

وإليك أمثلة تشير الى السن التي يبدأ بها الطلبة الإعتياديون دراسة العلوم.

قال ابن عياش الكوفي (ت١٩٣هـ): (بلغت وأنا ابن ستة عشر سنة... وأقبلت على الخير وقراءة القرآن، فكنت أختلف الى عاصم في كل يوم... وكنت إذا قرات على عاصم أتيت الكلبي فسألت عن تفسيره... وقدم محمد بن الحسن

الى بغداد وعمره ٢٣ سنة فتلمذ الى الشيخ المفيد وقال علي بن الحسين بن فضال في معرض الحديث عن أبيه (كنت أُقابله وسني ثمان عشرة سنة بكتبه، ولا أفهم إدراك الروايات ولا أستحل أنْ أرويها عنه...) قال ابن الصلاح (إن أهل البصرة يكتبون لعشر سنين وأهل الكوفة لعشرين وأهل الشام لثلاثين...).

ولا يمكن أن نستنتج، بالإستناد الى ما سبق ذكره من النصوص، قاعدة عامة نستند إليها في تقدير السن التي يبدأ بها الطلبة تعلّم العلوم. ولما كان الصبي ينهي تعليمه الأولي حوالي الرابعة عشر من عمره، كما اقترحنا سابقاً، وإن طائفة من الشيوخ كانوا لا يسمحون للطالب الذي لم تنبت لحيته أن ينخرط في سلك حلقة الدرس، يمكننا أن نقترح سن الخامسة عشر بمثابة بداية لمرحلة تعلّم الطلبة للعلوم.

أما المدة اللازمة لإ كمال التحصيل لدى طلبة العلوم، فيصعب تحديدها أيضاً. وبالرغم من ذلك وجدت إشارات يمكن أن يستنير بها الباحث في تقديره للمدة المذكورة. كان ثعلب يقول نظرت (في حدود الفراء وسني ثماني عشرة وبلغت خمساً وعشرين سنة، وما بقيت علي مسألة للفرّاء إلا وأنا أحفظها).

وسبق أن ذكرنا إن ابن سينا عندما بلغ أربعاً وعشرين سنة من عمره تصور أنه عرف جميع العلوم المعروفة في عصره. فإذا فرضنا إن ابن سينا اشتغل بتعليم العلوم بعد أن بلغ خمس عشرة سنة يكون قد أمضى حوالى ثماني سنين لإكمال تحصيله العلمي، وقد وردت إشارة في مصدر إمامي متأخر مفادها إن السيد محمد صاحب المدارك وخاله الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني كانا يقرءان في النجف عند الزاهد أحمد الأردبيلي، وقد وصلا الى الإجتهاد والتصنيف في مدة ثماني سنين.

والإجتهاد والتصنيف يمكن أن يتخذ بمثابة دليل على إكمال التحصيل، وذلك أن الاجتهاد عند الإمامية دليل على الإستقلال العلمي.

وبالرغم من أن الإشارات السابقة لا ترتقي الى مرتبة الجزم يمكن أن نقترح، على ضوئها أن المدة الصغرى لإكمال التحصيل والإستقلال العلمي تتراوح بين ثماني وعشر سنوات تقريباً بعد الفراغ من الكتاب الذي كان مقارباً لمرحلة الدراسة الأولية عندنا.

ولما كانت دراسة العلوم ترتكز، في الغالب، على الإتصال الشخصي بين الطالب والشيخ أو الشيوخ المتعددين، وأنه لا توجد حينذاك عند المسلمين، بما فيهم الإمامية، مؤسسات تعليمية ذات أنظمة معينة، كما هي الحال عندنا، فأن أي تقدير للمدة اللازمة للتحصيل، أو المدة التي يبدأ بها طالب العلوم تحصيله، لا يعدو الحدس والتخمين. وقد سبق أن ذكرنا إن طائفة من الطلبة أمضوا عشرات السنين يدرسون على شيوخهم (فيحيى بن وثاب، مثلاً، أمضى سبعاً وأربعين سنة حتى أكمل دراسة القرآن الكريم على عبيد بن فضلة). وتعجب الإمام الصادق عليه السلام من سؤال تلميذه زرارة الذي استنكر فيه الأربعين عاماً التي قضاها في السؤال عن مناسك الحج، وقال (يا زرارة بيت يحج قبل آدم بألفي عام تريد أن تفني مسائله بأربعين عاماً)وبقي جابر الجعفي يدرس على الصادق عليه السلام ثماني عشرة سنة. ويقول المؤلف المجهول (لابد من المداومة في العلم من أول التحصيل الى آخر العمر). روى الشافعي أن ابن عينية كان يحفظ عشرة آلاف حديث وأنَّ (ابن حبان جالس ابن عينية عشرين سنة).

وقد توصل ترتون الى المعلومات التالية عن السن التي يبدأ بها طلبة

العلوم تحصيلهم، وعن المدة اللازمة لإكمال التحصيل المذكور. يقول ترتون إن الإحصاءات المتعلقة بأعمار الطلبة المسلمين في العصور الوسطى مفقودة، ولم تصل إلينا حول الموضوع المذكور إلا الحالات النادرة. وحصل أنَّ ولدا بدأ دراسة العلوم في التاسعة من عمره، وأصبح بمثابة مستملي في مجلس درس شيخ من الشيوخ في سن الثالثة عشر من عمره. وتعلَّم ولد آخر القرآن في العاشرة من عمره و أخذ يدرس في الثالثة عشر من عمره وأن شخصااأسمه علي السبكي أخذ يدرس في سن السابعة. ويعلق ترتون على الحالة الأخيرة بقوله يا للعجب، ويمضي ترتون بحديثه فيقول يقابل ما ذكرنا حالات مضادة منها أنَّ رجلاً بدأ بتعلم قراءآت القرآن في الثلاثين من عمره.

ويقترح ترتون، مستنداً على تكرر سن السادسة عشر كبداية لدراسة العلوم، أنَّ السنَّ المذكورة تُعد بداية لدراسة تلك العلوم.

ويذكر ترتون حالة ثعلب حين درس حدود الفرّاء وأنهى جميع مؤلفاته في الخامسة والعشرين من عمره كما بينّا سابقاً.

وينتقل ترتون الى الكلام عن الشيوخ الذين كانوا لا يقبلون مَنْ لم تنبت لحيته من الطلبة في حلقة الدرس. وذات مرة جاء شاب أمرد لينخرط في حلقة أحد الشيوخ، فرفض الشيخ قبوله ولكنه ما لبث أن غيَّر رأيه بعد أن تبين له بعد الامتحان إن الشاب المذكور كان واسع المعرفة. ويقول ترتون أن شابا آخر استعمل لحية مستعارة ليموه على الشيخ حتى يقبله في حلقة درسه.

مركز الطالب الاجتماعي.

يبدو أن مركز الطلبة الإجتماعي كان محترماً لأن طلب العلم، كما أسلفنا، كان يعد من الأعمال التعبدية. قال أمير المؤمنين عليه السلام (تفقهوا في الدين فإن من لم يتفقه منكم في الدين فهو إعرابي. وأن الله عز وجل يقول في كتابه (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون). وقال زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام (لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج، وخوض اللجج، إن الله تعالى أوحى الى دانيال أنَّ أمقتَ عبادي إليَّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للإقتداء بهم، وإن أحبَّ عبادي عندي التقي، الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، القائل عن الحكماء).

وقد ظهر من الأئمة ما يدل على احترامهم لطلبتهم. وذات مرة قدم عيسى بن عبد الله القمي للقاء الإمام الصادق. وعندما سأله أحد أصحابه عنه قال (عيسى بن عبد الله منا حيّاً، منّا ميتاً). وعندما دخل عمران بن عبد الله القمي على الصادق (حدَّثه مليّاً فلما خرج قيل لأبي عبد الله عليه السلام : من هذا ؟ قال نجيبٌ من القوم النجباء...). قال أبو الحسن عليه السلام لعبد الله بن جندب إني راض عنك، والله ورسوله...). وكان الرضا عليه السلام يحترم تلميذه يونس بن عبد الرحمن وكان (يشير إليه في العلم والفتيا...). وكان يعقوب بن إسحاق السكّيت (مقدما عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليه السلام وكانا يختصانه وله عن أبي جعفر عليه السلام رواية ومسائل وقتله المتوكل لأجل التشيع...). قال داود بن القاسم الجعفري (عرضتُ على أبي محمد صاحب العسكر عليه السلام كتاب يوم وليلة ليونس فقال لي تصنيفُ مَنْ هذا فقلتُ تصنيف يونس مولى آل يقطين فقال أعطاه الله بكل حرف نوراً يوم القيامة).

وقد أظهر طائفة من الشيوخ إحترامهم لتلامذتهم. وكان سعيد بن جبير قد أخذ العلم عن ابن عباس. فقال له ابن عباس مرة (حدِّث، فقال أُحدِّث وأنت ههنا. فقال أوليس من نعمة الله عليك أنْ تحدِّث وأنا شاهد فإن رضيتَ فذاك وإن أخطأتَ علَّمُتك). وحضر الشيخ المفيد مجلس السيد المرتضى يوماً (فقام من موضعه وأجلسه فيه وجلس بين يديه فأشار المفيد بأن يدرِّس في حضوره وكان يعجبه كلامه إذا تكلم). وظهر على ألسنة الكثير من الخاصة وفي أفعالهم ما يدلّ على احترام طالب العلم وتقديره. قال الإمام الباقر(كان أبي زين العابدين عليه السلام إذا نظر الى الشباب الذين يطلبون العلم، أدناهم إليه وقال مرحباً بكم أنتم ودائع العلم ويوشك إذا أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين). وقال الصادق عليه السلام (لستُ أحب أن أرى الشاب منكم إلا غادياً في حالين أما عالماً أو متعلماً فإن لم يفعل فرَّط، فإن فرَّط ضيَّع، فإن ضيَّع أثم وإن أثم سكن النار والذي بعث محمداً بالحق).

وكان احترام طالب العلم تقليداً إسلامياً عاماً يستوي فيه أهلُ السُّنة والإمامية. فالشافعي مثلاً كان يكنُّ احتراماً كبيراً لطلبته. روى السبكي أن الشافعي كان يحب تلميذه الربيع بن سليمان المرادي (وقال له يوماً ما أحبك إليّ.. وقال له يوما يا ربيع لو أمكنني أني أطعمك العلم لأطعمتك).

وقال الشافعي أيضاً في حق تلميذه إسماعيل بن يحيى المزني، الذي يصفه السبكي بناصر المذهب وبدر سمائه (المزنى ناصر مذهبي...) وعندما مرض الشافعي دخل عليه جماعة من تلامذته فتكلم مع كل واحد منهم. فقال للربيع بن سليمان (وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب). وقال للبويطي (قم يا

أبا يعقوب فتسلم الحلقة...). وقال أحمد بن حنبل في حق تلميذه سليمان بن داود (لو قيل لي إختر للأُمة رجلاً أستخلفه عليهم استخلفت سليمان بن داود...).

وأود أن أشير هنا الى أن معلوماتنا عن حياة الطالب الإجتماعية تكاد تنحصر غالباً في الناحية الأكاديمية البحتة، وأعني بذلك اتصاله بالشيخ أو اتصال الشيخ به في مجلس الدرس، وقيامه بما يتطلب الدرس من تحضير وحفظ وغير الطالب الخاصة، وكيف يقضي أوقات فراغه، وهل هناك وسائل تسلية معدة لذلك من قضايا ذات علاقة بالناحية الشكلية من التعليم والتعلّم. أما حياة الطلبة، وهل كانت للطلبة عطل طويلة شبيهة بعطلنا المدرسية أو مقاربة لها أو مختلفة عنها، هذه أمور لها أهميتها في النظام التربوي ولكن معلوماتنا عنها قليلة. ومن المؤسف أن المربين القلائل الذين كتبوا عن التربية عند الإمامية كانوا يزودوننا بتوصيات، لا بوصف للواقع، عن حياة الطالب الإجتماعية وخاصة تقسيم أوقاته، لقد سبق أن بيّنا أن الشهيد الثاني ينصح الطالب بأن يقسّم أوقات ليله ونهاره على ما يحصله، ويغتنم بقية عمره فإن بقية العمر لا قيمة لها، ثم يقترح على الطالب أوقاتاً للحفظ وأوقاتاً للكتابة، في أماكن بعيدة عن الملهيات، ولكنه لم يذكر شيئاً عن أوقات فراغه ولعبه. وينصح المؤلف الإمامي المجهول الطالب (أن يصبر في المشاق ويجتهد بقدر الوضع فلا يصرف عمره في الدنيا الحقيرة). ويقترح الشهيد الثاني على الطالب أن (يعتني بتصحيح درسه الذي يحفظه قبل حفظه تصحيحاً متقناً على الشيخ أو على غيره ممن يعينه، ثم يحفظه حفظاً محكماً. ثم يكرره بعد حفظه تكراراً جيداً ثم يتعاهده في أوقات يقررها). ويقترح المؤلف المجهول أوقاتاً للحفظ، ويطلب من الطالب أن يعيد السبق و(أن تكون بداية السبق يوم الأربعاء لما قال رسول الله ﷺ ما من شيء بدأ يوم الأربعاء إلا وقد تم (ويوم الأربعاء نحس في حق

الكفار فيكون مباركاً للمؤمنين). وعندما سُئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن السبب الذي من أجله جعل يوم الأربعاء نحساً في حق الكفار قال (فيه قتل قابيل أخاه، ويوم الأربعاء أُلقي إبراهيم في النار، ويوم الأربعاء وضعوه في المنجنيق). ويستمر المؤلف المجهول بذكر وصاياه فيقول (ينبغي لطالب العلم أن يقدِّر لنفسه تقديراً في التكرار فإنه لا يستقر حتى يبلغ ذلك المبلغ، وينبغي أن يكرر سبق أمس خمس مرات وسبق اليوم الذي قبله أربع مرات، والسبق الذي قبله ثلاثاً، والذي قبله إثنان، والذى قبله واحدة... ولا يجتهد جهداً يجهد نفسه لئلا ينقطع عن التكرار فخير الأمور أوسطها...).

ويبدو من توصيات المؤلفَين السابقة أنهما لم يتركا للطالب حين قسّما أوقاته اليومية فرصة يلهو ويرتاح فيها. ويرغب الشهيد الثاني خاصة أن يرى الطالب يطالع درسه في الصحراء، وفي الأقبية المظلمة، لأن الخضرة، والنبات، والأنهار في نظره من الملهيات. والذي أعتقده ان وعظ الشهيد الثاني وغيره لا يتلائم مع واقع الحياة لأن سن للشباب، وهو السن الذي ينال فيه طالب العلوم كثيراً من معلوماته، له متطلباته وضروراته.

وقد عثرت على إشارات عابرة، جاءت هي الأُخرى على شكل توصيات لا تمثل الحياة العملية في الغالب، عن حياة لطالب العلوم أفضل مما صورها الشهيد الثاني سابقاً. سبق أن أشرتُ في بداية هذا الفصل الى الحياة المنظّمة التي يقترحها ابن سينا للصبيان. وبعد أن ينهي ابن سينا كلامه عن الصبيان ينتقل الى الكلام عن الرياضة الضرورية للكبار بما فيهم الشيوخ. يظهر أن ابن سينا ينهي منهج صبيان المكاتب عند سن الرابعة عشر من عمرهم. يقول ابن سينا (ويكون هذا النهج في

تدبيرهم الى أن يوافوا الرابع عشر من سنيّهم مع الإحاطة بما هو ذاتي لهم كل يوم من تنقص الرطوبات والتجفيف والتصلب فيدرجون في تقليل الرياضة وهجر المعنفة منها ما بين سن الصبا الى سن الترعرع ويلزمون المعتدل ويعد هذا السن هو تدبير الإنماء وحفظ صحة أبدانهم...) وينتقل ابن سينا الى كيفية حفظ صحة الشباب، وهم المقصودون هنا. ويقول (لما كان معظم تدبير حفظ الصحة هو أن يرتاض، ثم تدبير الغداء، ثم تدبير النوم... الرياضة حركة إرادية تضطر إلى التنفس العظيم المتواتر والموفق لاستعمالها على جهة اعتدالها في وقتها به غناء عن كل علاج تقتضيه الأمراض المادية والأمراض المزاجية التي تتبعها وتحدث عنها... وأما أنواع الرياضة فالمنازعة والمباطشة والملاكزة والإحضار وسرعة المشي، والرمي عن القوس والزفن، والقفز الى شئ ليتعلق به، والحجل على إحدى الرجلين، والمثاقفة بالسيف والرمح، وركوب الخيل، والخفق باليدين...). وكان لعضد الدولة سياسة حسنة (في تربية أولاده وقسمة أيامهم بين آداب البراعة والشجاعة وأوقات الجد واللعب والإقتصاد فيما يجري بينهم من الترافه والتهاجر...).

ويبدو أن المربيَين الإماميَين اللذين اقتبستهما قبل قليل، لم يدققا، عند رسمهما الصورة القائمة لحياة طالب العلم، في بعض نواحي سيرة الأئمة عليهم السلام الذين لم يقفوا موقفاً سلبياً تجاه متطلبات الحياة الإعتيادية المشروعة لأفراد شيعتهم بما فيهم طلبة العلم. فالإمام علي عليه السلام لم يعترض على أبي رافع الذي كان يهتم بترويض الحسن والحسين عليهما السلام. وربما كان أبو رافع يعمل بوحي من إمامه. قال أبو رافع (كنت أُلاعب الحسن والحسين بالمداحي وهي أحجار أمثال القرصة كانوا يحفرون حفيرة ويدحون فيها بتلك الأحجار فإن وقع الحجر فقد غلب صاحبها وإن لم يقع غلب). وسبق أن أشرنا الى أنَّ الإمام علياً عليه السلام أوصى آباء الصبية بأن يغسلوا

صبيانهم من الغمر ليبعدوا عنهم الشيطان. وقال الصادق عليه السلام مرة لمؤدب أولاده إذا زكم أحدهم فليعلمه.

وقد جمع ترتون معلومات كما أبدى آراء عن حياة الطلبة المسلمين في العصور الوسطى نورد شطراً منها هنا لاعتقادنا أنها ربما تنطبق على حياة الطلبة الإمامية لأن النظام التربوي عند الإمامية، كما سبق أن بينّا، فرع من النظام التربوي الإسلامي العام. يقول ترتون كان ينتظر من الطلبة أن يحافظوا على النظام والهدوء في حلقة الدروس، فإذا ضحكوا أو تكلموا أو بروا أقلامهم احتج الشيخ على تصرفاتهم المذكورة وحمل حذاءه وغادر حلقة الدرس.

وكان من بين العادات التي تراعى في ترتيب جلوس الطلبة في الحلقة أنَّ أكبر الطلاب سناً يحتل المكان الأول في الحلقة. وقد يحصل أن يتنازل ذلك الطالب عن مكان الى أكثر طلاب حلقة الدرس نباهة وعلماً. وقد حصل أن أحد الشيوخ أضرب عن تعليم تلامذته لسنة كاملة احتجاجاً على سماحهم لأصغرهم سناً بأن يحتل المقعد الأول في الحلقة.

وكان المثل الشائع هو أنَّ العجلة من الشيطان. وكانت العجلة شعار الطلبة والخدم، وذلك أن الطالب يسعى دائماً ليصل الى حلقة الدرس في الوقت المعين. وقيل إن مَثَلَ من يذهب لحلقة الدرس دون محبرة كمثل من يذهب الى الطاحون دون أن يأخذ معه الحبوب التي يراد طحنها. وينبغي للطالب أن يمتنع عن استعارة محبرة زميلة. وقد وردت قصة فحواها إنَّ استعمال محابر الطلبة الآخرين كان مباحاً في الحالات الإضطرارية.

ويستمر ترتون في حديثه عن حياة طلبة العلوم المسلمين وشيوخهم في

العصور الوسطى فيقول لقد عرف عن بعض معلمي العلوم أنهم يأخذون طلبتهم أحياناً للنزهة. وذات مرة أخذ الشيخ طلبته بعد أن أدوا صلاة الظهر الى الحقول المجاورة حيث أباح لهم الركض والقفز بينما جلس هو متفرجاً .

ويورد ترتون إشارة الى لباس طلبة العلوم في معرض حديثه عن شيخ (من علماء القرن الثالث) كان من المجدّين في تدريسه. لقد وصفت حلقة درس الشيخ المذكور بأنها كثيرة النفع، وأنها عامرة بكل أنواع المعرفة. وحدث أن مائة راكب من الكتاب والنبلاء مرّوا على المسجد الذي يحاضر فيه الشيخ المذكور فجلب انتباههم منظر الحلقة فوقفوا عند مدخل المسجد، فلم يعر الشيخ اهتماماً لأولئك الذين لبسوا الحرير وامتطوا جياد الخيل، وملكوا الخدم، وحصر اهتمامه بطلبته الذين كانوا يرتدون العباءات الممزقة والملابس العتيقة .

المركز المالي لطلبة العلوم.

إنَّ المعلومات التي عثرتُ عليها عن مركز الطالب المالى قليلة جداً. لقد بينا، عند الكلام عن حالة الشيخ المالية، أنَّ كثيراً من طلبة العلوم الإمامية اعتادوا أنْ يتعلموا مهنة يعتاشون منها قبل طلبهم للعلم أو أثناء طلبهم له. وكانت المهن التي أشرت إليها متنوعة أمثال الحدادة، والصيرفة، وصنع الأحذية وغيرها. ويظهر أنَّ المهن المذكورة كانت تدر على أصحابها أرباحاً معقولة فعندئذ تكون حالتهم المالية جيدة.

أما الذين لم تكن لهم مهنة أو أنهم في عوز مادي فإن بعضهم كما سنذكر عند كلامنا عن تمويل التعليم، كان يتسلم معونة من موارد الحقوق الشرعية والوصية

والوقف التي يدفعها الشيعة للأئمة عليهم السلام. ويبدو أنَّ المبالغ التي كان يتسلمها الأئمة من شيعتهم كبيرة. روى الكشي إن يونس بن عبد الرحمن قال (مات أبو الحسن عليه السلام وليس من قوّامه أحد إلا وعنده المال الكثير، فكان ذلك سبب وقوفهم وجحودهم موته، وكان عند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار).

ومن الأمثلة على صلة الأئمة لأصحابهم الذين يفدون عليهم لسماع الحديث، أن الصادق أعطى أحد أصحابه المعروف بجابر المكفوف ثلاثين ديناراً.

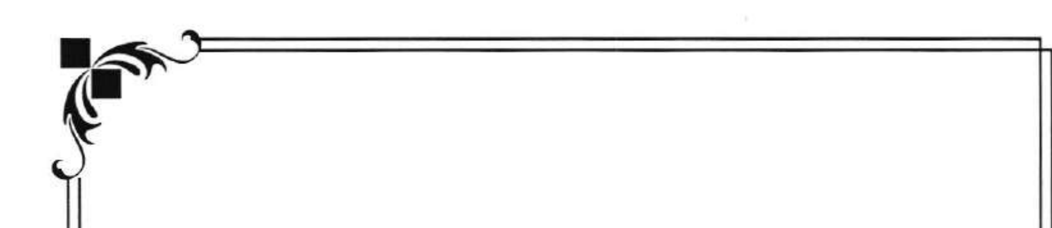
وأعطى آخر من أصحابه ثلاثين درهماً وديناريـن، ودعاه لأن يتعشى عنده كل ليلة طيلة مكثه بالمدينة . ويبدو أن تبرعات الأُمراء والأفراد كانت تسد قسماً من نفقات التعليم. فعضد الدولة، كما أسلفنا، وسابور وغيرهما من البويهيين صرفوا مبالغ لتشجيع العلم. وكان الصاحب بن عباد من بين الأُمراء الذين أنفقوا مبالغ على العلماء والطلبة. (إذ كانت أيامه للعلوية والعلماء والأُدباء والشعراء وحضرته محط رحلهم وموسم فضلائهم ومترع آمالهم، وأمواله مصروفة إليهم، وصنائعه مقصورة عليهم) وأوقف الصاحب الكتب المنوعة لفائدة الطلبة وأهل العلم.

ويوصي الإمامي المجهول الطالب بأنْ (يكون ذا همَّة عالية لايطمع في أموال الناس. قال النبي صلى الله عليه وسلم. إياك والطمع فإنه فقر حاضر). ولا يبخل بما عنده من المال بل ينفق على نفسه وعلى غيره.... وكان في الزمان الأول يتعلمون الحرفة ثم يتعلمون العلم حتى لا يطمع في أموال الناس. ويبدو أن معاونة طالب العلم كانت من الامور المحمودة. روى الديلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مَنْ أعان طالب العلم بدرهم بشَّرته الملائكة عند قبض روحه بالجنة وفتح الله له باباً من نور في

قبره). وقد وسَّع الشريف الرضي على طلبة العلم الملازمين له. وقد سبق أن بينّا أنه أعطى كل واحد منهم مفتاحاً للمخزن الخاص بدار العلم ليأخذ ما يحتاج إليه منه. وكان أخوه المرتضى يمول (تلامذته) جميعاً .

وقد أوقف قرية على كاغد الفقهاء. وكان السيد المرتضى (يجري على جميع تلامذته، وأنه قرر للشيخ الطوسي كل شهر أيام قراءته عليه إثني عشر ديناراً، وعلى ابن البراج كل شهر ثمانية دنانير) وكان المرتضى غنياً فليس من المستبعد أن يصح ما نسب إليه من سخاء في سبيل الطلبة وتشجيع العلم. ذكر ياقوت أن يحيى بن الحسين العلوي الزيدي خاطب أحدهم بعد أن مدحه بعض الشعراء وخرج- (يا أبا الفضل، الناس ينظرون إلي والى المرتضى ولا يفرّقون بين الرجلين، المرتضى يدخل عليه من أملاكه كل سنة أربعة وعشرون ألف دينار، وانا آكل من طاحونه لأختي ليس لي معيشة غيرها).





الفصل الخامس

أساليب التعليم والمناهج





توطئة

سبق أنْ بينّا في مواضع عدة من هذه الرسالة أنَّ الهدف الديني للتربية الإسلامية، في الفترة التي تناولتها بالبحث، كان أهم الأهداف التي توخت تحقيقها تلك التربية، وأولاها بالعناية والتفضيل. ولم تنفرد الامة الإسلامية بتأكيدها التام على الهدف الديني للتربية، بل يبدو إن إبراز الطابع الديني للأنظمة التربوية في العصور الوسطى كان هدفاً عاماً تبنته الغالبية العظمى من الامم بما فيها الامة الإسلامية.

وبالرغم مما سبق فإن المربين المسلمين لم يهملوا الهدف الدنيوي للتربية بل خصصوا له نصيباً من عنايتهم. ويترتب على ذلك أن التربية الإسلامية كانت تستهدف تحقيق غايتين أولاهما وأهمها الإعداد للحياة الآخرة، وثانيتهما تمكين الفرد من معرفة طائفة من العلوم والمهارات التي تساعده على النجاح في الحياة الدنيا.

وقد نال الإعداد للحياة الآخرة الاهتمام الرئيسي من قادة الفكر عند الإمامية وأسلافهم. ونظر اولئك القادة للعلوم الشرعية بأنها أساس المعرفة. قال الإمام الصادق (وجدتُ علوم الناس كلها في أربع خلال : أولها أن تعرف ربك، والثانية أن تعرف ما صنع بك، والثالثة أن تعرف ما أراد منك، والرابعة أن تعرف ما يخرجك من دينك. وعندما يوصي السيد موسى ابن طاووس (ت٦٤٤هـ) ابنه يقول أُريد (من الله جل جلاله أن يلهمك، ومنك أن تقبل إلهامه، وأن تتعلم الفقه الذي فيه السبيل الى معرفة الأحكام الشرعية، وإحياء سنة جدك المحمدية، ويكون قصدك بذلك امتثال أمر الله جل جلاله في التعليم وسلوك الصراط

المستقيم).

ويبدو أن بعضهم كان ينظر الى بعض المهارات، كالخط مثلاً، بأنها لا تعلَّم لذاتها بل هي واسطة لتحقيق غاية اخروية. يقول ابن طاووس مخاطباً ابنه محمد (فأوصيك بتعلُّم الخط على التمام فإنه معونة لك على السلوك الى الله جل جلاله ودخول غاية رضاه في دار المقام). ثم يوصي ابنُ طاووس ابنَه بتعلم العربية (بمقدار ما يحتاج إليه مثلك من الطالبين للمراضي الإلهية وإحياء السنن النبوية. ويقول ابن داود الحلي في مقدمة كتابه الموسوم بـ (الرجال) (الحمد لله الذي وفقني للتخلي عن الحركات الدنيوية والنظر في المهمات الاخروية). أما غاية التعليم فهناك ما يدل عليها في الأدب الإمامي ما دامت لا تتعارض مع الغاية الدينية. ويقوم بروز معلمين كفاة في حقول العلوم غير الشرعية بين الإمامية دليلاً على اهتمامهم بالغاية الدنيوية من التعليم. ففي اللغة والأدب، مثلاً، برز من بينهم أبو الأسود الدؤلي، والخليل بن أحمد الفراهيدي، والمازني، والمبرَّد، وقطرب، وابن السكّيت، وابن السكون وغيرهم. وفي حقل الفلسفة برز بينهم الكندي وابن سينا والفارابي. أما في علم النجوم فقد أورد ابن طاووس في كتابه الموسوم بـ (فرج المهموم في معرفة علم النجوم) طائفة من علماء الإمامية وأسلافهم الذين اشتغلوا بالعلم المذكور، بالرغم من أن بعضهم كان يتصور إن النظر في علم النجوم يخالف الشرع كما يظهر من الخبر التالي. قال عبد الرحمن بن سبابة قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت لك الفداء أن الناس يقولون أن النجوم لا يحل النظر فيها وهي تعجبني، فإن كانت تضر بديني فلا حاجة لي في شيء يضر بديني، وإن كانت لا تضر بديني فو الله إني لأشتهيها وأشتهي النظر فيها. قال ليس كما يقولون لا تضر بدينك).

ومن العلوم غير الشرعية التي ألَّف بها الإمامية وأسلافهم الفلسفة والطب وغيرهما. قال الطوسي إن اسماعيل بن شعيب ألَّف مجموعة من الكتب (منها كتاب الطب). وإن الحسن بن موسى النوبختي ألَّف كتاب (اختصار الكون والفساد) لأرسطاليس وأنه كان متكلماً فيلسوفاً ويجتمع إليه جماعة من نقلة كتب الفلسفة. وكان أبان بن عثمان البجلي من أهل الكوفة وكان يسكنها تارة والبصرة اخرى (وقد أخذ عنه أهلها أبو عبيدة معمر بن المثنى وابو عبد الله محمد بن سلام وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام)

وتبدو الغاية الدنيوية من التعليم واضحة في قول الإمام الصادق التالي (مَنَّ الله عز وجل على الناس برِّهم وفاجرهم بالكتاب والحساب ولولا ذلك لتغالطوا). ويظهر من النص المذكور أن الخط والحساب علمان ضروريان لتنظيم حياة الناس العاجلة بغض النظر عن تقواهم أو عدمها.

وعندما يتكلم الديلمي عن العقل يؤكد كثيراً على فوائده الدنيوية للفرد. قال الديلمي (لكل أدب ينبوع، وأمير الفضل وينبوع الأدب العقل، جعله الله لمعرفته وللدين أصلاً، وللملك والدنيا عماداً، وللسلامة من المهلكات معقلاً فأوجب لهم التكليف بإكماله وجعل أمر الدنيا مدار به، وألَّف بين خلقه مع اختلافهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم وما استودع الله تعالى أحداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً والعقل أصدق مشير، وأنصح خليل، وخير جليس، ونعم الوزير، وخير المواهب العقل وشرّها الجهل).

وبالرغم من الاهتمام الذي إبداه الإمامية في العلوم غير الشرعية فإنهم ركزوا جل اهتمامهم، في الفترة التي بحثناها، بدرس علوم آل البيت وتدريسها.

وكان هدفهم من وراء ذلك الإهتمام رضا الله لأن دراسة العلوم المذكورة لم نكن تؤهلهم للعمل في ديوان السلطان. ويعود ذلك لسببين أحدهما أن كثيراً من الإمامية وأسلافهم عزفوا عن خدمة سلطان غاصب، في نظرهم، كما سبق أنْ بينا في الفصل الأول من هذه الرسالة، وكما يبدو من الرواية التالية : قال ابن طاووس في وصفه لخلاصه من وظيفة الإفتاء التي طلب منه الخليفة العباسي إشغالها (فأول شرك نصبه الشيطان ليفرق بيني وبين الله... أنه طلبني الخليفة المنتصر... للفتوى... فحضرت فاجتهد بكل جهد... أنني أدخل في فتواهم فقواني الله... على مخالفتهم والتهوين بنفسي وما أملكه في طلب رضاء الله... بالإمتناع منهم والإعراض عنهم... فلو أنني دخلتُ يا ولدي محمد ذلك اليوم معهم في هذه الفتوى الدينية، ولعب أهل الدنيا وقواعدهم الردية، كنتُ هلكتُ أبد الآبدين وكانوا قد أدخلوني فيما يفرِّق بيني وبين رب العالمين).

ثم يقول ابن طاووس أن الخليفة عاد وكلّفني (الدخول في الوزارة... فراجعت واعتذرت حتى بلغ الأمر الى أن قلت ما معناه إن كان المراد بوزارتي على عادة الوزراء يمشون أُمورهم بكل مذهب وكل سبب... وإن أردت العمل في ذلك بكتاب الله... وسنة رسوله... فهذا أمر لا يحتمله من في دارك لا مماليكك ولا خدمك ولا حشمك ولا ملوك الأطراف...).

ويبدو من النص السابق أنَّ ابن طاووس امتنع عن قبول منصب الإفتاء ثم الوزارة لأنه لا يريد السير على التقاليد الدينية والسياسية السابقة لاعتقاده بعدم شرعيتها ونبَّه الخليفة الى أنه إن سار على كتاب الله وسنة رسوله أثار غضب حاشية الخلفية وملوك الأطراف. وكان يقصد بالكتاب والسنة تفسير الكتاب

الكريم ونقل السنة الشريفة كما ورد عن الأئمةﷺ لأن أصل الكتاب والسنة شيء واحد، كما هو معلوم، عند أهل السنة والشيعة.

أما السبب الثاني الذي من أجله كانت دراسة علوم آل البيت غير مؤهلة لأشغال عمل في ديوان السلطان هو أن الخلفاء، في الفترة التي تناولها بحثنا، كانوا لا يقلّدون مَنْ عُرف عنه التشيع أعمالهم لاسيما المراكز الدينية منها. روى ياقوت أن علي بن محمد الفصيحي (ت٥١٦هـ) لما قدم بغداد (درس النحو بالنظامية... ثم اتهم بالتشيع فقيل له في ذلك فقال لا أجحد أنا متشيع من الفرق الى القدم فأخرج من النظامية ورتب مكانه الشيخ أبو منصور موهوب... الجواليقي فكان المتعلمون يقصدون داره التي انتقل إليها للقراءة عليه فقال لهم يوماً داري بكرى وخبزي بشرى وقد جئتم تدحرجون إليّ إذهبوا الى من عزلنا به).

أساليب أو طرق التدريس

قبل الحديث عن أساليب التدريس، أود أنْ أحدد طائفة من الألفاظ التي استعملها مؤلفو كتب الرجال والحديث للدلالة على تحمّل الحديث ونقله عن الشيخ.

أ - السماع من لفظ الشيخ.

وينقسم الى إملاء وتحديث من غير إملاء، وسواء كان من حفظ الشيخ أو من كتابه. وهذا القسم أرفع الأقسام عند الجماهير.

ويقول الراوي.

(سمعتُ) عند سماعه الحديث من الشيخ إذ لا يكاد أحد يقول سمعتُ في أحاديث الإجازة والمكاتبة ولا في تدليس ما لم يسمعه.

يقول الراوي (حدّثني وحدّثنا) للدلالة على قراءة الشيخ عليه، ولكن اللفظين الأخيرين يحتملان الإجازة، على رأي بعضهم بخلاف سمعت.

يقول الراوي (أخبرنا) لظهور الإخبار في القول. ولكن لفظة (أخبر) تستعمل في الإجازة والمكاتبة فلذلك كان استعمالها أدون من العبارات السابقة في رقم ١ و ٢.

يقول الراوي (أنبأنا) وتغلب هذه اللفظة في الإجازة وهي قليلة الاستعمال هنا قبل ظهور الإجازة فكيف بعدها.

ب- القراءة على الشيخ أو العرض

يقول ابن الصلاح تتحقق القراءة سواء (كنتَ أنت القارئ أو قَرأ غيرك وأنت تسمع، أو قرأت من كتاب أو من حفظك أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه أو لا يحفظ لكن يمسك أصله هو أو ثقة غيره). ويقول الراوي في حالة العرض (قرأت) على فلان أو (قرئ) على فلان وأنا أسمع فأقرَّ به. وقد يقال حدّثنا فلان قراءة عليه، أو أخبرنا قراءة عليه، ونحو ذلك وكذلك أنشدنا قراءة عليه في الشعر.

جـ - الإجازة.

وسنورد عنها تفصيلات بعد قليل.

د - المناولة.

وهي كالإجازة من أقسام طرق تحمّل الحديث وتلقيه. والمناولة على نوعين أحدهما المناولة المقرونة بالإجازة، ومن صورها أن يدفع الشيخ الى الطالب أصل سماعه أو فرعاً مقابلاً به ويقول هذا سماعي أو روايتي عن فلان فاروهِ عني أو أجزتُ لك روايته عني. ثم يملّكه إياه أو يقول خذه وانسخه وقابِلْ به ثم رُدَّه إليَّ أو نحو هذا ومنها أن يجئ الطالب الى الشيخ بكتاب أو جزء من حديثه فيعرضه عليه فيتأمله الشيخ وهو عارف متيقظ ثم يعيده إليه ويقول له وقفتُ على ما فيه وهو حديثي عن فلان أو روايتي عن شيوخي فيه فاروِهِ عني أو أجزت لك روايته عني. والنوع الثاني من المناولة هو المناولة المجردة عن الإجازة، وتتم عندما يناول الشيخ تلميذه الكتاب ويقول هذا من حديثي أو من سماعاتي ولا يقول ارْوِهِ عني أو أجزتُ لك روايته عني. ومن الجدير بالذكر إنني لم أعثر في المصادر التي اطلعت عليها على أمثلة للمناولة تعود للفترة التي بحثتها.

وننتقل الى الحديث عن طرق التدريس عند الإمامية. ويمكن تقسيم الطرق المذكورة الى ما يأتي :

اولاً : طريقة السماع من المعلم.

روى ابن شهراشوب إن من كتب المفضل بن عمر كتاب (الإهليلجة من إملاء الصادق عليه السلام في التوحيد). ومن كتب الحسن بن خالد البرقي (تفسير العسكري من إملاء الإمام عليه السلام مائة وعشرون مجلدة) روى الطوسي أنه سمع عبد الواحد بن محمد ببغداد في الكرخ سنة عشر وأربعمائة يقول (أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة في يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة أملأ في مسجد براثا لثمان بقين من جمادى الاول سنة ثلاثين وثلثمائة). قال الشيخ المفيد عند ذكره المجلس الأول من كتابه الموسوم بـ (الأمالي) (مجلس يوم السبت، مستهل شهر رمضان سنة أربع وأربعمائة بمدينة السلام في الزيارين في درب رباح منزل ضمرة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الفارسي أدام الله عزه بإملائه من كتبه). وكان لمحمد بن أحمد المعروف بالصفواني مصنفات كثيرة و(له كتب أملاها من ظهر قلبه...).

يقول النجاشي ألّف محمد بن عمر بن محمد التميمي (كتاب الشيعة من أصحاب الحديث وطبقاتهم وهو كتاب كبير سمعناه من أبي الحسن محمد بن عثمان). ويقول أيضاً عند ترجمته لعلي بن أبي صالح الخياط أن حميداً قال (سمعت عنه كتباً عدة منها...). وقال أيضاً (أخبرنا أبو عبد الله بن شاذان قال حدّثنا علي بن حاتم قال حدّثنا علي بن سلمان بكتابه النوادر).

وقد ألّف شيوخ الإمامية طائفة من كتب الأمالي. وقد سبق أن أوردنا تفصيلات عن كتاب (الأمالي) للشيخ الصدوق القمي عند كلامنا عن المجالس في الفصل الثاني من هذه الرسالة. وللشيخ المفيد كتاب (أمالي) سبقت الإشارة إليه. ويحتوي أمالي المفيد اثنين وأربعين مجلساً تحتوي على مائتي مطلب نفيس في شتى البحوث مع أسنادها الموثوق بصدورها عن النبي وآل بيته ﷺ. وقد أملى المفيد المجلس الأول بمدينة السلام يوم السبت مستهل شهر رمضان. (ص٩) والثاني يوم الأربعاء لخمس خلون منه (ص ١٠). والثالث السبت لثمان خلون منه. والمجلس الرابع يوم السبت النصف منه (ص٢٥). والخامس يوم الاثنين السابع عشر منه (ص٢٩). والسادس الأربعاء التاسع عشر منه (ص ٣٤). ولو عقدنا مقارنة بين (أمالي) الصدوق الذي سبقت الإشارة إليه وبين (أمالي) المفيد لرأينا أن الصدوق كان يتقيد بإلقاء دروسه أو جلسات تدريسه (المجالس) مقرونة بأيام معينة من كل أسبوع، كما أن الفواصل بين مجلس وآخر ثابتة. يضاف الى ذلك أن الصدوق أنهى مجالسه بسنة كاملة. أما المفيد فإن الفواصل بين مجالسه لم تكن ثابتة. فكانت الفاصلة بين المجلس الأول والثاني أربعة أيام وبين الثاني والثالث ثلاثة أيام، وبين الثالث والرابع والخامس يومان فقط. يضاف الى ذلك أن المفيد لم يتقيد بأيام معينة من كل اسبوع لإلقاء مجالسه كما فعل الصدوق. وثمة فارق آخر بين الصدوق والمفيد هو أن الصدوق أنهى مجالسه بسنة كاملة دون انقطاع بينما المفيد استمر بمجالسه سنوات عديدة. فالمجلس الأول كان في سنة أربع وأربعمائة (ص ٩). والمجالس الرابع والعشرون هو (مجلس يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان واربعمائة وهو أول مجلس املى فيه في هذا الشهر) (ص ١٣١).

وبعد كتاب الأمالي للشيخ الطوسي من كتب الأمالي المشهورة عند الإمامية. وكان الطوسي قد قسَّم كتابه المذكور الى أجزاء أو جلسات تدريسية أملاها كلها بمشهد أمير المؤمنين (ص ٢). الأول بدأه في شهر ربيع الأول من سنة (٤٥٥هـ) (ص١ - ٢٠) والثاني أملاه بمشهد مولانا أمير المؤمنين في ربيع الأول من سنة (٤٥٥هـ) (ص ٢٠ - ٣٨). والثالث في شعبان سنة (٤٥٥هـ) (٣٨–٥٨) والرابع في المكان نفسه ولكن الطوسي لم يقرنه بذكر الشهر والسنة كعادته (ص ٥٨–٧٥). والخامس أملاه في ٢٦ رمضان سنة (٤٥٧هـ) (٧٥-٩٣). وهكذا يستمر الطوسي في ذكر الأمكنة والأزمنة التي أملى فيها كتابه المذكور.

ولعل القارئ يستطيع الإستنتاج، بالاستعانة بالمقارنة التي أوردتها قبل قليل، إن طريقة الطوسي في إلقاء مجالسه وتعيين أوقاتها كانت أقرب الى طريقة المفيد منها الى طريقة الصدوق القمي.

وكانت طريقة السماع من الشيخ أكثر الطرق شيوعاً عند طلبة الحديث المسلمين بما فيهم الإمامية. ومن الأمثلة عليها عند أهل السُّنة ما رواه السهمي من أن محمد بن أحمد الإسماعيلي كان (أول من جلس للإملاء في حياة والده أبي بكر الإسماعيلي.. في مسجد الصفارين الى أن توفي والده، ثم انتقل الى المسجد الكبير الذي كان والده يملي فيه، ويملي في كل يوم سبت الى أن توفي سنة خمس وأربعمائة). قال أبو سعد أحمد بن محمد الماليني (سمعتُ.. علي بن إسماعيل الصوفي يقول سمعتُ أبا الحسن المنصوري يقول سألتُ الجنيد متى يستوجب العبد... قال سمعت سريا يقول هو.... قال أحمد بن إسحاق الضبعي سمعت إسماعيل بن إسحاق السراج يقول قال لي أحمد بن حنبل)

روى الشهيد الثاني إن أبا سعيد الشيباني روى (في أدب الإستملاء إن المعتصم وجه من يحرز مجلس عاصم بن علي بن عاصم في رحبة النخيل من جامع الرصافة، قال وكان عاصم يجلس على سطح المسقاط وتنتشر الناس في الرحبة وما يليها فيعظم الجمع جداً حتى سمع يوماً يستعاد إسم الرجل في الأسناد أربع عشرة مرة والناس لا يسمعون، فلما بلغ المعتصم كثرة الجمع أمر من يحرزهم فحرزوا المجلس عشرين ومائة ألف...).

تظهر المبالغة في الرواية السابقة، لأنه يصعب تصور جلوس عشرين ومائة ألف في قاعة واحدة. كما يصعب على الشيخ أن يوصل صوته الى جميع هؤلاء رغم احتمال وجود عدد من المستملين يساعدونه في ذلك.

يضاف الى ذلك إن المستمعين قد يشعرون بأن الفائدة لا تتحقق من الإملاء لأنهم كانوا حريصين على التأكد من صحة الألفاظ التي تملى لا سيما أن الدرس المذكور كان حديثاً نبوياً شريفاً، وأن صحة الأسناد وسلامة المتن أمران ضروريان لصحة النقل .

ثانياً : طريقة القراءة على الشيخ أو العرض

بينّا عند تحديدنا للألفاظ المستعملة في تحمل الحديث وتلقيه قبل قليل معنى القراءة على الشيخ، وسنورد أمثلة على هذه الطريقة. قال الطوسي إن لإسماعيل بن موسى بن جعفر كتباً يرويها عن أبيه عن آبائه عليهم السلام... قال حدّثنا أبو علي محمد بن إسحاق بن الأشعث... بمصر قراءة عليه من كتابه.

قال النجاشي إن أحمد بن الحسين قرأ (كتاب الصلاة والزكاة ومناسك الحج

والصيام... على أحمد بن عبد الواحد في مدة سمعتها معه وقرأت أنا كتاب الصيام عليه في مشهد العتيقة...).

قال الطوسي عند كلامه عن كتاب لأبان بن تغلب (فأخبرنا به الحسن بن عبد الله قال قرأته على أبي بكر أحمد بن عبد الله... قال قرأته على أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد). وجاء في مستهل المجلس الخامس من كتاب (الأمالي) (للمفيد) ومما أملاه في يوم الإثنين السابع عشر منه وسمعه أبو الفوارس أبقاه الله أخبرني الشيخ الجليل المفيد... قراءة عليه).

وجاء في بداية المجلس الرابع من الكتاب المذكور ومما أملاه في مجلس يوم السبت النصف منه (يقصد الشهر) ولم أحضره. ولكن استنسخه وقرأته عليه. وسمع والدي أبو الفوارس... يوم الخميس... ثم يقول أخبرنا الشيخ الجليل المفيد... قراءة عليه في هذا اليوم.

ويبدو من النص المذكور إن المتكلم هو أحد تلامذة المفيد وكان يقرأ عليه هو ووالده أبو الفوارس وكان يستنسخ الدروس من والده عند غيابه عنها ثم يعرضها على المفيد للتأكد من صحة روايتها. ومما يؤيد ما ذهبت إليه أن المجلس الخامس من دروس المفيد المذكورة يبدأ بما يأتي - (ومما أملاه في يوم الأثنين السابع عشر منه وسمعه أبو الفوارس أبقاه الله أخبرني الشيخ... المفيد... قراءة عليه). وكذلك يبدأ المجلس السادس ، ومما أملاه في يوم الأربعاء التاسع عشر منه وسمعه أبو الفوارس... أخبرنا الشيخ... المفيد... قراءة عليه.

ويعبّر الراوي عن هذه الطريقة إن أراد رواية ذلك بقوله (قرأت على فلان أو قرأ وأنا أسمع فأقر الشيخ به).

ومن الأمثلة على طريقة العرض، فضلاً عما سبق، ما يأتي- روى عبيد بن محمد بن قيس البجلي عن أبيه قال (عرضنا هذا الكتاب (كتاب عبيد) على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فقال هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام إنه كان يقول إذا صلى قال في أول الصلاة وذكر الكتاب). روى النجاشي إن الحسن بن عبد الله قال: (جئت بالمنتخبات الى أبي القاسم بن قولويه رحمه الله أقرأها عليه...). وبعد أن يعدد الطوسي كتب المرتضى يقول: (قرأت هذه الكتب أكثرها عليه وسمعت سائرها يقرأ عليه دفعات كثير...).

وعندما يعدد الطوسي كتب المفيد يقول (سمعنا منه هذه الكتب كلها بعضها قراءة عليه، وبعضها يقرأ عليه غير مرة وهو يسمع). وقال الطوسي عند ترجمته لأحمد بن محمد السواق إنه صنف كتباً منها كتاب الصيام (أخبرنا به الحسين بن عبد الله قال حدّثنا أحمد بن محمد الرازى قراءة عليه).

ويبدو أن التعليم بطريقة القراءة على الشيخ أو العرض يكون فردياً على الأغلب. ويكون الطالب حراً في اختيار الموضوع الذي يريد قراءته على الشيخ.

ويعرض الطالب عند دراسته للموضوع المذكور الكتاب الذي يحتوي ذلك الموضوع. ويقرأ الطالب أو غيره الكتاب الذي يراد درسه بحضور الشيخ. وحينئذ يتحقق إطلاع الشيخ على المعلومات التي احتواها الكتاب أو الكتب التي تدرس بإشرافه وبحضرته. وبعد أن تتم عملية التعليم يصح للتلميذ أن يروي الكتاب أو الكتب درسها على شيخه.

ولترتون رأي في طريقة القراءة على الشيخ يقول فيه إن طريقة السماع على الشيخ أفضل في نظر الطلبة من طريقة العرض أو القراءة على الشيخ.

وقد حدث مرة أن أحد الطلبة قال أنه قد فقد كل احترام لطريقة العرض المذكورة عندما شاهد مالكاً يغط في نومه في الوقت الذي كان أحد الطلبة يقرأ عليه من كتاب.

ثالثاً: طريقة المكاتبة

تقوم هذه الطريقة من طرق نقل الحديث على كتابة الشيخ الى الطالب وهو غائب شيئاً من حديثه بخطه أو يكتب له ذلك وهو حاضر. ويلتحق بذلك ما إذا أمر غيره بأن يكتب له ذلك عنه إليه.

وينقسم هذا النوع من طريق تحمل الحديث الى نوعين. أحدهما أن تتجرد المكاتبة عن الإجازة. والثاني أن تقترن بالإجازة بأن يكتب إليه ويقول أجزت لك ما كتبته لك أو ما كتبت به إليك أو نحو ذلك من عبارات الإجازة.

ومن الأمثلة على طريقة المكاتبة ما رواه ابن شهرآشوب من أن داود الصرفي كان ممن لقي زين العابدين عليه السلام، له كتاب مسائل. وكان للحلبي كتاب (المسائل عن الصادق عليه السلام). وكان زكريا بن آدم القمي (من أصحاب موسى بن جعفر عليهما السلام له مسائل...). وكان لصفوان بن يحيى (مسائل عن أبي الحسن موسى عليه السلام). ولعلي بن يقطين (مسائل عن أبي الحسن موسى عليه السلام). وكان لأبي أحمد محمد بن أبي عمير كتاب (مسائل عن الرضا عليه السلام). ولياسر الخادم مسائل عن الرضا عليه السلام. وكان لأيوب بن نوح بن دراج (كتاب وروايات ومسائل عن أبى الحسن الثالث عليه السلام). ويعد أحمد بن إسحاق (من خواص أبي محمد عليه السلام ولقي صاحب الزمان من (كتبه.. مسائل الرجال لأبي

الحسن الثالث ﷺ)وألّف الشريف المرتضى (المسائل الموصلية الأولية الثلاث، وهي المسائل في الوعيد والقياس والإعتماد، مسائل أهل الموصل الثانية، مسائلهم الثالثة..مسائل الخلاف في الفقه لم يتمّه..مسائل الخلاف في أصول الفقه لم يتمها.. مسائل مفردات في اصول الفقة.. مسائل الطرابلسية الأخيرة. المسائل الحلبية الأولى، مسائلهم الأخيرة، المسائل الديلمية في الفقه.. المسائل الجرجانية، المسائل الطوسية لم يتمها، المسائل الصيداوية..). وللشيخ الطوسي مجموعة من الكتب المسائل منها (مسئلة في الأحوال.. مسئلة في تحريم الفقاع المسائل الحنبلانية أربع وعشرون مسئلة، المسائل الرجعية، المسئلة الرازية في الوعيد مسئلة في الفرق بين النبي عليه السلام والإمام، مسئلة في مواقيت الصلاة، المسائل الحلبية.. مسائل ابن البراج.. المسائل الجبرية نحو من ثلثمائة مسئلة.. المسائل القمية).

ويبدو أن كتب (المسائل) عبارة عن أجوبة لمسائل أرسلها أو وجهها مباشرة، طلبة للأئمة أو لمشاهيرة الشيوخ كالمرتضى والطوسي وغيرهما، ويدل اقتران تلك المسائل ببلدان مختلفة نائية، أحياناً، كما يظهر من النصوص المذكورة، أنها ترسل، على الأغلب، للأئمة أو الشيوخ عند تعذر لقائهم. كما أن كثرة الكتب التي تحمل عنوان (المسائل) يدل على أن الشيخ بعد أن يجيب على تلك المسائل يجمع أجوبته أو يجمعها أحد طلبته، خاصة عند صدورها عن الأئمة، في كتاب يطلق عليه اسم المسائل مقروناً أحياناً باسم المكان الذي أُرسلت منه أو الإمام الذي أجاب عنها.

رابعاً : الاجازة

الإجازة في اللغة هي إعطاء الإذن، ولهذا المعنى أشار الفيروز آبادي بقوله (وأجاز له سوغ له). ويقول الشهيد الثاني إن الإجازة في الأصل مصدر أجاز وأصلها (إجوازة) تحركت الواو فتوهم انفتاح ما قبلها فانقلبت الفاً، وبقيت الألف الزائدة التي بعدها فحذفت لالتقاء الساكنين، فصارت إجازة. والإجازة طريقة من طرق نقل الحديث وتحمله ويقول الشهيد الثاني أن الإجازة في الإصطلاح (إذن وتسويغ، وهو المعروف على هذا فتقول أجزت له رواية كذا كما تقول أذنت له وسوغت له). وللشيخ اغا بزرك الطهراني رأي يقول فيه أن الإجازة تعني (الكلام الصادر عن المجيز المشتمل على إنشائه الإذن المشتملة على ذكر الكتب التي صدر الإذن في روايتها عن المجيز إجمالاً أو تفصيلاً، وعلى ذكر المشايخ كل واحد من هؤلاء المشايخ طبقة بعد طبقة الى أن تنتهي الى المعصومين ﷺ).

ويظهر مما سبق إن الإجازة إذن يمنحها الشيخ لمن يبيح له الرواية عنه، وتكون بهذا المعنى طريقة من طرق نقل الحديث وتحمله من الشيخ الى من أباح له نقل الحديث عنه. ويمنح الشيخ الإجازة لتلميذه بطريقتين إحداهما الإجازة بالمشافهة وثانيهما الإجازة التحريرية. وقد عثرت على إشارات قليلة عن الإجازة التحريرية في الفترة التي تناولها بحثي هذا. يقول الطوسي عند ترجمته لأحمد بن محمد بن سعيد (ت٣٣٣هـ) (أخبرنا بجميع رواياته وكتبه عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد). قال النجاشي إن أحمد بن عبد الله الوراق دفع (الى شيخ الأدب أبي أحمد عبد السلم بن الحسين البصري رحمه الله كتاباً بخطه قد أجاز له فيه جميع روايته). وأقدم ما عثرت عليه من الإجازات المسجلة على كتاب معين ما رواه عبد الكريم بن طاووس (ت٦٩٣هـ) من أنه كان يحتفظ بنسخة من مزار ابن داود

القمي مقابلة بنسخة مكتوب عليها ما صورته (قد أجزت هذا الكتاب وهو أول كتاب الزيارات من تصنيفي وجميع مصنفاتي ورواياتي ما لم يقع فيها سهو، ولا تدليس لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سميع أعزه الله فليرو ذلك عني إذا أحبَّ لا حرج عليه فيه أن يقول أخبرنا وحدّثنا وكتب محمد بن داود القمي في شهر ربيع الآخر سنة ستين وثلثمائة حامداً الله شاكراً.. وهذه الرواية مطابقة لما أورده الطوسي بخطه.

ويمكن أن نستنتج من ندرة ورود الإجازات التحريرية في المصادر التي تعود للفترة التي تناولتها هذه الرسالة، إن الإجازات المذكورة كانت غير شائعة في تلك الفترة.

أما الإجازات الشفهية فهى كثيرة الورود في الفترة موضوعة البحث، وسنورد أمثلة عليها في الصفحات التالية. ومن أقدم ما ورد من الإجازات الشفهية عند أسلاف الإمامية إجازة منحها الإمام جعفر الصادق لأحد تلامذته. روى أن التلميذ المذكور قال لإمامه عند فراقه إياه أحب أن تزودني. فقال: (إيت أبان بن تغلب فإنه سمع مني حديثاً كثيراً فما روى لك عني فاروِهِ عني).

ويستفاد من هذا الخبر إن الإمام جعفر الصادق أجاز أبان مشافهة أن يروي الحديث عنه، كما أجاز لتلميذه أن يعد ما يرويه له أبان كأنه صادر عنه. وكان أبان هذا من أشهر تلاميذ الباقر والصادق. وتعد إجازته من الإجازات الحديثية التي ينتهي إسنادها الى المعصومين عليهم السلام. ومن بين الكتب التي رواها أبان بن عثمان عن المعصومين كتاب المبدء والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة.

وقد أورد الشيخ الطوسي طبقات المشايخ الذين رووا الكتاب المذكور

عن مؤلفه. روى ابن داود الحلي أن أحمد بن علي البلخي (ت٣٠٥هـ) (أجاز للتعكبري). يقول النجاشي (أخبرنا أبو الحسن العباس بن عمر بن عباس... الكلوذاني رحمه الله قال أخذت إجازة علي بن الحسين بن بابويه لما قدم بغداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة بجميع كتبه). وقال الطوسي إن إسماعيل بن رزين بواسط و (أخبرنا عنه برواياته كلها الشريف أبو محمد المحمدي وسمعنا هلال الحفار يروي عنه مسند الرضا عليه السلام وغيره فسمعنا منه وأجاز لنا باقي رواياته). يقول الطوسي عند ترجمته للحسن بن محمد بن يحي صاحب النسب أن التلعكبري سمع منه (سنة سبع وعشرين وثلثمائة الى سنة خمس وخمسين.. وله منه إجازة). ويقول أيضاً أن التلعكبري روى عن الحسن أبي محمد المرعشى الطبري (وكان سماعه منه أولاً سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وله منه إجازة بجميع كتبه ورواياته..). ويقول أيضاً، سمعنا من الحسن بن عبيد الله الغضائرى (وأجاز لنا بجمع رواياته. مات سنة إحدى عشرة وأربعمائة).

ويقول النجاشي كان لحسن بن زياد الطائي كتاب (أخبرنا إجازة الحسين بن عبيد الله). قال النجاشي كان للحسن بن السري الكاتب الكرخي (كتاب رواه عنه الحسن بن محبوب أخبرناه إجازة الحسين عن ابن حمزة عن ابن بطة). ويقول أيضاً ألّف الحسن بن أحمد بن المغيرة (كتاب عمل السلطان أجازنا بروايته أبو عبد الله بن الخميري الشيخ في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سنة أربع مائة عنه).

وكان التقليد التعليمي المتضمن إعطاء الإجازة وأخذها من التقاليد الشائعة عند المسلمين كافة بما فيها الإمامية وأسلافهم. وقد أورد علماء الحديث بحوثاً مفصلة عن الإجازة وشروط منحها. وكان ابن الصلاح (٦٤٣هـ) من بين علماء السُّنة الذين بحثوا في الإجازة وشروط صحتها ومنحها وغير ذلك مما له

علاقة بموضوع الإجازة. وقد أورد ابن الصلاح تفصيلات عن الإجازة في كتابه الموسوم بـ (علوم الحديث) المعروف بمقدمة ابن الصلاح. كما وردت عن الإجازة تفصيلات في كتاب الشهيد الثاني الموسوم بـ (الدراية). وقد سبقت الإشارة اليه. ومن الكتاب السنة المحدثين الذين بحثوا عن الإجازة السيد جمال الدين القاسمي. وقد أورد تفصيلات عن الإجازة في كتابه الموسوم بـ (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث. وقد أوردت تفصيلات عن الإجازة في كتابي الموسوم بـ (الإجازات العلمية عند المسلمين).

ومن أقدم الإجازات الشفهية عند أهل السُّنة ما رواه بشر بن نهيك حين قال (كتبت عن أبي هريرة كتاباً فلما أردت أن اُفارقه قلت يا أبا هريرة إني كتبت عنك كتاباً، فأرويه عنك. قال نعم. اروِهِ عني) . ومن أقدم الإجازات التحريرية عند أهل السُّنة، نقلاً عن القاسمي، ما قاله الإمام أبو الحسن محمد بن أبي الحسين بن الوزان قال: ألفيتُ بخط أبى بكر أحمد بن أبي خيثمة صاحب التاريخ ما مثاله (قد أجزتُ لأبي زكريا يحيى بن مسلمة أن يروي عني ما أحب من كتاب التاريخ الذي سمعه مني أبو محمد القاسم بن الأصبغ، ومحمد بن عبد الأعلى كما سمعاه مني، وأذنتُ له في ذلك، ولمن أحب من أصحابه فإن أحبَّ أن تكون الإجازة لأحد بعد هذا، فأنا أجزت له ذلك بكتابي هذا، وكتب أحمد بن أبي خيثمة بيده في شوال من سنة ست وسبعين ومأتين).

ومن الأمثلة على الإجازات الشفهية عند أهل السُّنة ما قاله السبكي (أخبرنا أبو سعيد خليل بن كيكلدي الحافظ سماعاً فيما أحسب فإن لم يكن فهو إجازة...). ويقول السبكي أيضاً (قال ابن الصابوني سماعاً وقال الدميري إجازة).

أنواع الإجازات

يرى الشهيد الثاني إن الإجازات تنقسم الى أربعة أقسام. وتكون الإجازة متعلقة بأمر معين لشخص معين أو عكسه، أو بأمر معين لغيره أو عكسه. ويفصل الشهيد الثاني ما قاله حين يذكر الأقسام المذكورة للإجازة وهي :

أ - **الإجازة لمعين بمعين** كأجزتك الكتاب الفلاني أو ما أشتمل عليه فهرستي هذا. ومن الأمثلة على الإجازة لمعين بمعين ما رواه الطوسي من إن أحمد بن عبد الله الكوفي صاحب إبراهيم بن اسحاق الأحمري (يروي عنه كتب إبراهيم كلها روى عنه التلعكبري إجازة). وإن أحمد بن إسماعيل الفقيه (صاحب كتاب الإمامة من تصنيف علي بن محمد الجعفري، روى عنه التلعكبري إجازة).

ب - **الإجازة لمعين بغير معين** كقولك أجزتك مسموعاتي أو مروياتي وما أشبه. ومن الأمثلة على النوع المذكور من الإجازة ما قاله الطوسي عن ترجمته لأحمد بن محمد بن سعيد (وأجاز لنا ابن الصلت عنه بجميع رواياته).

روى النجاشي أن العباس بن عمر الكلوذاني قال (أخذت إجازة علي بن الحسن بن بابويه القمي لما قدم بغداد سنة (٣٢٨هـ) بجميع كتبه). قال الطوسي إن التلعكبري روى عن أحمد بن أحمد بن محمد الضبي و (سمع منه سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وله منه إجازة بجميع ما رواه محمد بن زكريا الغلابي). ويقول أيضاً إن التلعكبري روى عن أحمد بن إبراهيم الصميري وقال (كنا نجتمع ونتذاكر فروى عني ورويت عنه وأجاز لي جميع رواياته...). وللتلعكبري من الحسن بن محمد المرعشي (إجازة بجميع كتبه ورواياته).

جـ - **الإجازة لغير معين** كجميع المسلمين أو كل من أدرك زماني أو ما أشبه

ذلك، سواء كان بمعين كالكتاب الفلاني أو بغير معين، كما يجوز لي روايته ونحوه. ويرى الشهيد الثاني أن الفقهاء يختلفون في تجويز النوع المذكور من الإجازة. ومما يقربه الى الجواز تقييده بوصف خاص كأهل بلد معين. ولم أعثر على أمثلة في المصادر التي كتبت خلال الفترة التي هي موضوع البحث على النوع المذكور من الإجازة. وربما يعود ذلك الى أن الكتاب المعنيين تجنبوا ذكرها لاختلاف المحدثين في تجويزها أو لأنها لم تكن معروفة في ذلك العصر. وبالرغم من ذلك فإنها كانت معروفة عند الإمامية لأن الشهيد الثاني يذكر أمثلة عليها تعود الى بداية القرن الثامن للهجرة.

د- المناولة :

وقد تكلمنا عنها سابقاً .

وبعد ما أوردته عن الإجازات وأنواعها استنتج ما يأتي :

أولاً: يظهر أن الإجازة الشفهية كانت أكثر شيوعاً في الفترة موضوع البحث. وقد أحصيت على سبيل المثال، طائفة من إجازات الشيخ أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري (ت٣٨٥هـ) الشفهية الواردة في رجال الطوسي. فقط فوجدت إن عددها يبلغ (٢٢) إجازة، بينما لم أعثر للشيخ المذكور في كتاب الرجال أو غيره ما يدل على أنه منح إجازة تحريرية واحدة.

ثانياً: إن الإجازة إذن ورخصة شخصية ولا علاقة لها بمعهد تعليمي. ويمنحها الشيخ عادة بعد أن يقتنع بصلاح المستجيز لرواية الحديث عنه. فالطالب للحديث يستجيز العالم علمه أي يطلب إعطاءه له على وجه يحصل به الإصلاح

لنفسه. وقد وردت إشارات يبدو منها أنه ليس من الضروري أن يلتقي المستجيز بالشيخ لحصول الأول على الإجازة من الثاني. قال الطوسي روى التلعكبري عن محمد بن الحسن القمي (وذكر أنه لم يلقه لكن وردت عليه إجازته على يد صاحبه جعفر بن الحسن المؤمن بجميع رواياته). وعندما يترجم الطوسي لمحمد بن الأشعث يقول :- (قال التلعكبري أخذ لي ولوالدي منه إجازة في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة). ولما كانت وفاة التلعكبري سنة (٣٨٥هـ)، كما أسلفنا، يكون سنة (١٢) عاماً عندما منحت له الإجازة ويعني ذلك أنه لم يكن في سن تصلح فيها دراسته على ابن الأشعث ثم حصول الإجازة منه.

ثالثاً: إن تعدد الإجازات لطالب واحد من شيوخ مختلفين يقوم دليلاً على إن الدراسة عند الإمامية، في الفترة التى تناولها بحثنا، ما كانت مقيدة بمناهج معينة تشتمل على مواضيع مختلفة كالفقة والحديث والتفسير وغير ذلك، بل يدرس الطلبة كتباً مختلفة المواضيع على أكثر من شيخ واحد عادة.

ولترتون رأي عن نوع من أنواع الإجازات وهو ما أطلقنا عليه قبل قليل الإجازة لمعين بمعين، أي إجازة شيخ الى من يطلب الإجازة منه أن يروي كتاباً أو كتباً معينة عن ذلك الشيخ.

ولقد نسب الى مالك، نقلاً عن ترتون، أنه اشترط ثلاثة شروط لصحة الإجازة المذكورة وهي :

أولاً : أن تقابل النسخة أو الفرع مع الأصل ويثبت التوافق بينهما.

ثانياً : يجب أن يكون مانح الإجازة عارفاً بموضوعه، وعرف عنه أنه من

العلماء الذين يعتمد عليهم.

ثالثاً: يجب أن يكون طالب الإجازة من طلاب العلم المجدّين، وأن تثبت جدارته للتعليم، وذلك أنَّ الإجازة يجب أنْ لا تعطى إلا لاولئك الذين يبحثون عن المعرفة.

ونختم الكلام عن طرق التدريس بما أورده ابن شهراشوب (ت ٥٨٨هـم)) في مقدمة كتابه الموسوم بـ (مناقب آل أبي طالب). عن دراسته للحديث بالطرق المعروفة لنقله وتحمله. يقول ابن شهر اشوب إنه لم يبدأ بتأليف كتابه المذكور إلا بعد أن أصبح مؤهلاً لهذا الامر : وذلك بعدما أذن لي جماعة من أهل العلم والديانة بالسماع، والقراءة والمناولة، والمكاتبة، والإجازة فصحَّت لي الرواية عنهم بأن أقول : حدثني، وأخبرني وأنبأني، وسمعت وأعترف لي بأنه سمعه، ورواه كما قرأته وناولني من طرق الخاصة.

ومن الجدير بالذكر أن ابن شهراشوب يقصد بـ (الخاصة) الشيعة الإمامية وأسلافهم. وهو اصطلاح يستعمله السلف مقابل «العامة » وهم أهل السُّنة والحديث.

مناهج التعليم

اولاً ـ منهج الكتاب.

يبدو أن الكتاتيب في الفترة التي تناولها بحثنا ما كانت تتقيد بمنهج معين تقترحه جهة مسؤولة كما هي الحال في أنظمة التعليم الحديثة.

وكان المعلمون كما يظهر يتمتعون بحرية كبيرة في اختيار مواد الدراسة الأولية. وبالرغم من ذلك يظهر أن مواد معينة كالخط وتعلم القرآن الكريم كانت من بين مواد منهج التعليم الأولي الرئيسة. وقد وردت إشارات الى وجود مادتي الحساب والشعر بين مواد منهج الكتاب. قال محمد بن أحمد قلت للصادق عليه السلام (إن لنا جاراً يكتب وسألني أسألك عن عمله. فقال مرة إذا دفع إليه الغلام أن يقول لأهله إني إنما اعلمه الكتاب والحساب وأتجر عليه بتعليم القرآن كي يطيب له كسبه).

وقد ورد ذكر الشعر والرسائل بمثابة مواد تعلّم بالكتاب في حديث بين الصادق عليه السلام وحسان المتعلم. وأوصى ابن طاووس ابنه محمد قائلاً اوصيك بتعلم الخط على التمام فإنه معونة لك على السلوك الى الله جل جلاله... ثم بتعلم العربية بمقدار ما يحتاج إليه مثلك من الطالبين للمراضي الإلهية وإحياء السنن النبوية، ثم تتعلم من القرآن الشريف ما تحتاج إليه لإقامة الصلاة وما يتعلق بمراد الله جل جلاله من تفسير تلك الآيات بعاجل الحال، واحفظه جميعه بعد ذلك التعظيم والإجلال).

وعند المقارنة بين المواد التي أقترح تعليمها للصبيان كتاب إماميون وبين

المواد التالية التي يقترحها كاتب من السنة نرى تشابهاً كبيراً بين الإثنين. يقول الشيزري إن أول ما ينبغي للمؤدب أن يعلِّم الصبي السور الصغار من القرآن بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل... ثم معرفة عقائد أهل السُّنة والجماعة ثم اصول الحساب، وما يستحسن من المراسلات والأشعار دون سخيفها ومسترذلها....

ويظهر مما سبق إن مواد الخط والقرآن والحساب والرسائل والشعر هي مواد مشتركة في مناهج الكتاتيب عند الشيعة والسنة معاً. ولعل هذا التشابه يؤيد ما ذهبت إليه في الفصل الثاني من هذه الرسالة من أن الإختلاف في التعليم الأولي عند الطائفتين ضئيل.

ثانياً : منهج تعليم العلوم

يبدو أن منهج تعليم العلوم عند الإمامية، في الفترة التي تناولها البحث، لم يكن مقسماً الى مواضيع معينة كالفقه والحديث وغير ذلك من العلوم الشرعية، بل كان الطلبة يدرسون العلوم المذكورة على أئمتهم أو على شيوخ الإمامية، من كتب توارثها الأئمة صاغراً عن كابر، أو ألفها اولئك الشيوخ في العلوم الشرعية التي تلقوها مباشرة أو بالواسطة من أئمتهم. ومن الجدير بالذكر أن طائفة من الكتب التي ألّفها الشيخ واعتمدوها بمثابة اصول يدرسون منها، كانت تبحث في مواضيع شتى لا تمت للعلوم الشرعية بصلة.

أما الاصول التي تبحث في العلوم الشرعية فكان عددها حتى نهاية عصر الأئمة أربعمائة، على رواية ابن شهرآشوب التي يقول فيها، إن المفيد قال (صنف

الإمامية من عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام الى عهد أبي محمد الحسن العسكري صلوات الله عليه أربعمائة كتاب تسمى الاصول وهذا معنى قولهم - أصل).

سبق أن أشرت في الفصل الأول من هذه الرسالة الى أن الأئمة المعصومين ورثوا من علي عليه السلام صحفاً فيها أحاديث دونها عن النبي صلى الله عليه وآله. وكانت تلك الصحف من بين الاصول التي اعتمدها الأئمة لتدريس شيعتهم منها. قال محمد بن مسلم- (أقرأني أبو جعفر عليه السلام صحيفة كتاب الفرائض التي هي إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده فوجدت فيها... وقرأت فيها....). وقال زرارة (وجدت في صحيفة الفرائض..). وقال زرارة أيضاً (سألت أبا جعفر عليه السلام عن الجد فقال: ما أجد أحداً قال فيه إلا برأيه إلا أمير المؤمنين عليه السلام قلت : أصلحك الله فما قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام ؟ قال: إذا كان الغد فألقني حتى أقرئكه في كتاب.. فلما دخلت عليه أقبل على ابنه جعفر عليه السلام فقال له : أقرئ زرارة صحيفة الفرائض... فقام (جعفر الصادق) فأخرج إليّ صحيفة مثل فخذ البعير). قال محمد بن مسلم (نظرتُ الى صحيفة ينظر فيها أبو جعفر عليه السلام فقرأت فيها مكتوبا... فقلت لأبي جعفر عليه السلام إن من عندنا لا يقضون بهذا القضاء... فقال أبو جعفر أما أنه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام من فيه بيده). وكانت إحدى الصحف التي توارثها الأئمة عن علي تسمى كتاب علي . قال أبو بصير (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شئ من الفرائض فقال لي: ألا أخرج لك كتاب علي عليه السلام فقلت : كتاب علي عليه السلام لم يدرس. فقال يا أبا محمد إن كتاب علي عليه السلام لم يدرس ؟ فأخرجه فاذا كتاب جليل وإذا فيه...).

وكانت الصحيفة الأُخرى تسمى بالجامعة قال أبو بصير (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدعا بالجامعة فنظرنا فيها فإذا فيها...). وكانت كتب علي جامعة للعلوم

الإلهية كما يعتقد الإمامية، كما أنه رواها عن النبي ﷺ مباشرة. وكان علي نفسه محيطاً بتلك العلوم. وقد سُمع مرة يقول: (وأيم الله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم حتى يزهر كل كتاب ويقول حكم فيّ علي بن أبي طالب بحكم الله). وقد بينّا في الفصل الأول من هذه الرسالة إن علم علي عليه السلام، كما يعتقد الإمامية، كان ينتقل الى الأئمة المعصومين بالتوالي حتى ورثه الإمام الغائب صاحب الزمان بعد غيبته سنة (٢٦٠هـ).

وأخذ شيوخ الشيعة في عهد مبكر يؤلفون الكتب التي أصبحت موضع درس لطلبة الشيعة في مختلف العلوم الشرعية.

وقد وردت إشارات يستدل منها على وجود تلك الكتب وعلى ضرورة العناية بها. روى عبيد بن زرارة أن الصادق عليه السلام قال : (احتفظوا بكتابكم فإنكم سوف تحتاجون إليه) وقال ع للمفضل بن عمر : (اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن متَّ فأورث كتبك بنيك، فأنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم). وقال محمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة : (قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام جعلت فداك إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم ولم ترو عنهم فلما ماتوا صارت الكتب إلينا. فقال عليه السلام: حدّثوا بها فإنها حق).

يقول ابن شهرآشوب إن أول من صنف في الإسلام (أمير المؤمنين عليه السلام جمع كتاب الله جل جلاله، ثم سلمان الفارسي رضي الله عنه، ثم أبو ذر الغفاري رحمه الله، ثم الأصبغ بن نباته ثم عبيد الله بن أبي رافع ثم الصحيفة الكاملة عن

زين العابدين ﷺ). قال مخول بن إبراهيم النهدي، على رواية النجاشي، (سمعت موسى بن عبد الله يقول سأل أبي رجل عن التشهد فقال هات كتاب ابن أبي رافع فأخرجه وأملاه علينا). وكان لسليمان بن صالح الجصاص الذي روى عن أبي عبد الله ﷺ (كتاب يرويه عند الحسين بن هاشم).

وكان لسعيد بن أحمد بن موسى (كتاب براهين الأئمة ﷺ رواه عنه هارون بن موسى ومحمد بن عبد الله قالا حدثنا سعيد...). وكان لسعيد بن عبد الرحمن الذي روى عن أبي عبد الله ﷺ (كتاب يرويه عنه جماعة أخبرناه عدة من أصحابنا). وكان لسعد بن أبي خلف الذي روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن ﷺ (كتاب يرويه عنه جماعة منهم ابن أبي عميرة). وكان لسعيد بن يسار الضيعي (كتاب يرويه عدة من أصحابنا.....). يقول النجاشي (أخبرنا أبو عبد الله بن شاذان قال حدّثنا أبو الحسن علي بن حاتم بكتبه). وكان صباح بن صبيح الفزاري (إمام مسجد دار اللؤلؤ بالكوفة ثقة عين روى عن أبي عبد الله ﷺ له كتاب يرويه عنه جماعة...). ولعبد الله بن زرارة الشيباني (كتاب يرويه عنه علي بن النعمان...). يقول الطوسي كان لأبي منصور الصرام كتاب سماه (بيان الدين). وقد (قرأت على أبي حازم النيشابوري أكثر كتاب بيان الدين، وكان قرأه عليه...).

وكان سندي بن محمد (ثقة وجهاً في أصحابنا الكوفيين له كتاب نوادر رواه عنه محمد بن علي بن محبوب). وكان سلام بن أبي عميرة الخراساني (ثقة روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ... له كتاب يرويه عنه عبد الله بن جبلة).

وفي بداية القرن الرابع للهجرة ظهر أول كتاب من كتب الشيعة الأربعة وهو كتاب (الكافي) للكليني ثم تلته كتب الشيخ الصدوق القمي ومن أهمها

(كتاب من لا يحضره الفقيه) ثم كتب الشيخ الطوسي ومن أشهرها (التهذيب) و (الاستبصار). وقد أخذت الكتب الأربعة المذكورة تدريجاً تحل محل الاصول الأربعمائة التي أشرت إليها قبل قليل. وأخذ رجال الفكر الإمامية يوصون الشيعة بدراسة الكتب الأربعة المذكورة والإعتماد عليها. وعندما ينصح ابن طاووس ابنه في تعلم الفقه يقول (وأن تتعلم الفقه الذي فيه السبيل الى معرفة الأحكام الشرعية وإحياء سُنة جدك المحمدية... وإذا أردت الاشتغال بالفقه فعليك بكتب جدك (أبي جعفر الطوسي) فإنه رحمه الله ما قصَّر فيما هداه الله جل جلاله وقد هيأ الله جل جلاله إليه ودلَّه عليه .

ويرسم ابن طاووس منهجاً عاما لابنه محمد ويذكر له الكتب التي يجب أن يقرأها وهي (كتاب الحجة وما في معناه من كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني. وكتاب المعرفة لابراهيم بن إسحاق الثقفي، وكتاب الدلايل لمحمد بن رستم بن جرير الطبري الامامي، وكتاب الدلايل لعبد الله بن جعفر الحميري، وكتاب الإحتجاج لابي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، وكتاب المعجزات لهبة الله الراوندي، وكتب الشيخ المسعود المفيد محمد بن محمد بن النعمان، وكتب الشيوخ الثقات المتضمنة ما ذكره من الآيات والمعجزات).

ويمكننا أن نستنتج مما سبق أن الطلبة الإمامية، في الفترة التي تناولها البحث، كانوا يدرسون كتباً في مواضيع شتى حسب رغبتهم، وموضوع اختصاصهم، أما تقسيم المنهج الدراسي الى مواضيع كالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك فيظهر أنه لم يكن معروفاً في تلك الفترة وربما حصل التقسيم المذكور بعد ظهور المدارس المعروفة.

وقد عثرت على تقسيم المنهج الدراسي الى مواضيع في كتابات كاتب إمامي متأخر وهو الشهيد الثاني. ولا نستطيع الجزم بأن ما ذكره في هذا الخصوص مطبقاً في الفترة التي تناولها البحث. ويورد ترتون أخباراً عن مناهج التعليم، كما يبدي آراء في الموضوع المذكور نورد في ما يلي طرفاً منها: يقول ترتون ليس لدينا معلومات عما يُعلَّم في الكتايب، ولكن هذا لا يمنع من أن نورد معلومات اقتبسناها من مناهج مقترحة وضعت على ألسنة عدد كبير من وجوه المجتمع الإسلامي. قيل علم أولادك السباحة وركوب الخيل، وخاصة النط على ظهورها، والرمي. دع أولادك يتعلمون الأمثال السائرة والشعر الجيد. أفضل شيء يتعلمه البنات هو الغزل. لا تعلِّم بناتك القراءة ولا تسمح لهنَّ بتعلم الشعر، بل علِّمهن القرآن وخاصة سورة النور. وبالرغم من ذلك فقد كان المرء ينال الثناء إذا علم جاريته وأعتقها وزوَّجها. وقيل أن من واجب الآباء تجاه أبنائهم أن يعلموهم الكتابة والحساب والسباحة. وقيل أيضاً علِّم ولدك الحساب قبل الكتابة لأن الحساب أكثر سهولة وأكبر نفعاً. وقال أحدهم لمعلِّم ولده علِّمه السباحة قبل الكتابة لأنه يجد من يكتب له ولكنه لا يجد من يسبح عنه. وقد وجدتُ أخباراً متناقضة فيما يتعلق بتعليم النحو. فقال أحدهم علِّمهم النحو كما تعلِّمهم قواعد الدين. وقيل أن ما من أحد يتعمق بتعلم النحو دون أن يصبح معلماً. وقالوا لا تعلِّم الأولاد النحو أكثر من القدر الذي يعصم ألسنتهم من الأخطاء الفاحشة، وإذا تجاوزت الحد المذكور ينقلب حينئذ النفع الى ضرر.

أما فيما يتعلق بمناهج العلوم يرى ترتون أن التعليم في العصور الوسطى عند المسلمين كان يجري لا على أساس المواضيع بل على أساس الكتب.

الإمتحانات

قد يكون من الضروري أن أشير إلى أنني لم أعثر في الفترة التي تناولها بحثنا على أنظمة شكلية للإمتحانات سواء في مرحلة التعليم الأولي أو في مرحلة تعليم العلوم.

أولاً : صبيان المكاتب :

عثرت على إشارة واحدة ذات صلة بالإمتحان في الكتاب. وإليك الإشارة المذكورة. حكي عن الربيع بن خثيم (أنه مرَّ على الصبيان في المكتب يبكون فقال ما بالكم ما معشر الصبيان. قال إن هذا يوم الخميس يوم عرض الكتاب [الخط] على المعلِّم فنخشى أن يضربنا).

ونظراً لصمت المصادر يمكننا أن نقرر هنا أنَّ الامتحانات الشكلية المعروفة في العصور الحديثة كانت غير معروفة عند المعلمين في ذلك العصر. ويبدو أن المعلمين كانوا أحراراً في تقرير الطريقة أو بالأحرى إظهار القناعة الشخصية التي يقيّمون بها معرفة الصبيان الذين يعلمونهم.

ثانياً : طلبة العلوم

يبدو أن الإمتحانات الشكلية لم تكن، في الفترة التي تناولها البحث، معروفة لدى الشيوخ الإمامية. وكان الشيخ حراً في اختيار الطريقة وتحديد الزمن الذي يعلن فيه تقدم الطالب العلمي وربما أهليته للتدريس. ولم تسعفني المصادر بمعلومات عن الإمتحانات وعن كيفية إجرائها، ولهذا سأكتفي بإيراد الإشارات

القليلة التي عثرتُ عليها في هذا الصدد. روى ابن شهرآشوب إنَّ هشام بن الحكم كان ممن (لقي الصادق والكاظم عليهما السلام وكان ممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب بالنظر ورفعه الصادق عليه السلام في الشيوخ وهو غلام.

وقال: (هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده) وقوله عليه السلام (هشام بن الحكم رائد حقنا وسائق قولنا المؤيد لصدقنا والدامغ لباطل أعدائنا من تبعه وتبع أثره تبعنا ومن خالفه وألحد فيه فقد عادانا وألحد فينا). وقال النجاشي كان (أحمد بن محمد بن عمران... استاذنا رحمهُ الله ألحقنا بالشيوخ في زمانه..). ويبدو من المثالين السابقين أن الإلحاق بالشيوخ يعني الإستقلال العلمي وربما الأهلية للتدريس. ولابد أن الشيخ عرف بوسيلة من الوسائل، قد تكون الإمتحان، أن تلميذه حاز على قدر من المعرفة تؤهله الإلحاق بالشيوخ.

ونصح الشهيد الثاني الشيخ بأن يحرِّض طلبته (على الإشتغال في كل وقت ويطالبهم في أوقات بإعادة محفوظاتهم ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات والمباحث فمن وجده حافظاً مراعياً أكرمه وأثنى عليه، وأشاع ذلك ما لم يخف فساد حاله بإعجاب ونحوه، ومن وجده مقصراً عنّفه في الخلوة وإن رأى مصلحة في الملأ فعل فإنه طبيب يضع الداء حيث يحتاج إليه وينفع).

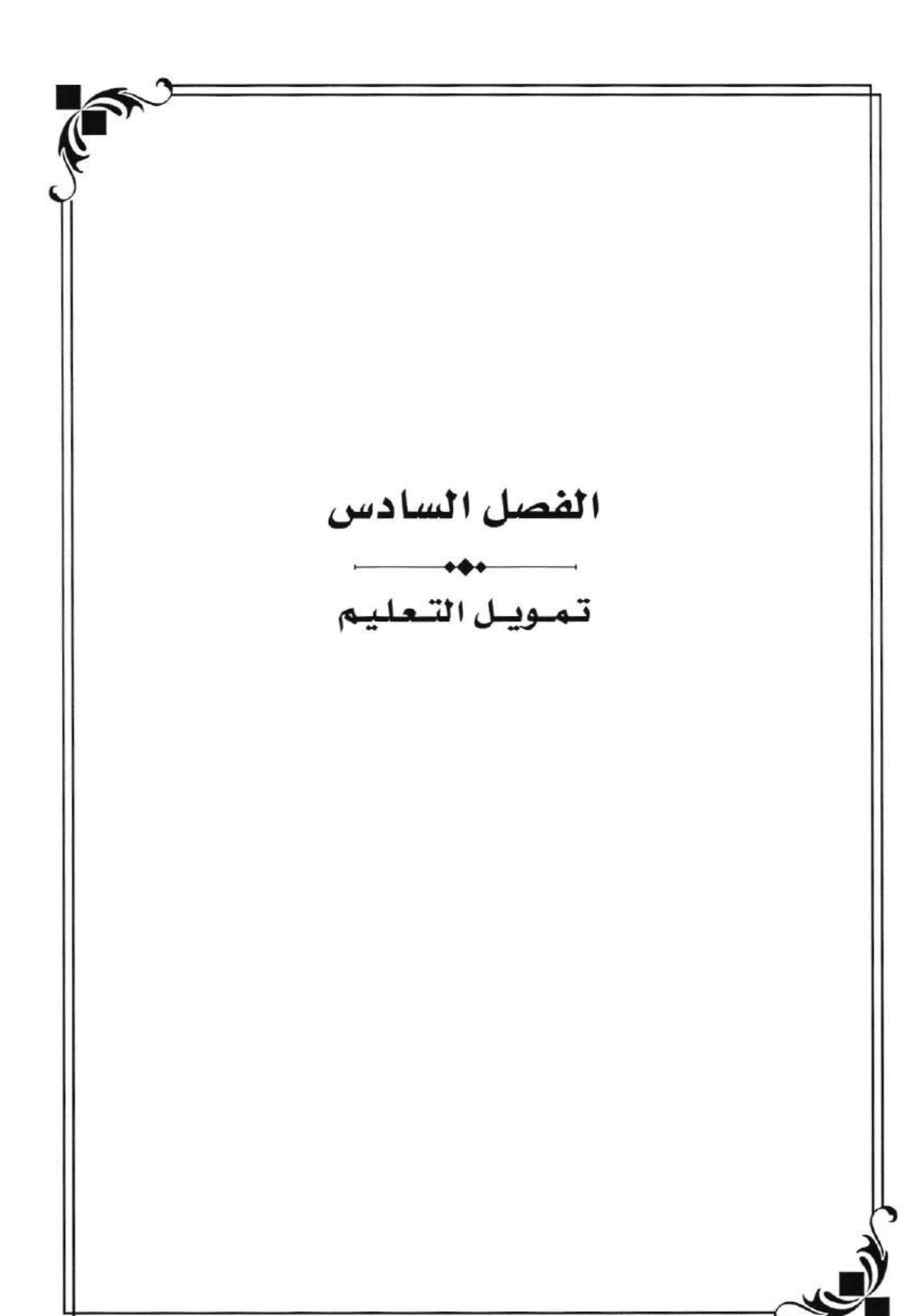
ومن الجدير بالذكر أن عهد الشهيد الثاني، كما أسلفنا، متأخر عن الفترة التي تناولها بحثنا لذا لا نستطيع الجزم بأن نصائحه طبقت في الفترة موضوع البحث.

ويبدو من الإشارات التي أوردتها عما له صلة بالإمتحانات، سواء ما كان منها عن التعليم الأولي أو عن مرحلة تعليم العلوم، لا تمثل الإمتحانات التي يرفع بها الطالب عادة من صنف الى صنف أو يمنح بعدها شهادة مدرسية تبين

مؤهلاته العلمية كما هي الحال عندنا اليوم.

ويرى خدا بخش أنه لا يوجد في النظام التربوي الإسلامي شيء نسمّيه امتحاناً في الفترة التي سبقت ظهور المدارس.





الفصل السادس

تمـويـل التـعـليـم



إن وجود موارد مالية ثابتة ينفق منها على التعليم ومؤسساته أمر تقتضيه الضرورة، رغم عزوف الأغلبية العظمى من معلمى العلوم من استيفاء أجرة على تعليم علوم آل البيت كما بينّا في الفصل الثالث من هذه الرسالة. ومن الجدير بالذكر إنني لم أستطع العثور، حتى نهاية القرن الثالث للهجرة، على ما يشير الى وجود أوقاف عند الشيعة الإمامية وأسلافهم خاصة بالتعليم. ويمكن أن نعزو ذلك الى الأسباب الآتية:

أولاً: عدم وجود معاهد خاصة بالتعليم دون غيره عند الإمامية خلال القرون الإسلامية الثلاثة الأولى ليحبس الواقف عليها أوقافه.

ثانياً: كان تعليم علوم آل البيت وتعلّمها من أعمال التقوى لذا كان الأئمة في حياتهم أو وكلاؤهم من بعدهم يرون أن الصرف عليها من مواردهم، المكوَّنة من الحقوق الشرعية ومن وارد الوقف بمعناه العام، أمر يمليه الواجب الديني من جهة ويساعد على نشر قواعد المذهب الجعفري الذي عمل الأئمة ووكلاؤهم لدعمه والحفاظ عليه من جهة ثانية. ويبدو أنَّ الشيعة الإمامية استمروا على تسليم الحقوق الشرعية الى علمائهم بعد نهاية عصر الأئمة. فأبو جعفر محمد بن عثمان العمري (ت ٣٠٤/ ٣٠٥هـ) (كان يتولى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة يحمل الناس إليه أموالهم...).

ويترتب على ما سبق أن الوقف على التعليم خاصة يصبح أمراً ذا أهمية ثانوية.

ثالثا: يبدو إن نفقات التعليم ما عدا الأولي منه في القرون الإسلامية الثلاثة الأولى كانت زهيدة لأن معلمي العلوم، كما أسلفنا، كانوا لا يتقاضون أجراً على تعليمهم وإن التعليم في الغالب يجري في أمكنة غير مستأجرة كالمساجد ومنازل

العلماء، لذا كما يبدو، لم تكن هناك ضرورات ملحة لتخصيص أوقاف للتعليم أما نفقات التعليم الأولي فكان يدفعها آباء الصبيان دون غيرهم.

رابعاً: إن اعتراف الإمامي بعصمة الأئمة عليهم السلام وتنزيههم عن الخطأ والإنحراف يجعله قليل التساؤل عن أوجه صرف أمواله التي يقدمها للأعمال الخيرية ويترك أمر ذلك الى الإمام ثم من بعده الى وكيله الذي ينتظر منه أن يتحلى بصفات النزاهة والأمانة التي تفرضها عليه خطورة منصبه. روى الطوسي رواية تفيد أن أحد الأئمة فوَّض وكيلاً له على قبض الحقوق الشرعية من الشيعة أسلاف الإمامية. ويظهر أن الإمامية بعدهم اتخذوا من الرواية المذكورة وأمثالها دليلاً على أن تلك الحقوق تسلم بعد الأئمة لوكلائهم. وإليك الرواية المذكورة. قال أبو محمد عليه السلام لعثمان العمري (إمضي ياعثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمانيين ما حملوه من المال...).

ويبدو أن الأسباب السابقة مجتمعة هي التي جعلت الإمامية في القرون الثلاثة الأولى لا يصرّحون عند وقفهم لأموالهم بأن الوقف المذكور خاص بالتعليم. ولو وجدت أوقاف كهذه لذكرتها المصادر مقرونة بالجهة التي اوقفت عليها.

وبعد أن ظهرت مؤسسات خاصة بالتعليم أمثال دور الكتب ودور العلم، وانتهى عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام في حدود (٢٦٠هـ)، وكثرت نفقات التعليم لتعقد الحياة وتنوع مواد التعليم مع مرور الزمن.ظهرت، كما يبدو، الحاجة لتخصيص أوقاف للتعليم. وقد حصل ذلك في العصر البويهي كما سنرى في الصفحات التالية.

أما نفقات التعليم في القرون الثلاثة الأولى، فيبدو أن الأئمة او نوابهم من بعدهم كانوا يسهمون فيها وذلك بدفع جزء منها من الحقوق الشرعية وإيراد الأوقاف الخيرية التي كانوا يتسلمونها من الشيعة كما بينّا في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

أما الشطر الثاني من النفقات المذكورة فكان يأتي من هبات المحسنين.

وقد عثرتُ على أدلة قليلة ظهر منها أن الأئمة عليهم السلام كانوا يسهمون بنفقات تعليم علوم آل البيت وتعلمها. ومن الأدلة المذكورة ما يأتي :

أ- رواية الكشي عن المحدّث جابر المكفوف الذي قال لعباس بن عامر دخلت على أبي عبد الله عليه السلام (فقال أما يصلونك؟ قلت. بلى ربما فعلوا. قال. فوصلني بثلاثين ديناراً. وقال يا جابر كم من عبد إن غاب لم يفقدوه، وإن شهد لم يعرفوه في إطمار لو أقسم على الله لأبرَّ قسمه).

ب- رواية الكشي عن محمد بن زيد الشحام التي قال فيها: (رآني أبو عبد الله عليه السلام وأنا أصلي فأرسل إليَّ ودعاني فقال لي: من أنت؟ قلت من مواليك. قال فأي موالي؟ قلت من الكوفة. فقال من تعرف من الكوفة ؟ قال: قلت بشير النبال وشجرة. قال: وكيف صنعهما إليك ؟ فقال: ما أحسن صنعهما إلي. قال: خير المسلمين من وصل وأعان ونفع، ما بتُّ ليلة قط والله وفي مالي حق يسألنيه. ثم قال أيّ شيء معكم من النفقة ؟ قلت: عندي مائتا درهم. قال أرينها. فأتيته بها فزادني فيها ثلاثين درهماً ودينارين ثم قال: تعشّ عندي، فجئت فتعشيت عنده.

قال: فلما كان من القابلة لم أذهب إليه، فأرسل إلي فدعاني من غده فقال: ما

لك لم تأتني البارحة قد شفقت عليّ ؟ فقلت لم يجيئني رسولك فقال: فأنا رسول نفسي إليك ما دمتَ مقيماً في هذه البلدة، أيّ شيء تشتهي من الطعام ؟ قلت اللبن فاشترى من أجلي شاة لبون. قال: فقلت له علّمني دعاء قال اكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم...). وقد وهب الصادق عليه السلام لأحد أصحابه المعروف بقيس بن رمانة أربعمائة دينار.

يضاف الى ما سبق أن الإمام أبا جعفر الثاني عليه السلام عند مناقشته لوكيله على الوقف في قم، حدد المنتفعين من الوقف بأتيام آل محمد ومساكينهم وفقرائهم، وأبناء سبيلهم. وبناء على ذلك يمكن أن يُعدَّ الطلبة أو المعلمون المعوزون من فقراء آل محمد أو من أبناء سبيلهم خاصة إذا كانوا ممن يفدون من الأقطار النائية لتعلّم علوم آل محمد على يد الإمام أو شيوخ الشيعة. وإنَّ كلمة الصرف على (الدين) الواردة في النص تشمل فيما تشمل الصرف على المعوزين من الشيوخ والطلبة الذين يشتغلون بتدريس العلوم الدينية وتدريسها.

ونستنتج مما سبق أنَّ الأئمة كانوا يساعدون، أحياناً، المعوزين من طلبة العلم من أسلاف الإمامية بمبالغ نقدية أو بتهيئة وسائل العيش كما يظهر من الأمثلة المشار إليها في أعلاه. وكان الأئمة يقدمون النفقات المذكورة من الحقوق الشرعية التي يتسلمونها من شيعتهم لأنها كانت موردهم الرئيسي. ومما يؤيد ذلك إن أحد الأئمة عليه السلام جعل الصرف على امور الدين من بين أوجه نفقات الحقوق الشرعية. وقال عبد الله السكوني للباقر (إني ربما قسمت الشئ بين أصحابي أصلهم به فكيف أعطيهم ؟ فقال أعطهم على الهجرة في الدين والفقه والعقل).

وكانت هبات المحسنين من الشيعة، فضلاً عما سبق، تقوم بقسط من نفقات

التعليم وإنشاء أمكنته وصيانتها. وقد حثَّ النبي ﷺ المؤمنين على وجوب إعانة الطلبة. روى الديلمي إن النبي ﷺ قال: (من أعان طالب العلم بدرهم بشَّرته الملائكة عند قبض روحه بالجنة وفتح الله له باباً من نور في قبره).

وكان محمد بن مسعود العياشي من بين الذين أنفقوا مبالغ كبيرة على التعليم. وقد أنفق تركة أبيه البالغة (٣٠٠) الف دينار للغرض المذكور كما بينّا في موضعه من هذا الكتاب.

ومن الجدير بالذكر إن قيام دولة بنى بويه الشيعية في إيران والعراق في بداية القرن الرابع الهجرة، هيأ للشيعة حرية مكنَّتهم من نشر تعاليم مذهبهم بصورة فعالة وعلنية. وكان من بين التدابير التي إتخذوها لتحقيق ذلك إنشاء مؤسسات ثقافية وحبس الأوقاف عليها. وقد سبق أن أوردنا تفصيلات عن دور الكتب التي أنشأها إبن سوار في البصرة وفي رام هرمز في الفصل الثاني من هذه الرسالة. ويبدو إن دارَين للكتب كانتا موجودتين في البصرة في عهد عضد الدولة البويهي. وعندما هجم الأعراب على البصرة في سنة (٤٨٣هـ) أحرقوا مواضع عدة وفي جملة (ما أحرقوا دارين للكتب أحدهما وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا إليه وهي أول دار وقفت في الاسلام والاخرى وقفها الوزير أبو منصور شاه مردان، وكان بها نفائس الكتب وأعيانها...). وقد فصلنا ذلك عند كلامنا عن دور الكتب.

وأسس وزير عضد الدولة سابور بن اردشير دار العلم المعروفة (ووقف عليها الوقوف).

وقد سبق أن بينّا إن دور الكتب أسهمت بالتعليم فأصبح من بين وظائفها.

وحبس البويهيون الوقوف، فضلاً عن دور العلم ودور الكتب، على المارستانات، وعندما أسس المارستان المؤيدي سنة (٤١٣هـ) بواسط اوقفت عليه الوقوف . ومن الجدير بالذكر إن طلبة الطب يتعلمون الطب في البيمارستان، فذات مرة قال الطبيب أبو الحسن محمد بن غسان (كنت أختلف الى البيمارساتان لتعلم الطب).

ولم يقتصر حبس الوقوف على مؤسسات التعليم على الامراء البويهيين ووزرائهم بل كان المحسنون من الشيعة يوقفون أموالهم للأغراض الثقافية. وكان الشريف المرتضى من بين هؤلاء.

ولم تكن جهود البويهيين في تمويل التعليم عند الإمامية مقصورة على حبس الوقوف لمؤسسات التعليم حسب، بل إنهم ساعدوا المشتغلين بالعلم والتعليم من الإمامية. ففي عهد عضد الدولة اطلقت (الصلات لأهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوي الفاقة وأُدرّت لهم الأقوات.. وكذلك فعل بالمشهدين بالغري والحائر. وبمقابر قريش...). وسبق أن ذكرنا في الفصل الثاني زيارة عضد الدولة للعتبات المقدسة في النجف وكربلاء، وتفريقه الأموال على الناحة وكانت حصتهم ألف درهم، وعلى الفقراء والفقهاء وكانت حصتهم ثلاثة آلاف درهم، وعلى العلويين وعددهم (٢٢٠٠) إسم.

ويبدو غن اهتمام بعض الامراء البويهيين بالمؤسسات الدينية والثقافية لم يكن مقتصراً على مؤسسات الشيعة وحسب بل تعداها الى تلك التي تخص غيرهم، ففي سنة (٣٦٩هـ) (أمر عضد الدولة بعمارة منازل بغداد وأسواقها.. وابتداء بالمساجد الجامعة.. ثم أمر بعمارة ما خرب من مساجد الأرياض المختلفة وأعاد وقوفها وعول في هذه المصالح على عمال ثقات أشرف عليها نقيب العلويين).

وقد أسهمت طائفة من امراء الشيعة ومحسنيهم من غير البويهيين في تمويل التعليم عند الإمامية. قال ابن الأثير كان من محاسن الوزير أبي الحسن ابن الفرات (أنه جرى ذكر أصحاب الأدب وطلبة الحديث وما هم عليه من الفقر والتعفف، فقال أن أحق من أعانهم، وأطلق لأصحاب الحديث عشرين ألف درهم، وللشعراء عشرين ألف درهم، ولأصحاب الأدب عشرين ألف درهم، وللفقهاء عشرين ألف درهم، وللصوفية عشرين ألف درهم فذلك مائة ألف درهم) . أما الصاحب بن عباد فأنه أعار الطلبة والعلماء شيئاً من اهتمامه. روى القمي، عند كلامه عن الصاحب بن عباد، إن من فضائل (مولانا أدام الله قدرته إنه جمع كتباً كثيرة ودواوين تشتمل على أنواع العلوم وأصناف الأشعار وفنون الأخبار وأوفقها على أهل العلم والطلبة ليطالعوها ويتعلموها ويستنسخوها، وكان الوزراء قبله يحفظون تلك الكتب في خزائنهم كما يحفظون الذهب والفضة ويحرمون الطلبة وأهل العلم من قراءتها). أما جهود الشريفين المرتضى والرضي في تمويل التعليم فقد سبق أن أشرنا اليهما.

وبعد ما أسلفنا عن تمويل التعليم والوقف عليه عند الإمامية نقول:

أولاً: يبدو إن الأوقاف عند الإمامية كانت مرتبطة، وجوداً وعدماً، بأحوالهم السياسية العامة الى حد كبير. ففي القرون الثلاثة الأولى للهجرة حين كان الإمامية معرضين لرقابة السلطان وعلماء أهل السنة، قلما نعثر على أوقاف ذي أهمية عندهم.

وقد يقوم الخبر التالي دليلاً على تلك الرقابة. قال الطوسي في معرض كلامه عن أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري (وكان الشيعة إذا حملوا الى أبي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا الى أبي عمرو فيجعله في جواب السمن

وزقاقه ويحمله الى أبي محمد ﷺ تقية وخوفاً)[١].

أما في العصر البويهي فقد وجدت الأوقاف على المؤسسات التعليمية الإمامية وغيرها.

ثانياً: تستثنى من الحكم السابق منطقة قم حيث تركز فيها الإمامية منذ عهد مبكر من جهة، ولبعدها عن رقابة الخلافة من جهة اخرى. وقد وجدت إشارات يظهر منها أن أوقافاً للإمامية كانت في قم خلال عصر الأئمة المعصومين ﷺ ومن الأدلة على ذلك:

أولاً: ظهر من المحادثة التي أجراها الإمام أبو جعفر الثاني ﷺ مع وكيله على الوقف بقم، إن أوقافاً للإمامية كانت في قم في عهد الإمام المذكور وإن الوكيل المذكور احتجز عشرة آلاف درهم من واردها، دون موافقه الإمام أبي جعفر الثاني.

ثانياً: لقد عقد الحسن بن محمد القمي (ت ٣٧٨هـ) في كتابه الموسوم بـ (تاريخ قم) المطبوع بطهران سنة (١٣٥٣) باباً خاصاً، وهو الباب الخامس عشر، للتحدث عن الضياع والأسهم الموقوفة من ضياع في قم، وذكر مقادير الخراج التي تغلّه تلك الضياع، وبين الأقسام العامرة والأقسام البائرة. كما تحدث القمي في الباب المذكور عن المتولين لوقف الإمامية في قم والبالغ عددهم أربعين متولياً. ومن المؤسف إن المعلومات التي أوردها القمي عن الأوقاف في قم فقدت فيما فقدت من أقسام الكتاب الاخرى، إذ لم يبق بين أيدينا إلا الفهرست وخمسة

(١) ص ٩٣ .

أبواب من مجموع عشرين باباً. وأعتقد إن ما ذكره في الفهرست عن الأوقاف في قم لا يخلو من فائدة إذ يمكن أن يعدّ دليلاً على وجود الأوقاف المذكورة، كما إن وجود أربعين من متولي تلك الأوقاف يدل على سعتها.

ويبدو أن أوقاف الإمامية في قم بقيت بعد عصر المؤلف القمي إذ يتحدث عنها بإسهاب عبد الجليل القزويني الرازي الذي ألّف كتابه في حدود (٥٦٠هـ) قال الرازي (كان لمشهد السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام أوقاف. ويوجد في قم، فضلاً عن ذلك، مدارس ذات أوقاف. ويدير تلك المدارس فقهاء وعلماء يتناولون معاليمهم من وارد الأوقاف المذكورة. وكانت واردات تلك الأوقاف كافية لسد نفقات اولئك العلماء).

أما أوقاف الإمامية في العراق وفي غيره من المناطق، عدا قم، فيبدو إنها تعرضت بعد الحكم البويهي الى الإتلاف والتخريب. وقد سبق أن بينّا إنّ دار علم سابور ذات الأوقاف الكثيرة أُحرقت على يد العامة ببغداد بعد استيلاء السلاجقة على العراق. كما أن داري الكتب اللتين أوقفهما عضد الدولة أحرقهما الأعراب فيما أحرقوا من محلات البصرة. ويظهر أن الحملة الرادعة التي تعرض لها الإمامية في عهد السلاجقة تناولت معظم مؤسساتهم الدينية والتعليمية بما فيها أوقاف التعليم. ولم نعد نقرأ بالمصادر عن القرية التي أوقفها المرتضى لكاغد الفقهاء. ولعل استمرار وجود أوقاف الإمامية في قم، رغم شدة حملة السلاجقة ومن والاهم من علماء أهل السنة، يعود الى بعد تلك المنطقة عن عاصمة الخلافة العباسية حيث تنظم الرقابة وتشتد، وربما يعود ذلك الى تكتل الإمامية بقم في وجه خصومهم.

ومما يدل على أن الوقف على التعليم عند الإمامية كان تقليداً معمولاً به خاصة في الأوقات التي يزول فيها خطر ضياع الوقف بسبب تعدي العامة بالتعاون مع الخلافة، هو أن فقيهاً إمامياً متأخراً، وهو الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ) ينصح الشيخ في أن يدعو (للعلماء) الماضين... وإن كان في مدرسة ونحوها دعا لواقف المكان، وهذا وإن لم يرد به نص على الخصوص فيه خير عظيم وبركة، والمحل موضع أجابه، وفيه اقتداء بالسلف من العلماء فقد كانوا يستحبون ذلك.

ثالثاً: كانت خدمات الخزانة العامة لمؤسسات التعليم عند الشيعة ضئيلة أو معدومة لذا وفرت واردات الوقف والحقوق الشرعية على التعليم عند الشيعة ما تقاعست عنه الخزانة العامة، وأصبح التعليم عندهم ذا صفة شعبية في الغالب يقوم تمويله على تبرعات الأفراد وعلى ما يوقفونه من أموالهم.

رابعاً: إن أوقاف الإمامية كانت قليلة ومحدودة المقادير، وربما كان ذلك عائداً لأسباب سياسية لأن الشيعة عاشوا، في الغالب، في ظل دول سنية وقلما تهيأت لهم السبل لوقف أموالهم على مؤسساتهم الدينية بما فيها مؤسسات التعليم، لأن الحكام في الغالب وفقهاء السنة أحياناً نظروا لمؤسسات الشيعة التعليمية أنها كانت تعلم (البدع).

الخلاصة

تناولت هذه الرسالة تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عصري الصادق والطوسي. وتتألف من مقدمة وستة فصول وملحقين. تضمنت المقدمة، فضلاً عن تعريف الإمامية وأسلافهم، معلومات عن أهم عقائد تلك الفرقة أمثال الإمامة والعصمة والتقية وغيرها مما يمّت بصلة إليها أو يميزها عن غيرها من الفرق الإسلامية.

خُصص الفصل الأول من الرسالة للبحث عن العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الإمامية، وأهمها:

إعتقاد الإمامية بأن أئمتهم محيطون بالعلوم الإلهية، وأنَّ النبي كلَّفهم بتبليغ تلك العلوم، فنتج عن ذلك أنَّ ما أُخذ عنهم كان بمثابة ما أُخذ عن النبي.

الضغط السياسى الذي تعرض له الأئمة ومواليهم. ونتيجة للضغط المذكور نصح الأئمة مواليهم بالإمتناع عن المقاومة بالسيف، والإكتفاء بالمقاومة المدنية واللجوء الى التقية.

وجود موارد مالية لدى الأئمة أو نوابهم خصص بعضها للمشتغلين بعلوم آل البيت.

وتناول الفصل الثاني أمكنة التعليم عند الإمامية. وكانت المساجد، بما فيها تلك التي احتوت على ترب الأئمة، ومنازل العلماء، أهم تلك الأمكنة. يضاف إليها الأمكنة ذات الصلة بالتعليم أمثال دور الكتب ودور العلم. ولعبت منازل العلماء دوراً مهماً في التعليم عند الإمامية نظراً لتوفر الحرية الفكرية لهم في المساجد

العامة.

وخُصص الفصل الثالث للبحث عن كل ما يتعلق بالمعلمين. وأُوكل التعليم الأولي للمعلم، يساعده في ذلك، أحياناً، المؤدِّب الذي هو معلم خاص يُنتدب لتعليم أولاد الخاصة وإن لم يكن التعليم مهنته الأصلية.

أما معلمو العلوم فهم الإمام المعصوم والشيخ والمدرس. وعالجت دور كل من هؤلاء المعلمين في التعليم فتبين أنَّ إسهام الأئمة في التعليم، لا يمكن أنْ يقارن بإسهام الشيوخ فيه، وذلك للصعوبات الجغرافية والسياسية التي حدت من نشاط الأئمة في عملية التعليم. أما المدرس فلم تظهر أهميته إلا بعد ظهور المدارس.

وكانت قضية أخذ الأُجرة على التعليم أو عدمه من القضايا التي جابهتها، وذلك لتضارب آراء الفقهاء حول الموضوع. وتوصلت الى أنَّ معلمي الكتاتيب كانوا يتقاضون الأُجرة على التعليم عدا القرآن الذي أُبيح لهم قبول الهدية على تعليمه، فحلّت الهدية محلّ الأُجرة المحظورة نظرياً. أما معلمو العلوم وخاصة الشرعية منها فكانوا، إلا ما ندر، لا يأخذون أُجرة على التعليم. وبيَّنتُ الوسائل التي مكنَّتهم من العيش رغم عزوفهم عن تسلّم الاجور.

وكانت نظرة المجتمع الى مهنة التعليم من القضايا التي تضاربت حولها آراء الكتّاب. وظهر أن نظرة العامة لمعلمي الصبيان لا تنطوي على الإحترام، بينما نظر الخاصة والعامة نظرة احترام لمعلمي العلوم.

أما الفصل الرابع فخصص للبحث في حياة الطلبة على اختلاف مراحل

دراستهم. وكانت قضية السن التي يبدأ بها الطالب دراسته الأولية أو دراسته للعلوم، والمدة التي تستلزمها هاتان المرحلتان من القضايا الغامضة في حياة الطلبة. ونظراً لعدم وجود إحصاءات عمدت الى التقدير على ضوء المعلومات المتيسرة لذا جاءت النتائج التي توصلتُ إليها في هذا الخصوص تقريبية.

ونظراً لعدم وجود معاهد تعليمية خاصة بالتعليم، كانت علاقة الطالب بالشيخ شخصية أي أنه لا ينخرط بمعهد تعليمي.

وامتازت غالبية الطلبة بالجد والإجتهاد في الدرس لأنهم كانوا، في الغالب، ينظرون الى تعلم العلوم، خاصة الشرعية منها، أنه فرض كفاية، وما عدا ذلك فإن معلوماتنا عن حياتهم الخاصة ناقصة لأن المربين الإمامية قلما أعاروا اهتمامهم لتلك الناحية. ونتيجة لنقص المعلومات جاءت النتائج في هذا الخصوص تقريبية.

وكانت الرحلة في طلب العلم عند المسلمين بما فيهم الإمامية من التقاليد التعليمية البارزة.

وكان مركز الطالب الاجتماعي جيداً، فهو موضع تقدير العلماء وموضع عطف بعض المحسنين الذين ساعدوه على مواصلة دراسته.

أما الفصل الخامس فخُصص للبحث في أساليب التعليم والمناهج.

ويمكن القول إن طريقة السماع من الشيخ شفاهاً كانت أكثر الطرق التعليمية شيوعاً. ويُعزى ذلك الى أن دراسة الحديث احتلت الصدارة في النظام التربوي الإسلامي. إذ كان التقليد التعليمي يؤكد على ضرورة سماع الحديث شفاهاً من شخص سمعه بالطريقة نفسها. وتلي الطريقة الأولى القراءة على الشيخ أو

العرض. وقد ثارت اعتراضات حول هذه الطريقة ثبتها في مواضعها من الرسالة. أما الطريقة الثالثة من طرق التدريس فهي الإجازة. وقد ظهر إن الإجازة إذن ورخصة شخصية ولا علاقة لها بمعهد تعليمي. وكانت الطريقة الرابعة هي المناولة. وهي كالإجازة من أقسام طرق تحمل الحديث. ولم نعثر على أمثلة عليها رغم ورودها بين طرق التدريس.

وظهر من دارسة المناهج أن معلمي الكتاتيب لم يكونوا مقيّدين بمنهج تقترحه جهة مسؤولة، ومثلهم في ذلك معلمو العلوم الذين كان منهجهم غير مقسَّم الى مواضيع بل كان الطلبة يدرسون كتباً تبحث في مواضيع مختلفة.

وقد اتضح إن الغاية الدينية من التعليم كانت أكثر أهمية في منهج العلوم، ومع هذا فإن الغاية الدنيوية منه لم تكن مهملة خاصة إذا كانت لا تتعارض مع الغاية الدينية.

أما فيما يتعلق بالإمتحانات فلم أعثر على أنظمة شكلية لها سواء في مرحلة التعليم الأولي أو في مرحلة تعليم العلوم.

ويبحث الفصل السادس في تمويل التعليم. وكان الطالب ينال معونة من هبات المحسنين ومن واردات الوقف والحقوق الشرعية.

وللرسالة ملحقان أحدهما عن المشاهد الشريفة عند الإمامية، بينما تناول الثاني نُبذاً عن حياة الأئمة المعصومين.

وبالرغم من أنَّ النظام التربوي عند الإمامية فرع من نظام تربوي إسلامي عام، فإنَّ له ميزاته التي تميزه عن غيره من فروع التربية الإسلامية الأُخرى. فالإمامية رغم اعتقادهم أنَّ القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب المسلمين كافة

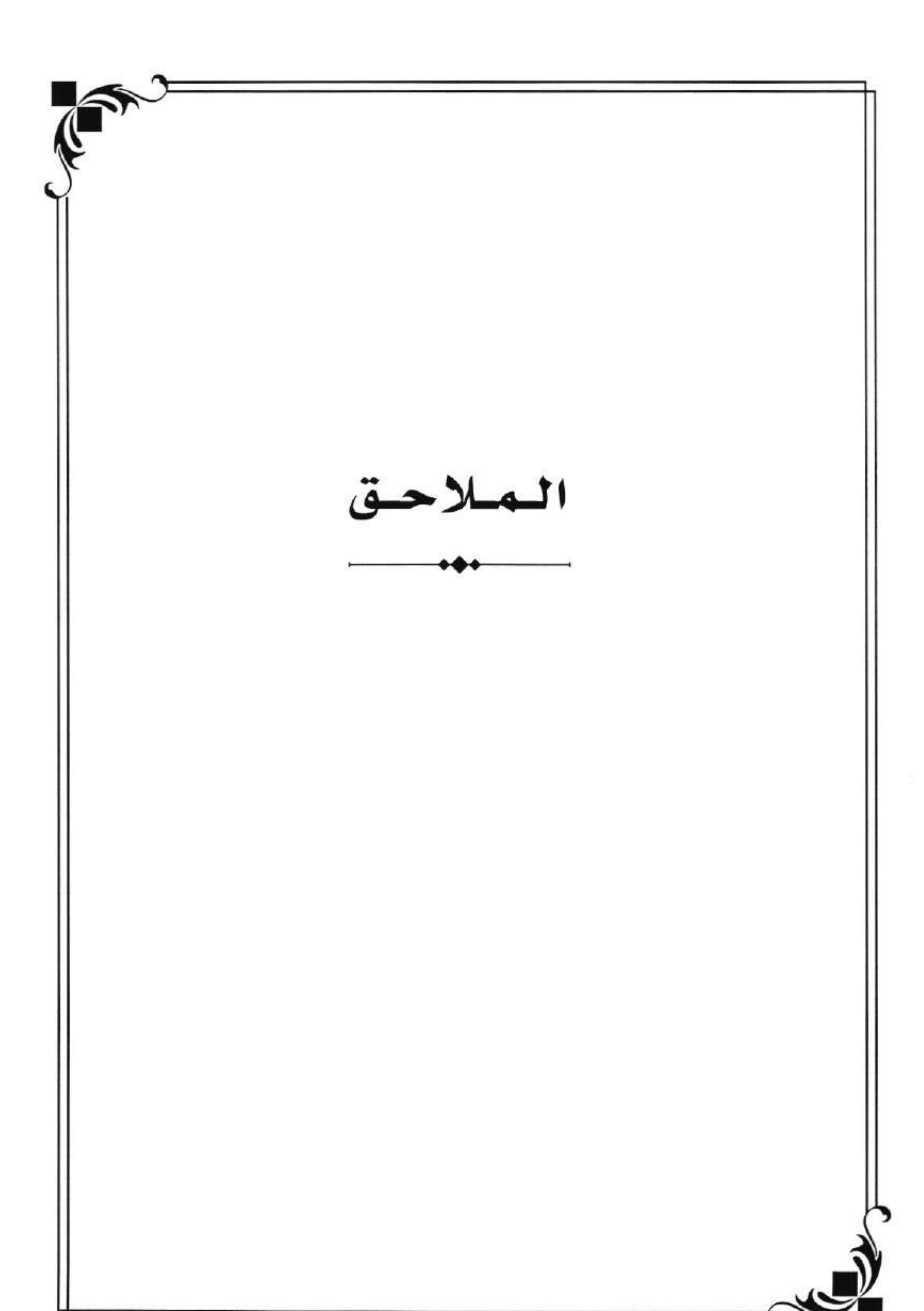
بما فيهم فرقتهم، وأن السُّنة تفسر وتكمل القرآن، يرون أنَّ غيرهم من المسلمين لم ينقلوا المصدرين المذكورين من منابعهما الحقيقية. ويعتقد الإمامية أن حَمَلَةَ الشريعة الإسلامية الذين أناط بهم النبي ﷺ توضيحها بأمر ربه هم الأئمة المعصومون أولهم علي عليه السلام وآخرهم المهدي. وترتب على ذلك الإعتقاد إنَّ تفاسير القرآن والسُّنة الموجودة عند المسلمين من غير الإمامية عرضة للخطأ والإضافة والنقص لأن نقلتها كانوا غير معصومين.

ونتج عن هذا الإختلاف في الإعتقاد بين الإمامية وأسلافهم، وغيرهم من المسلمين نتائج تربوية وتعليمية ذات شأن. فالرحلة في طلب العلم، خاصة في عصر الأئمة، اتخذت عند الإمامية طابعاً يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين فهي عندهم تحقق غرضاً دينياً إمامياً في طابعه بالإضافة الى الغرض العلمي. فالطالب الإمامي يرحل للقاء الإمام ليأخذ الحديث من مصدره الذي لا شك في قوله، في حين أنَّ الطالب غير الامامي يرحل لتلقي الحديث من أُناس ليسوا معصومين حسب اعتقاد الإمامية.

إن هذه الخلاصة تمثل طرفاً من ميزات التربية عند الإمامية ومشكلاتها. وبتوضيحي لتلك المشكلات وذكري لتلك المميزات آمل أن يكون هذا العمل قد أسهم بخدمةٍ في حقل البحث العلمي.

ولعل هذه الرسالة هي الأولى من نوعها في حقل التربية عند الإمامية، وذلك لعدم العثور على مصادر ذات شأن نبحث في التربية عندهم. هذا فضلاً عن عدم وجود من تصدى، إلا ما ندر، للبحث عن التربية عند الإمامية بين الكتّاب المحدثين.





الملاحق

الملحق الاول

المشاهد الشيعية الشريفة ودورها في العلم والتعليم عند الإمامية
لقد وردت في متن الكتاب إشارات متعددة الى أنَّ الشيعة الإمامية كانوا يزاولون درس وتدريس علومهم من فقه وحديث وما الى ذلك من علوم في طائفة من المشاهد الشيعية الشريفة التي حوت ترب جماعة من الأئمة المعصومين. وكانت المساجد المقامة حول تلك الترب تستعمل فضلاً عن الصلاة، للدرس والتدريس. لذا رأيت من المناسب أن أُزود القارئ بمعلومات مقتضبة عن أصل تلك المشاهد ونشوئها خلال الفترة التي تناولتها بالبحث. أما فيما يتعلق بتطور المشاهد المذكورة وازدياد أهميتها من الناحيتين الفكرية والدينية عند الشيعة الإمامية، ومتى أُطلق عليها إسم (العتبات المقدسة) فموضعه في غير هذا الكتاب وسيجد القارئ معلومات مفصلة عن ذلك في مظانها

ومن أهم المشاهد الشيعية :-

أولاً: مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف في العراق. قُتل علي عليه السلام سنة ٤٠ هـ، كما هو معلوم بالكوفة. ويبدو أنَّ الظروف الصعبة المحيطة بالعلويين حينذاك، من عدائهم للخوارج والامويين وانتقالهم من الكوفة الى المدينة أملَت عليهم أنْ يُخفوا موضع قبر الإمام عليه السلام. ونتيجة لذلك عسر على طائفة من المؤرخين تحديد موضع القبر. فاليعقوبي في معرض كلامه عن مقتل الإمام يقول (ودفن بالكوفة في موضع يقال له الغري). أما الطبري فيقول (قتل علي عليه السلام ودفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة).

وكان الأئمة وخاصة شيعتهم، كما سنُبين بعد قليل على علم في موضع القبر، وأوصلوا لنا ذلك عن طريق روايات كثيرة، وكلّها تحدد موضع قبر الإمام علي في النجف حيث هو الآن. يضاف الى ذلك إنَّ عدداً من المؤرخين غير الشيعة أيّدوا الروايات الشيعية بهذا الخصوص. وفي ضوء ما سبق يصح لنا أن نهمل رواية الطبري وأمثالها، اعتماداً على وثاقة الروايات المخالفة لها من جهة وترجيحاً للقول بأنَّ ذوي المتوفى أعلم بموضع قبره من غيرهم. وقد ساق ابن قولويه أدلة لتفنيد الروايات القائلة بأن الإمام علياً دفن بالرحبة أو بمسجد الكوفة، وإليك طائفة من الروايات التي تعيّن موضع القبر في الغري أي النجف. قال ابن قولويه (ت٣٦٧هـ) في خبر رفعه الى صفوان الجمّال أنه قال (كنت وعامر بن عبد الله بن جذاعة الأزدي عند أبي عبد الله ﷺ -جعفر الصادق- فقال له عامر إنَّ الناس يزعمون أنَّ أمير المؤمنين ﷺ دُفن بالرحبة فقال: لا، قال فأين دفن قال إنه لما مات حمله الحسن ﷺ فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النجف يسرة عن الغري يمنة عن الحيرة فدُفن بين ذكوات بيض قال فلما كان بعد ذلك ذهبت الى الموضع فتوهمت موضعاً منه ثم أتيته فأخبرته فقال أصبتَ أصبتَ ثلاث مرات...)

وروى ابن قولويه أيضاً خبراً رفعه الحسين الخلال عن جده، أنه قال (قلتُ للحسين بن علي صلوات الله عليهما أين دفنتم أمير المؤمنين ﷺ قال خرجنا به ليلاً حتى مررنا على مسجد الأشعث حتى خرجنا الى ظهر ناحية الغري).

وروى ابن قولويه خبراً ثالثاً رفعه الى محمد بن عبد الله بن سنان قال (أتاني عمرو بن يزيد فقال لي إركب فركبت معه فمضينا حتى نزلنا منزل حفص الكناسي

فاستخرجه فركب معنا فمضينا حتى أتينا الغري فانتهينا الى قبر فقال انزلوا هذا القبر قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

فقلنا له من أين عرفت هذا قال أتيتُه مع أبي عبد الله عليه السلام حيث كان في الحيرة غير مرَّة وخبَّرني أنه قبره).

ومضى الشيخ ابن قولويه بإيراد مجموعة كبيرة من الروايات المتضمنة تحديد موضع قبر الإمام علي عليه السلام في النجف حيث هو موضعه في الوقت الحاضر.

اما المقدسي فيقول (بالكوفة... ثمَّ إثارات على وقبره، وقبر الحسين ومقتله). وظهر أن المقدسي قصد في روايته السابقة بكلمة (الكوفة) الإقليم الكوفي بأكمله لا المدينة وحدها. وتنصرف الرواية الى أنَّ المقدسي حدد موضع القبر في إقليم الكوفة لا في المدينة نفسها، فيكون موضع القبر والحالة هذه في النجف لأن الرواة، ومن بينهم ابن قولويه، الذين جعلوا القبر خارج مدينة الكوفة حددوا موضعه، كما أعلم، في البقعة المعروفة بالنجف دون غيرها من البقاع التي تشمل عليها ولاية الكوفة. ويؤيد أبو الفرج الأصفهاني وابن الأثير في إحدى رواياتهما دفن الإمام علي بجنب الغري أي في النجف حيث موضع القبر الآن. وقد عنى السيد عبد الكريم بن طاووس (ت٦٩٣هـ) في كتابه الموسوم بـ (فرحة الغري) بجمع الأخبار المتعلقة في تعيين موضع قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام، كما تطرَّق الى عمارة مشهد الإمام وتوسيعه في العصور المتعاقبة التي سبقت عصر المؤلف.

ويقول ابن طاووس أنه رتّب كتابه على مقدمتين وخمسة عشر باباً. تناول في المقدمة الأولى الدليل على أن الإمام مدفون في الغري حسب ما يوجبه النظر. ثم تطرَّق المؤلف في المقدمة الثانية الى السبب الموجب لإخفاء قبره عليه السلام.

وتناول المؤلف في أبواب كتابه التسلسل، الأخبار الواردة عن الرسول ﷺ بهذا الخصوص ثم تلك التي وردت عن الأئمة المعصومين حسب تسلسلهم المعروف ما عدا الإمام المهدي عليه السلام. ثم خصص أحد أبواب الكتاب للأخبار الواردة عن زيد الشهيد، كما خصص باباً آخر للأخبار المتعلة بقبر الإمام عليه السلام والتي وردت عن الخليفتين المنصور والرشيد ومن زار القبر من الخلفاء من بعدهم.

وخصص المؤلف الباب الرابع عشر الى الأخبار التي وردت حول تعيين موضع القبر. عن جماعة من بني هاشم وغيرهم من العلماء والفضلاء. وختم ابن طاووس كتابه المذكور فيما ظهر عند الضريح الشريف من الكرامات. ويبدو من دراسة كتاب ابن طاووس المشار إليه في أعلاه أنَّ مؤلف الكتاب جمع كل ما تيسر له من معلومات حول الموضوع الذي تناوله كتابه. كما يبدو من الإهتمام الكبير الذي أولاه ابن طاووس لموضع تعيين قبر الإمام علي عليه السلام أنَّ عوامل ذات علاقة بنزاع الشيعة مع خصومهم تدخلت في القضية المذكورة وجعلت اولئك الخصوم يتخذون منها ذريعة للنكاية بالشيعة كما جعلت ابن طاووس ينبري لأولئك الخصوم ويحاول تبديد شكوكهم التي أثاروها، ربما عن قصد، حول قضية ثانوية الأهمية.

وإليك نُبذاً عن أهم تلك المشاهد:-

أولاً: تأسيس مشهد الإمام علي في النجف ودوره في دراسة العلوم عند الإمامية:

إن ما يهمنا بحثه هنا هو معرفة تاريخ تشييد مشهد في النجف حيث وجد قبر الإمام علي عليه السلام كما أسلفنا في أعلاه أما المعلومات التي تخص تخطيط بناء المشهد، وأبعاده وما الى ذلك من قضايا تتعلق بهندسة البناء والمواد المستعملة فيه فلا يهمنا

إيرادها هنا. وكل ما يهمنا هو وجود المشهد المذكور، وأنه كيف ومتى أصبح نواة لسكنى عدد من الشيعة كان بعضهم في الأقل منصرفا لدرس علوم الشيعة وتدريسها. يضاف الى ذلك أنَّ وجود المشهد وتوفر وسائل السكن والراحة في منطقة تجعل العلماء الوافدين لزيارته يطيلون المكث هناك للدرس أو التدريس، كما أن انعزال المشهد المذكور وبعده عن مراقبة السلطان، وعلماء أهل السُّنة، تجعله بمثابة موقع ملائم لنشر العلوم الإسلامية الشيعية التي كانت في الفترة التي تناولها بحثنا لا تلاقي قبولاً من السلطان ومن علماء أهل السُّنة وقد أشرنا الى المضايقات التي تعرض لها العلماء الشيعة وطلبتهم عند تدريسهم ودرسهم العلوم التي تلقاها آل البيت عن النبيﷺ في المساجد العامة، في مواضعها من صلب الكتاب.

وردت روايات عديدة تشير الى أنَّ قبر الإمام علي؏ في النجف كان يزار قبل بناء مشهد عليه. فالإمام علي بن الحسين المعروف بزين العابدين (ت٩٥هـ) زار مرقد الإمام علي في النجف، (ووقف على القبر فبكى). وعندما استقدم الخليفة العباسي أبو العباس جعفراً الصادق (ت١٤٨هـ) زار الإمام القبر في النجف. قال الصادق (إني لما كنت بالحيرة عند أبي العباس كنت آتي قبر أمير المؤمنين؏ ليلاً وهو بناحية النجف الى جانب الغري النعمان...). وأورد ابن طاووس روايه عن ابن طحال تقول (إن الرشيد بنى عليه (قبر علي) بنياناً بآجر أبيض أصغر من هذه الضريح اليوم من كل جانب بذراع، فلما كشفنا الضريح الشريف وجدنا مبنياً عليه تربة وجصاً، وأمر الرشيد أنْ يبنى عليه قبة فبنيت من طين أحمر وطرح على رأسها حبرة وهي في الخزان اليوم) ويبدو من الرواية السابقة أن هارون الرشيد كان أول من بنى مشهداً على قبر أمير

المؤمنين علي ﷺ. وكان ذلك في سنة (١٧٠هـ).

وبنى محمد بن زيد الداعي مشهد علي في عهد المعتضد. وفي عهد عضد الدولة البويهي اقيمت على قبر علي ﷺ عمارة جليلة حسنه أ.

ويبدو أن جماعة من السكان أخذوا يسكنون بجوار المشهد بعد بنائه كما أسلفنا. ويقوم دليلاً على ذلك أنَّ عضد الدولة البويهي لما زار المشهد الغروي الشريف في سنة إحدى وسبعين وثلثمائة، وجد المنطقة التي حول المشهد عامرة بالسكان، وأنَّ عدداً من اولئك السكان كانوا يشتغلون بالقضايا الفكرية حيث كان بينهم عدد كبير من الفقهاء. قال ابن طاووس في معرض كلامه عن زيارة عضد الدولة البويهي الى المشهد الغروي (وتوجه الى المشهد الغروي... وزار الحرم الشريف وطرح في الصندوق دراهم فأصاب كل واحد منهم واحد وعشرون درهماً، وكان عدد العلويين ألف وسبعمائة إسم وفرَّق على المجاورين وغيرهم خمسمائة ألف درهم وعلى المترددين خمسمائة ألف درهم وعلى الناحة ألف درهم، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم، وعلى المرتبين من الخازن والبواب..) ب وسبق أن بينا عند كلامنا عن الطلبة في متن الكتاب اصطلاح (فقراء) قد يعني طلبة العلوم، فيترتب على ذلك إن جماعة من الشيوخ والطلبة كانوا يقطنون مشهد علي في النجف عند ورود عضد الدولة إليها.

كما انَّ كلمة (المترددين) الواردة في النص السابق تعني الأفراد غير المقيمين بصورة دائمية في مدينة النجف، وقد يكون من بين هؤلاء عدد من العلماء والطلبة الذين وردوا لزيارة مرقد الإمام للدرس والتدريس في الوقت نفسه.

ومما يرجح وجود عدد من المشتغلين بطلب العلم بين المترددين كما قررنا

آنفاً هو التقليد المعروف بين المربين المسلمين، بما فيهم الشيعة الإمامية، بالرحلة في طلب العلم الذي كان من مقتضياته أنْ يرحل الطلبة الى لقاء الشيوخ لرواية الحديث عنهم. والتقى النجاشي أحد علماء الرجال بجماعة من العلماء الشيعة (يوم الغدير سنة أربعمائة بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام ح.

وبعد نهاية الحكم البويهي في العراق في منتصف القرن الخامس الهجري تغيرت الأوضاع في العراق بعامة وفي عاصمة الخلافة بغداد بخاصة. ونتج عن ذلك أنْ تعرضت المؤسسات الفكرية الشيعية الى الخراب فنُهبت دار الكتب التي أوقفها الوزير البويهي سابور، ولم نعد نسمع بعد ذلك التاريخ عن دار الشريف الرضي وعن مصير طلبتها. كما أن طائفة من مفكري الشيعة الإمامية ومن بينهم الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تعرضت لإعتداء العامة، مما دعى الشيخ الطوسي في سنة (٤٤٩هـ) الى ترك بغداد والهجرة الى مشهد علي عليه السلام في الغري.

وتعد هجرة الشيخ الطوسي الى مشهد الغري والنجف من الأحداث المهمة في تاريخ تلك المدينة، إذ أنه واصل نشاطه العلمي والتعليمي في موطنه الجديد، وتمكن الشيخ المذكور من تأليف مجموعة من الكتب في الفقه والحديث وغيرهما، إحتلت مكاناً بارزاً في الدراسات الشيعية الامامية. وحسبك أن تعلم أن اثنين من كتبه وهما (التهذيب) و(الإستبصار) أصبحا من كتب الحديث الأربعة المعول عليها عند الشيعة الإمامية.

ويظهر نشاط الشيخ الطوسي في التعليم وهو ما كان موضع اهتمامنا في صلب الكتاب من كتابه الموسوم بـ (الأمالي) وهي الدروس التي كان يمليها على طلابه.

ويظهر من مقدمات تلك الدروس أن معظمها القيت في مشهد الغري أو النجف.

جاء في مقدمة القسم الأول من الأمالي أن ذلك القسم أملي بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... في شهر ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وأربعمائة.. وفي القسم الثاني أنه أملي بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام..في شهر ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وأربع مائة...، وفي الثالث (بمشهد مولانا... في سنة خمس وخمسين وأربعمائة..) وفي الرابع (بمشهد مولانا...) وفي الخامس (بمشهد مولانا... يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وأربعمائة...).

ونستنتج مما قدمنا :

أولاً: إنَّ جميع النماذج التي اقتبسناها من أمالي الطوسي اُلقيت بمشهد علي عليه السلام..

ثانياً: لم يلتزم الشيخ أو الراوي بذكر تواريخ إلقاء الدروس من يوم وشهر وسنة.. ففي المثال (١) ذكر الشهر والسنة دون اليوم، وفي (٢) أغفل اليوم أيضاً، وفي (٣) اكتفى بذكر السنة، وفي (٤) أغفل التاريخ كلية، وفي (٥) التزم بذكر التاريخ كاملاً...

ثالثاً: الفواصل بين الدروس لم تكن متساوية..

رابعاً: إن عدم الإلتزام بأوقات معينة لإلقاء الدروس يعد بمثابة فجوة في طريقة التدريس عند الطوسي.

وبالرغم من كل ماسبق فإن انتقال الطوسي الى مشهد علي عليه السلام وقيامه بالتدريس هناك لهما أثر كبير في تنظيم الدراسة وتقدمها عند الإمامية.

ثانياً: تأسيس مشهد الإمامين الكاظم والجواد ببغداد ودوره في دراسة العلوم عند الإمامية:

توفي الإمام موسى الكاظم ببغداد في سنة (١٨٣هـ). (ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربي).وتقع مقابر قريش في الجانب الغربي من بغداد فيما يعرف بالكاظمية اليوم. وفي سنة (٢٢٠هـ) توفي الإمام الجواد ببغداد ودفن مع جده في مقابر قريش أيضاً .

ولا نعلم كيف ومتى شُيِّد أول مشهد على ضريحي الإمامين المذكورين، كما لا نعلم كيف ومتى تحولت مقابر قريش الى منطقة سكنية أُطلق عليها قديماً إسم المشهد الغربي، في الغالب، كما يطلق عليها الكاظمية حديثاً.

وتشير روايات، أوردها الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه (ت٣٦٧هـ) مرفوعة للإمام الرضا (ت٢٠٣هـ)، الى أنَّ نوعاً من البناء في حدود نهاية القرن الثاني للهجرة كان موجوداً على القبر وإن المنطقة المجاورة له أصبحت مأهولة بالسكان. وإليك الروايات المشار إليها في أعلاه :

قال ابن قولويه (حدّثني محمد بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن هارون بن مسلم عن علي بن حسان الواسطي عن بعض أصحابنا عن الرضا عليه السلام في إتيان قبر أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال صلوا في المساجد حوله، وروى المؤلف نفسه خبر آخر رفعه الى الرضا أيضاً قال فيه، أن الواسطي سأل ذات مرة عن فضل زيارة قبر الإمام موسى عليه السلام وقال (فإن خفت ولم يمكن الدخول داخلاً قال (الرضا) سلِّم من وراء الجدار). وقال ابن قولويه في رواية ثالثة قال فيها السائل للرضا عليه السلام (جُعلت فداك إن زيارة قبر أبي الحسن عليه السلام ببغداد علينا فيها مشقة، وإنما نأته فنسلم

عليه من وراء الحيطان..).

ونستنتج من الروايات آنفة الذكر ما يأتي:

أولاً: إن وجود مساجد حول المنطقة المدفون فيها الإمام يبيح لنا أن نفترض وجود عدد من السكان حينذاك في المنطقة المذكورة، لأن المساجد لا تبنى عادةً إذا لم يؤمها المصلون.

ثانياً: إن خوف من يدخل لزيارة الإمام من الرقابة يحمل على الظن إن من يقومون بتلك الرقابة ليسوا من الطارئين على المنطقة من موظفين وغيرهم حسب، بل من السكان المتواجدين بتلك المنطقة بصورة دائمية، لذا فإنها كانت مأهولة بالسكان.

ثالثاً: إن وجود الجدران حول القبر في الرواية الثانية من روايات ابن قولويه آنفة الذكر، والحيطان في الثالثة، يدل على وجود بناية حول القبر في حدود التاريخ الذي اقترحناه في أعلاه.

ويبدو أن البناية المقترحة كانت هي مشهد الإمامين موسى الكاظم والجواد في أدواره الأولى، وان السكان الذين اقترضنا وجودهم حول المشهد كانوا نواة للسكان الذين تكاثروا فيما بعد، وكوّنوا منطقة سكنية عرفت بالمشهد.

ولعل وجود قبرين لعالمين من علماء الشيعة وهما جعفر بن محمد بن قولويه، والمفيد (ت٤١٣هـ) لا يبعدان في الوقت الحاضر عن قبر الإمامين صاحبي المشهد إلا بضعة أمتار، يدل على أن قبة للمشهد كانت قد بنيت قبل وفاتهما.

ومن الأدلة على وجود مدينة تعرف بالمشهد حول قبة الإمامين المذكورين

خلال القرن الخامس الهجري.

أولاً: لم يشهد المرتضى جنازة أخيه الرضي (ت٤٠٦هـ) جزعاً عليه (فأقام بالمشهد).

ثانياً: إن الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـم) كان يسكن في تلك المدينة.

ويصعب تصور سكنى رجل غني، وكثير الأتباع في الوقت نفسه كالمرتضى في منطقة غير مأهولة بالسكان، وعندما توفي المرتضى دفن في داره، قال النجاشي (توفي المرتضى سنة ست وثلاثين وأربعمائة وصلى عليه إبنه في داره ودفن فيها وتوليت غسله ومعي....). ولما كان قبر المرتضى، أو موقع مدفنه الاول، لأن هناك من يقول أنه نقل الى كربلاء، موجوداً اليوم في المسجد المنسوب إليه، يكون المسجد المذكور قد أقيم في موقع دار المرتضى.

ثالثاً: تكلم ابن الأثير في حوادث (٤٤٣هـ) عن حصول فتنة (بين العامة ببغداد وإحراق المشهد على ساكنيه السلام).

رابعاً: يظهر من نص أورده ابن الأثير أن مدينة تعرف بالمشهد إنشأت على أنقاض مقابر قريش، كانت موجودة في سنة (٤٤٨هـ).

قال ابن الأثير (أمر الخليفة سنة (٤٤٨هـ) بأن يؤذَّن بالكرخ والمشهد وغيرهما، الصلاة خير من النوم)[1]. ومما يؤيد أن المقصود بكلمة (المشهد) الواردة في النص تعني ما كان يعرف بمقابر قريش أو ما هو معروف بالكاظمية اليوم، هو أن اصطلاح (الصلاة خير من النوم) مختص بأهل السُّنة، وفرض القول به على

---

(١) الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٣٢.

سكان الكرخ والمشهد لأنهم شيعة في الغالب الأعم.

خامساً: وفي سنة (٤٤٩هـ) (إحترقت دار الشيخ الطوسي ففارقها الى المشهد الغربي)[١].

ويبدو أن إطلاق إصطلاح المشهد على ما كان يعرف بمقابر قريش لم يقض على الإسم الأخير، لأن ياقوت الحموي عرف المنطقة بمقابر قريش، ووصفها بأنها محلة فيها خلق كثير ولها سور[٢].

أما دور المشهد الغربي، وهو ما يسمى بالكاظمية اليوم، في العلم والتعليم عند الإمامية فلا يمكن بحثه بصورة مستقلة عن دور بغداد عاصمة الخلافة وذلك لأن المشهد المذكور كان محلة من محلاتها، وسنورد أمثلة على النشاط العلمي والتعليمي للإمامية في بغداد وبضمنها المشهد الغربي وذلك خلال الفترة التي تناولها بحثنا.

أولاً: لقد أشرنا في صلب الرسالة الى المؤسسات العلمية والتعليمية عند الإمامية، ومن بينها دار علم سابور الوزير البويهي، ودار علم الشريف الرضي ومن الجدير بالذكر إن المصادر التي اطلعت عليها حددت موقع دار علم سابور ببغداد، بينما أغفلت تحديد دار علم الشريف الرضي، ونرجح إن موضع تلك الدار كان في المشهد الغربي، ونبني ذلك الترجيح على وجود منطقة سكنية حول تربة الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام في عصر مؤسس تلك الدار. وتكون حينئذ المنطقة الجديدة، أي المشهد الغربي، أصلح من غيرها من مناطق بغداد لتأسيس دار

(١) أيضاً، ج٩، ص٦٣٨.

(٢) معجم البلدان، ج٨، ص١٠٧.

علم الرضي. وذلك أن السكنى في المشهد المذكور توفر حرية أكثر للطلبة الإمامية لكي يمارسوا حياتهم العامة من جهة. ويقوموا بنشاطهم الفكري على الوجه الأفضل من جهة اخرى. وقد ضربنا في صلب الاطروحة، أمثلة عن المضايقات التي تعرض لها اولئك الطلبة أحياناً عند ممارستهم لنشاطهم الفكري في المساجد.

ثانياً : ورغبة في تجنب المضايقات المشار إليها في رقم (١) أعلاه وسعياً وراء توفر جو مناسب للطلبة والشيوخ الإمامية لكي يقوموا بنشاطهم الفكري على الوجه الأمثل، لجأ الإمامية الى مزاولة دراسة علومهم في مساجد خاصة بهم في العاصمة بغداد، ثم أخذ بعضهم ينتقل للمشهد الغربي بعد أن تحول من مقبرة تسمى (مقابر قريش) الى منطقة سكنية تعرف بإسم المشهد في أغلب الأحيان، وكان من بين المساجد الإمامية ببغداد مسجد براثا، ومشهد العتيقة، ومسجد الشيخ المفيد. وسبق أن أشرنا في صلب الرسالة الى بعض مظاهر نشاط الشيعة الفكري في مسجد براثا، كما أشرنا الى نشاطات المفيد في العلم والتعليم عند الإمامية كذلك وفي الدفاع عن مذهبهم، أما فيما يتعلق بمشهد العتيقة فقال النجاشي إن محمد بن إبراهيم بن جعفر المعروف بابن زينب شيخ من أصحابنا (رأيت أبا الحسين محمد بن علي الشجاعي الكاتب يقرأ عليه كتاب الغيبة... بمشهد العتيقة..)[1].

ثالثاً- ظلت بغداد بالرغم من الظروف الصعبة التي أحاطت أحياناً بأهلها من الإمامية، من مراكز النشاط الفكري الرئيسة للإمامية في الفترة التي تناولها بحثنا، وسنضرب أمثلة على العلماء الإمامية الذين استوطنوا بغداد، وعن اولئك

---

(١) الرجال، ص ٢٩٨.

الذين وردوا إليها ودرسوا أو درّسوا فيها، والأمثلة التي سنوردها مقتبسة من كتاب الرجال للنجاشي (ت ٤٥٠ هـ) لذلك يعدُّ العلماء المشار إليهم فيها من علماء الفترة التي نحن بصدد البحث فيها، وإليك معلومات مقتضبة تنحصر في الغالب بتعيين موطن اولئك العلماء :

١- هشام بن الحكم. وكان هشام قد (انتقل الى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة... ونزل قصر وضاح)[١] وقد أشرنا بصلب الرسالة الى النشاط الفكري لهشام بن الحكم.

٢- محمد بن يعقوب الكليني مؤلف كتاب (الكافي) المعروف. ومات الكليني ببغداد ودفن بباب الكوفة على رواية النجاشي. وظل كتاب الكافي من الكتب التي يدرسها الإمامية بعد وفاة مؤلفه قال النجاشي (كنت أتردد الى المسجد المعروف بمسجد اللولؤي وهو مسجد نفطويه النحوي أقرأ القرآن على صاحب المسجد وجماعة من أصحابنا يقرؤن كتاب الكافي..) [٢].

٣- محمد بن أحمد بن داود بن علي كان (شيخ هذه الطائفة وعالمها.. مات أبو الحسن بن داود سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ودفن بمقابر قريش)[٣].

٤- محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي. قال النجاشي (..شيخنا وفقيهنا.. وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن.. أخبرنا بجميع كتبه وقرأت بعضها على والدي.. وقال لي

(١) النجاشي، الرجال، ص ٣٣٨.

(٢) أيضاً، ص ٢٩٢.

(٣) أيضاً، ص ٢٩٩.

أجازني جميع كتبه لما سمعنا منه ببغداد)[١].

٥- محمد بن محمد بن أحمد الكوفي البجلي (سكن بغداد وعظمت منزلته بها، وكان ثقة فقيهاً.. وكانت له رياسة في الكرخ وتقدم الجماعة..)[٢].

٦- محمد بن جعفر بن محمد أبو الفتح الهمداني الوداعي المعروف بالمراغي (كان وجيهاً في النحو واللغة ببغداد حسن الحفظ، صحيح الرواية فيما يعلمه وكان يتعاطى الكلام...)[٣].

٧- محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري (خليفة الشيخ أبي عبدالله بن النعمان المفيد والجالس مجلسه متكلم فقيه.. مات سنة ثلاث وستين وأربع مائة ودفن في داره)[٤].

٨- معمر بن خلاد (بغدادي ثقة روى عن الرضا عليه السلام..)[٥].

٩- يحيى بن الحجاج الكرخي (بغدادي ثقة له كتاب..)[٦].

١٠- يعقوب بن يزيد بن حماد الأنباري (روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام وانتقل الى

(١) أيضاً، ص ٣٠٦.

(٢) أيضاً، ص ٣٠٧.

(٣) أيضاً، ص ٣٠٧.

(٤) النجاشي، الرجال، ص٣١٧.

(٥) أيضاً، ص ٣٣٠.

(٦) أيضاً، ص٣٤٧.

بغداد وكان ثقة صدوقاً..) [(١)].

١١- علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (قدم العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح ﷺ وسأله مسائل..) وقال العباس الكلوداني (أخذت إجازة علي بن بابويه لما قدم بغداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة بجميع كتبه..) [(٢)].

١٢- علي بن يقطين بن موسى (البغدادي سكنها وهو كوفي... قال أصحابنا روى علي بن يقطين عن أبي عبد الله ﷺ وروى عن موسى ﷺ)[(٣)].

١٣- العباس بن موسى الوراق (ثقة نزل بغداد ومات بها.. له كتاب المتعة..)[(٤)].

١٤- عيسى بن السري الكرخي (بغدادي.. ثقة روى عن أبي عبد الله ﷺ..)[(٥)].

١٥- الفضل بن سليمان (الكاتب البغدادي.. روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن ﷺ) [(٦)].

١٦- الفضل بن عبد الرحمن (بغدادي متكلم جيد الكلام... له كتاب في الإمامة...)[(٧)].

---

(١) أيضاً، ص٣٥٠.

(٢) أيضاً، ص١٩٩.

(٣) أيضاً، ص ٢٠٩.

(٤) أيضاً، ص٢١٥.

(٥) أيضاً، ص٢٢٧.

(٦) أيضاً، ص ٢٣٥.

(٧) أيضاً، ص ٢٣٥.

١٧- الفضل بن يونس (الكاتب البغدادي، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ثقة له كتاب...) [١]

١٨- القاسم بن عمير (بغدادي وبها مات. روى عن أبي عبد الله عليه السلام له كتاب...) [٢].

١٩- محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى، بغدادي الأصل والمقام لقي أبا الحسن موسى عليه السلام وسمع منه أحاديث.. وروى عن الرضا عليه السلام جليل القدر عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين..) [٣].

٢٠- محمد بن الخليل أبو جعفر السكاك بغدادي (صاحب هشام بن الحكم وتلميذه، أخذ عنه) [٤].

٢١- ظريف بن ناصح أصله كوفي (نشأ ببغداد و كان ثقة في حديثه صدوقاً، له كتاب..) [٥].

ويمكن للقارئ أن يقدّر دور بغداد وبضمنها مقابر قريش أو المشهد في تدريس العلوم الدينية عند الإمامية في الفترة التي تناولناها بالبحث، إذا علم أنه فضلاً عن الأمثلة التي أوردناها في أعلاه، كان الإمامان الكاظم والجواد عليهما السلام قضيا شطراً من حياتهما ببغداد ودرّسا علوم أهل البيت لشيعتهم فيها. كما كان الكليني،

(١) النجاشي، ص ٢٣٧.

(٢) أيضاً، ص ٢٤١.

(٣) أيضاً، ص ٢٥١.

(٤) أيضاً، ص ٢٥٢.

(٥) أيضاً، ص ١٥٦.

والمفيد والشريفان الرضي والمرتضى والطوسي شيخ الطائفة والنجاشي من بين مَنْ درّسوا فيها. وإذا أضفنا الى ذلك إنجازات البغداديين الإمامية في حقول اللغة والأدب وما الى ذلك من علوم يتضح لنا دورهم في الفكر الإسلامي بعامة.

ثالثاً: الحاير أو مشهد الحسين في كربلاء ودوره في العلم والتعليم عند الإمامية:

أ- تأسيس الحاير في كربلاء

استشهد الحسين عليه السلام كما هو معروف بالعراق في موضع يعرف بكربلاء.

وقد وردت طائفة من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام تشير الى موضع كربلاء والى أنها ستكون موضعاً لاستشهاد الحسين وأصحابه[1] ويبدو أن موضع القبر كان محدوداً ومعروفاً بعد استشهاد صاحبه بسنوات قليلة. روى الطبري أن سليمان بن صرد زعيم التوابين مر بقبر الحسين عليه السلام قبل ذهابه لحرب بن زياد[2] ولانعلم على وجه التحديد متى بنيت تربة الحسين عليه السلام، كما لا نعلم متى تحولت المنطقة المحيطة بها الى منطقة سكنية عرفت بكربلاء أحياناً أو الحاير في أحيان اخرى كما سنوضح ذلك بعد قليل. ويظهر من الرواية التالية التي أوردها ابن قولويه إن قرية تسمى كربلاء قد نشأت في المنطقة الواقعة حول القبر في حدود بداية القرن الثاني للهجرة. قال ابن قولويه في خبر رفعه الى أبي حمزة الثمالي قال فيه (خرجت في آخر زمان بني مروان الى زيارة قبر الحسين عليه السلام متخفياً من أهل الشام حتى انتهيت

---

(١) ابن قولويه، المصدر السابق، ص ص ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٥٦.

الى كربلاء فاختفيت في ناحية القرية حتى إذا ذهب من الليل نصفه أقبلتُ نحو القبر..)[١] :. وسميت المنطقة نفسها بالحاير في الرواية التالية التي أوردها ابن قولويه أيضاً . قال اسحاق بن عمار (قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني كنت بالحاير ليلة عرفة كنت أُصلي... فقال لي أبو عبد الله عليه السلام إنه مرَّ بالحسين عليه السلام خمسون ألف ملك وهو يقتل..)[٢] ويبدو أن كلمة الحاير أو الحير كانت تطلق على المنطقة التي تعرف بكربلاء كما تطلق على مشهد الإمام الحسين أي القبر وما حوله من بناء يضم المرقد الشريف. وربما حصل ذلك من أنَّ المشهد الذي سمي بالحير أو الحاير، وهو أهم جزء في تلك المنطقة السكنية، أطلق على منطقة كربلاء كلها بما فيها المشهد. وإليك الروايات التي تشير الى ماسبق أن قررناه في أعلاه. أورد ابن قولويه رواية رفعها الى الصادق، قال فيها الإمام عليه السلام.. (وكلما دخلت الحاير (وفي رواية أخرى الحير) فسلّم ثم أمشي حتى تضع يديك وخديك جميعاً على القبر...) وجاءت الرواية آنفة الذكر بسند آخر عن الصادق أيضاً (فإذا بلغت الرواح فقل هذا الكلام... كما قلت حين دخلت الحاير (الحير)... [٣] فالحاير يعني، في الرواية آنفة الذكر بسنديها، المشهد الذي يضم القبر الشريف.. وقد تعني كلمة (الحاير) المنطقة السكنية القائمة في كربلاء بما فيها المشهد روى إن الصادق عليه السلام قال (إتمام الصلاة في أربعة مواطن بمكة والمدينة ومسجد الكوفة والحاير)[٤] ومن الجدير بالذكر إن المصادر كما أعلم، لم تسعفنا بمعلومات كافية حول أول بناية أقيمت بكربلاء

(١) ابن قولويه، المصدر السابق، ص ١١٢.

(٢) أيضاً، ص ١١٥.

(٣) ابن قولويه، المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٤) أيضاً، ص ٢٤٩.

حول قبر الإمام الحسين عليه السلام وعرفت بالحاير أو الحير. وسأورد فيما يلي الإشارات، رغم غموض بعضها، الواردة بهذا الصدد. روى أن الإمام الصادق عليه السلام قال (تتم الصلاة في أربعة مواطن في المسجد الحرام... وحرم الحسين...) وسمى أيوب بن نوح الذي عاش في القرن الثالث للهجرة مكة والمدينة والكوفة وقبر الحسين بـ (المشاهد)[١] وروى إن الصادق عليه السلام قال (إذا أردت زيارة قبرالعباس بن علي عليه السلام وهوعلى شط الفرات بحذاء الحاير (الحير) فقف على باب السقيفة..)[٢] وفي سنة (٢٧٣هـ) سقطت سقيفة مشهد الحسين عليه السلام [٣] ونستنتج من تسمية قبر الحسين بالحرم تارة، وتارة بالمشهد، ومن وجود سقيفة على قبره ومثلها على قبر أخيه العباس المجاور له بأن نوعاً من الترب كانت موجودة على تلك القبور في القرن الثالث للهجرة.

وتحولت الترب المذكورة مع الزمن الى مشاهد تضم من الأبنية والفسح، والأواوين، وما الى ذلك من مشتملات جرى العرف أن تضمها أمثال تلك المشاهد. وكان الشيعة ومازالوا يزورون مشاهد الأئمة عليهم السلام بما فيها مشهد الحسين في الحاير الذي نحن بصدد البحث في شؤونه. وتستهدف زيارتهم للمشاهد آنفة الذكر التبرك والدعاء من الله لغفران الذنوب. كما يرى الشيعة إن مكة والمدينة ومشاهد أئمتهم، أمكنة يستحب فيها الدعاء. روى أن الإمام علي بن محمد عليه السلام قال (إن لله تعالى بقاعاً يحب أن يُدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والحاير منها)[٤]

---

(١) أيضاً، ص ٢٤٨.

(٢) أيضاً، ص ٢٥٦.

(٣) ابن طاووس، فرحة الغري، ص ١٣٧.

(٤) أيضاً، ص ٢٧٤.

ويترتب على ماسبق يفضل الشيعة أن يسكنوا تلك المشاهد ويدرسوا العلوم الإسلامية التي تلقوها عن أئمتهم في تلك المشاهد.

ويبدو أن مشهد الحسين إتسعت رقعته، وكثر سكانه في القرن الرابع للهجرة، ويظهر إن توسع المشهد، ووجود أشياء ثمينة فيه أثار جشع الأعراب المجاورين له فنهبوه. روى ابن الأثير أن ضبة بن محمد الأسدي (نهب مشهد الحسين) في سنة (٣٦٩هـ)[١].

ب- دور مشهد الحسين في العلم والتعليم عند الإمامية:

كان مشهد الحسين، كما أسلفنا، من الأمكنة الشريفة التي يؤمها الشيعة للزيارة والتبرك، وفي سنة (٣٧١هـ) ورد مشهد الحسين (الحاير) عضد الدولة البويهي (وتصدق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم، وجعل في الصندوق دراهم ففرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم أثنان وثلاثون درهماً، وكان عددهم ألفين ومائتي إسم، ووهب العوام والمجاورين عشرة آلاف درهم وفرّق على أهل المشهد من الدقيق والتمر مائة ألف رطل، ومن الثياب خمسمائة قطعة، وأعطى الناظر عليهم ألف درهم)[٢] وكان ابن الأثير أيضاً قد أشار الى زيارة عضد الدولة الى مشهد الحسين[٣] ويمكن أن تؤخذ كثرة السكان، وانقسامهم الى طبقات، قرينة على أن بعضهم في الأقل كانوا من بين طلبة العلم وشيوخه، لاسيما

(١) الكامل، ج٨، ص٧١٠.

(٢) ابن طاووس، المصدر السابق، ص١٣٢-٣.

(٣) الكامل، ج٨، ص٧٠٥.

أنهم كانوا مجاورين لمحل مخصص للعبادة.

وأن تعلم العلوم الدينية وتعليمها كانا من أعمال العبادة كما وضحنا في صلب الرسالة وسنورد الإشارات التي وردت عن طائفة من العلماء الذين زاولوا التعلم أو التعليم أو اشتغلوا بالعلم في الحاير، روى النجاشي أن عثمان بن عيسى الكلابي كان قد (روى عن أبي الحسن عليه السلام وأقام بالحاير حتى مات ودفن هناك)[١]، وقال ابن طاووس إن أحد الشيعة قال (حدّثني محمد بن شهاب بن صالح البارقي شيخ من أهل الكوفة لقيته بمشهد مولانا الحسين عليه السلام) [٢]، روى ابن طاووس أيضاً قصة عن أحد المشايخ الذي صادف وجوده بمشهد الحسين سقوط سقيفة المشهد المذكور سنة ثلاث وسبعين ومائتين[٣].

وترجم النجاشي لحميد بن زياد الدهقان فقال: إنه كوفي وسكن سورا وانتقل الى (نينوى قرية على العلقمي الى جنب الحاير على صاحبه السلام كان ثقة... وجهاً فيهم سمع الكتب وصنّف كتاب الجامع في أنواع الشرايع، كتاب الخمس...)، وروى النجاشي خبراً رفعه الى الحسين بن علي بن سفين قال (قرأت على حميد بن زياد كتابه الدعاء...) ومات حميد سنة عشر وثلثمائة[٤].

ونفيد مما سبق إن الحاير في كربلاء كان من بين المراكز الشيعية التي زاول فيها الشيعة الإمامية نشاطهم العلمي والتعليمي، وسبق أن ذكرنا في صلب الرسالة

---

(١) الرجال، ص٢٣١.

(٢) فرحة الغري، ص٨٧.

(٣) أيضاً، ص١٣٧.

(٤) الرجال، ص١٠٢.

أمثلة عن نشاط الإمامية الفكري بمشهد الحسين أو الحاير.

رابعاً: مشهد الإمام الرضا في طوس ودوره في العلم والتعليم عند الإمامية:

أ- تأسيس المشهد:

توفي الإمام الرضا ولي عهد الخليفة المأمون سنة (٢٠٣هـ). ودفن الإمام عليه السلام بجنب هارون الرشيد بطوس من أرض خراسان[١]. وورد ذكر موضع قبر الإمام عليه السلام مقروناً بمدينة طوس تارة وبخراسان، بحكم كونها إسم الولاية التي تضم مدينة طوس تارة اخرى، في حديثين عن الإمام الجواد ابن الإمام المتوفى وخليفته.. وحين سأل أحد الشيعة أبا جعفر الجواد عن فضل زيارة قبر أبيه الرضا عليه السلام قال (أبو جعفر عليه السلام من زار قبر أبي بطوس غفر الله له.....)[٢].

وجاء في الحديث الثاني أن محمد بن سليمان قال سألت (أبا جعفر عليه السلام عن رجل حج حجة الاسلام... ثم انصرف الى بلاده فلما كان وقت الحج رزقه الله ما يحج به فأيهما أفضل لهذا الذي قد حج حجة الاسلام يرجع فيحج أيضاً أو يحج الى خراسان الى أبيك علي بن موسى الرضا... قال بل يأتي خراسان فيسلّم على أبي الحسن عليه السلام أفضل..)[٣].

ومن الجدير بالذكر أن الحديث آنف الذكر وأمثاله كان مدعاة لحصول اللبس عند طائفة من خصوم الشيعة، فقالوا إن الشيعة يَرَوْنَ إن زيارة أئمتهم

(١) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢ (قم، ١٣٧٧) ص ٢٦٠.

(٢) ابن قولويه، المصدر السابق، ص ٣٠٥.

(٣) أيضاً، ص ٣٠٦.

تجزي عن حجة الإسلام، والواقع إن حجة الغسلام فريضة يستوي في تقديسها الشيعي والسني من المسلمين، بينما زيارة الأئمة عليهم السلام ليست فريضة ولكنها مستحبة استحباباً مؤكداً عند الشيعة، ومن الأدلة على ذلك قول الإمام أبي الحسن عليه السلام التالي: (من لم يقدر أن يزورنا فليزر صالح موالينا يكتب له ثواب زيارتنا...)[1]. فالزيارة والحالة هذه أمر مستحب شأنه شأن التصدق على الفقراء مثلاً ولا يعد تاركه مقصراً بإداء فريضة كالصلاة والحج الى مكة المكرمة، وما الى ذلك من الفرائض.

وورد ذكر موضع قبر الإمام الرضا، فضلاً عن ذلك بواحد من أبيات قصيدة رثى بها شاعر معاصر وهو دعبل الخزاعي (ت٢٢٦هـ) الإمام الرضا عليه السلام وإليك البيت المذكور:

أربع بطوس على قبر الزكي به　　　إن كنت تربع من دين على فطر

كما ورد ذكر موضع القبر ببيتين لأبي محمد اليزيدي:

ما لطـوس لا قدس الله طوسـا　　　كل يـوم تحـوز علقـا نفيسـا
بـدت بالرشـيد فأقتبضتـه　　　وثنت بالرضا علي بن موسـى[2]

ولا نستطيع أن نعرف على وجه التحديد متى وكيف أُنشيء مشهد على قبر الإمام الرضا عليه السلام. ولكننا مستندين على طائفة من القرائن، نقرر إنه أُنشيء على وجه التقريب في غضون القرن الثالث للهجرة، أي في خلال قرن من وفاة

(١) أيضاً، ص ٣١٩.

(٢) الصدوق، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥١.

الإمامعليه السلام، وإليك بعض تلك القرائن:

أشار الصاحب بن عباد (ت ٣٢٦هـ) في أبيات الى وجود ذلك المشهد منها:

يـا سـايراً زائـراً الى طـوس مشـهد طهـر وارضـاً تقديس

أبلغ سـلامي الرضـا وحط على أكرم رمـس لخير مرمـوس[1]

ويظهر أن المشهد مع الزمن أصبح محاطاً بمنطقة سكنية يقصدها الناس للزيارة. وإليك طائفة من الروايات التي اقتبسناها من الصدوق (ت ٣٨١هـ) وتلك الروايات والحالة هذه تعود الى القرن الرابع الهجري إن لم تكن أقدم من ذلك. ومما حملنا على ذلك التقدير دون التحديد هو عدم عثورنا على سنوات وفاة أصحاب تلك الأخبار. روى أن أبا بكر الحمامي الفرّاء الذي كان من أصحاب الحديث قال (رأيت جماعة من الناس يتوجهون الى مشهد الرضا عليه السلام فخرجت معهم الى المشهد...، . وذات مرة قال رجل مصري اسمه حمزة (إنه خرج من مصر زائراً الى مشهد الرضا عليه السلام بطوس وأنه لما دخل المشهد كان قرب غروب الشمس... فلما صلى العتمة أراد خادم القبر أن يخرجه ويغلق الباب...)[2]. وفي مرة أُخرى جاء زائر آخر (وقال لخدام المشهد: خلوا لي المشهد هذه الليلة وادفعوا إليَّ مفاتحه...)[3].

ويبدو من الروايات آنفة الذكر إن مشهد الرضا بطوس في عصر الصدوق وربما قبله إذا أخذنا أبيات ابن عباد وغيره بنظر الإعتبار، كان بناء قائماً وله أبواب ذات مفاتيح، ويقوم على خدمة المشهد خدام.

(١) الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج١، ص٤.

(٢) أيضاً، ج٢، ص ٢٨٠.

(٣) أيضاً، ج٢، ٢٨٢.

ب- دور مشهد الرضا عليه السلام في العلم والتعليم عند الإمامية :

نود أن نشير قبل الإشارة الى دور مشهد الرضا عليه السلام في درس العلوم وتدريسها عند الإمامية، إن عزلة المنطقة التي وجد فيه المشهد آنف الذكر وبعدها عن المراكز الشيعية الرئيسية أمثال الكوفة وبغداد، بما فيها المشهد الغربي الذي ورد ذكره فيما سبق من الحديث، وقم، ثم وجود ذلك المشهد في منطقة كانت الغالبية العظمى من سكانها حين ذاك من أهل السُّنة[1]، كل هذه العوامل جعلت دور مشهد الرضا وسكانه في العلم والتعليم عند الإمامية، في الفترة التي تناولها بحثنا، قليل الأهمية.

وسنورد هنا ما عثرنا عليه من إشارات تتعلق فيما نحن بصدد البحث فيه.. سبق أن ذكرنا في أعلاه أن أبا بكر الحمامي الذي زار المشهد مع جماعة من الناس كان من أصحاب الحديث. ومن المحتمل إنه كان بين اولئك الزوار، فضلاً عن الحمامي، من المشتغلين بدرس العلوم وتدريسها. كما إن الشيخ الصدوق الفقيه الامامي المعروف والذي وصفه النجاشي بأنه وجه الطائفة[2] زاول شيئاً من نشاطه الفكري في مشهد الرضا عليه السلام، فروى إنه زار مشهد الرضا عليه السلام في رجب من سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة[3]. ثم إن الصدوق نفسه ألقى المجلس السابع والتسعين من أماليه التي ناقشناها بصلب الرسالة في مشهد الرضا، وكان ذلك في سنة ثمان وستين وثلثمائة[4].

(١) راجع كتابنا الموسوم بـ (تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة) المطبوع ببغداد سنة ١٩٧٠، عن انتشار المذاهب السنية في إيران بين القرنين الاول والرابع للهجرة، الصفحة ٦٤ وما بعدها.

(٢) الرجال، ص ٣٠٣.

(٣) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص ٢٧٩.

(٤) الأمالي، طهران، ١٣٨٠ ص ٦٧٤.

ومن الجدير بالذكر إن إلقاء الصدوق أحد أماليه في المشهد يمكن أن يؤخذ قرينة على وجود عدد من طلبة العلم من ساكني المشهد أو من الوافدين عليه، كانوا من بين من استمعو الى درس الشيخ حين ألقاه، ولا شك إن جماعة العلماء من سكنة المشهد التي تلقت دروساً من أمثال الشيخ الصدوق، تكون تواقة وصالحة لتلقي دروس من شيوخ آخرين مثله أو دونه ولكن التاريخ لم يسعفنا بمعرفة اولئك الطلبة وشيوخهم.

دور منطقة قم في العلم والتعليم عند الإمامية :

بينّا في صلب الرسالة إن قم مدينة مستحدثة، استحدثها العرب بعد أن فتحوا إيران وامتازت قم من بين المدن الإيرانية الاخرى في أنها كانت أهم مركز للشيعة في إيران خلال الفترة التي نحن بصدد البحث عنها، ومن العوامل التي ساعدت على تمكن الشيعة بقم، فضلاً عن انتشار العلوم الإسلامية التي نقلها الأئمة المعصومون عن النبي ﷺ لشيعتهم في تلك المدينة نشوء مشهد فاطمة بنت موسى الكاظم عليه السلام فيها.

أ- نشوء مشهد فاطمة بقم :

توفيت السيدة فاطمة بأرض قم من بلاد إيران، وكان ذلك في سنة (٢٠١هـ) عندما كانت في طريقها الى زيارة أخيها الرضا عليه السلام بخراسان[١]. وورد ما يشير الى وجود قبر السيدة فاطمة بمدينة قم بحديث روي عن ابن أخيها الإمام الجواد عليه السلام قال فيه (من زار قبر عمتي بقم..)[٢] ويظهر أن قبة أقيمت على القبر آنف الذكر بعد قليل من موت صاحبته، إذ روي إن السيدة زينب بنت الجواد عليه السلام بَنَتْ أول قبة على قبرعمتها[٣]. ويترتب على ذلك أنَّ مشهداً للسيدة فاطمة كان قد وجد في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، ويظهر أن إضافات وتوسيعات أجريت على المشهد المذكور فيما بعد، وذلك عندما قام زيد بن أحمد بن بحر الاصفهاني عامل بلدة قم بتوسيع المشهد وإضافة أبنية إليه سنة (٣٥٠هـ)[٤].

ب : دور مدينة قم في العلم والتعليم عند الإمامية :

زخرت مدينة قم، بحكم كونها من المراكز الرئيسة للإمامية في الفترة التي بحثناها بطائفة كبيرة من العلماء، والمعلمين الكفاة، وطلبة العلم، الذين أسهموا بقسط كبير في التأليف والتدريس لمختلف صنوف العلوم الإسلامية التي تلقاها الشيعة الإمامية عن أئمتهم، ويعود بروز القميين في هذا المضمار الى مايأتي :-

(١) القمي، الحسن بن محمد، تاريخ قم بالفارسية (طهران، ١٣٥٣) ص ٢١٣.

(٢) ابن قولويه، المصدر السابق، ص ٣٢٤.

(٣) القمي، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٤) أيضاً، ص ٢١٤.

أولاً - بُعد المدينة وعزلتها عن رقابة السلطان وعلماء أهل السُّنة.

ثانياً: كثرة العرب فيها.

كان العرب، كما فصلنا في كتابنا الموسم بـ (تأريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة)[١]، في القرون الإسلامية الأربعة الاولى يؤلفون الغالبية من الشيعة، لذا كانت كثرتهم في قم مدعاة لقيام دراسات شيعية موسعة في المدينة المذكورة، وإليك أمثلة على النشاط الفكري الشيعي للعلماء القميين:

١- محمد بن أحمد بن داود بن علي (شيخ هذه الطائفة وعالمها وشيخ القميين في وقته وفقيههم. حكى أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله إنه لم يَر أحداً أحفظ ولا أفقه منه ولا أعرف بالحديث... ورد بغداد وأقام بها وحدث...)[٢].

٢- محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد أبو جعفر (شيخ القميين وفقيههم، ومتقدمهم ووجههم... ثقة عين مسكون إليه، له كتب منها تفسير القرآن وكتاب الجامع... مات أبو جعفر محمد بن الحسن... سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة)[٣].

٣- موسى بن الحسن بن عامر بن عمران بن سعد الأشعري القمي (ثقة عين جليل صنف ثلاثين كتاباً... أخبرنا ابن شاذان قال: حدثنا علي بن حاتم قال حدثنا الحميري عن موسى بن الحسن بكتبه)[٤].

---

(١) أنظر الصفحات: ٥٨، ٥٩، ٦٤، ٦٠،٦١، ٦٥،٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١ من كتابنا آنف الذكر، المطبوع ببغداد سنة ١٩٧٠م.

(٢) النجاشي، الرجال، ص ٢٩٨ - ٩.

(٣) أيضاً، ص ٢٩٧.

(٤) أيضاً، ص ٣١٩.

٤- وهب بن محمد البزاز القمي (ثقة عين له كتاب... أخبرنا... عنه)[١].

٥- زكريا بن إدريس الأشعري القمي (قيل إنه روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن الرضا عليه السلام له كتاب..)[٢].

٦- سعد بن عبد الله الأشعري القمي (شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها... سافر في طلب الحديث... وصنف سعد كتباً كثيرة... توفي سعد (ر) سنة إحدى وثلاثمائة وقيل سنة تسع وتسعين ومائتين..)[٣].

٧- سعد بن سعد الأحوص الأشعري القمي (ثقة، روى عن الرضا وأبي جعفر عليه السلام...)[٤].

٨- سهل بن زاذويه أبو محمد القمي (ثقة جيد الحديث، نقي الرواية، معتمد عليه...)[٥].

٩- عبد الله بن الصلت القمي (ثقة، مسكون الى روايته، روى عن الرضا عليه السلام...)[٦].

١٠- عبد الله بن جعفر القمي (شيخ القميين ووجهم، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين، وسمع أهلها منه فأكثروا، وصنف كتباً كثيرة...)[٧].

١١- عبد العزيز بن المهتدي الاشعري القمي (ثقة، روى عن الرضا عليه السلام له

---

(١) أيضاً، ص ٣٣٦.

(٢) النجاشي، الرجال، ص ١٣١.

(٣) أيضاً، ص ١٣٥.

(٤) أيضاً، ص ١٣٥.

(٥) أيضاً، ص ١٤١.

(٦) أيضاً، ص ١٦٠.

(٧) أيضاً، ص١٦٢.

كتاب...)[١].

١٢- علي بن عبد الله العطار القمي (ثقة من أصحابنا له كتاب الإستطاعة...)[٢].

١٣- علي بن إبراهيم القمي (ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع فأكثر وصنف كتباً...)[٣].

١٤- علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (شيخ القميين في عصره، ومتقدمهم، وفقيههم وثقتهم، كان قدم العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح (ر) وسأله مسائل ثم كاتبه بعد ذلك...)[٤].

١٥- العباس بن معروف (قمي ثقة له كتاب الآداب...)[٥].

ونفيد مما سبق أن قم كانت من المراكز الرئيسة للفكر الإسلامي الإمامي في الفترة التي تناولها بحثنا، وذلك إن جميع تراجم العلماء آنفة الذكر منقولة عن النجاشي المتوفى سنة (٤٥٠هـ) أي قبل نهاية الفترة التي نحن بصدد البحث عنها وهي الفترة التي تنتهي سنة (٤٦٠هـ) بوفاة الطوسي شيخ الطائفة.

(١) أيضاً، ص ١٨٤.

(٢) أيضاً، ص ١٩٢.

(٣) أيضاً، ص ١٩٧.

(٤) أيضاً، ص ١٩٨.

(٥) أيضاً، ص ٢١٥-٦.

الملحق الثاني
الأئمة المعصومون ونُبذٌ عن أحوالهم

توطئة:

لم يكن غرضنا من إضافة هذا الملحق للرسالة تزويد القارئ بمعلومات مفصلة عن تاريخ الأئمة، لأن ذلك موضعه غير هذه الرسالة. والرسالة، كما اتضح لمن قرأ أصلها لم تكن معنية بتاريخ الإمامة. وهي، كما يظهر من عنوانها ومحتوياتها، معنية بالدرجة الاولى بتاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة خلال الفترة التي نحن بصدد البحث فيها.

ونتيجة لذلك سنقتصر في الملحق التالي على إيراد معلومات مقتضبة عن الأئمة وعن مصدر علمهم الذي عرضت ضروب منه في صلب الرسالة. ونرجو أن يكون في تلك المعلومات ما يساعد القارئ على إزالة اللبس الذي قد يرد في طياتها، نتيجة لإستعمال كنى الأئمة عليهم السلام وألقابهم مثلاً، دون أن تكون تلك الكنى والألقاب مقرونة بأسمائهم، ويعود ذلك الى أن المصادر اوردت غالبية الاخبار الواردة عن الأئمة، كما يظهر في صلب الرسالة، مقرونة بكنى اولئك الأئمة وألقابهم، يضاف الى ذلك إن غالبية الأحاديث الواردة في الرسالة كان سندها في المصادر نفسها ينتهي في الأئمة دون النبي صلى الله عليه وآله، ورغبة في توضيح تلك الظاهرة، فضلاً عن إزالة ما يحتمل أن يكتنفها من غموض، نقول إن نهاية سند الأحاديث في الأئمة لا يعني أنهم كانوا يتلقون الوحي، وكل ما في الأمر إن الأئمة عليهم السلام نقلوا الأحاديث التي ينتهي سندها بهم، عن النبي صلى الله عليه وآله مباشرة. والنبي صلى الله عليه وآله، كما يعتقد الشيعة، معصوم، فروى عنه علي عليه السلام، وهو إمام معصوم، أيضاً، الغالبية

العظمى[١] من العلوم الاسلامية، ونقل علي عليه السلام بدوره تلك العلوم الى الإمام المعصوم الذي خلفه من ذريته من فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله، وهكذا نقل الأئمة الإثني عشر المعصومون أحاديث النبي صلى الله عليه وآله الإمام المتقدم منهم ينقلها الى الإمام الذي يخلفه، وسنعود للكلام عن قضية انقطاع الوحي بعد النبي صلى الله عليه وآله بعد قليل.

يعتقد الإمامية وأسلافهم من الشيعة بإمامة إثني عشر إماماً، أحدهم أمير المؤمنين علي عليه السلام والأحد عشر الآخرون من ذريته من زوجته فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله. وكان جميع اولئك الأئمة حسب اعتقاد الشيعة الإمامية وأسلافهم من قبل، منصوص عليهم من الله عن النبي صلى الله عليه وآله، واستدلوا على ذلك بأدلة وردت في مظانها[٢]. والنص عند الشيعة أسلاف الإمامية كما عند خلفائهم الإمامية نوعان: أحدهما جلي والآخر خفي، ووضح قضية النص، الذي هو أسُّ التشيع وجوهره، عدد من الشيعة أمثال الشيخ المفيد، والشريف المرتضى والشيخ الطوسي المعروف بشيخ الطائفة. وتناول الطوسي فكرة النص بالبحث والتفصيل بكتابه الموسوم بـ (تلخيص الشافي) آنف الذكر، ونتيجة لإعتقاد الإمامية وأسلافهم من الشيعة بالنص سموا بأصحاب النص والتعيين، وقد أتينا على شرح عقائدهم الأساسية

---

(١) ان الإمامية وأسلافهم من الشيعة، رغم تأكيدهم على ضرورة الرواية عن المعصوم كانوا يروون عمن يثقون بروايته من الصحابة، فالشيخ المفيد (الاختصاص ص١٥) روى حديثاً رفعه الى عمرو بن حمق الخزاعي، وروى الصدوق (من لا يحضره الفقيه، ج١، ص١٥١) حديثاً رفعه الى جابر بن عبدالله الانصاري، وروى الكليني (الكافي، ج١، ص٦٢) حديثاً رفعه الى سليم بن قيس الهلالي.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تلخيص الشافي (النجف، ١٩٦٣)، الحلي، الحسن بن يوسف، الالفين في إمامة امير المؤمنين عليه السلام النجف، ١٣٧٢هـ.

بصورة تفصيلية بكتابنا الموسوم بـ (تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة)[١].

والأئمة الاثنا عشر المعصومون مرجع الإمامية وأسلافهم في الأحكام الشرعية الإسلامية التي تلقاها اولئك الأئمة عن النبي ﷺ ونقلوها بدورهم الى الشيعة، لذا كان دور الأئمة عليهم السلام كما أسلفنا، مقتصراً على نقل تلك الأحكام عن النبي ﷺ.

قال الطوسي (إن الإمام لا يكون عالماً بشيء من الأحكام إلا من جهة الرسول وأخذ ذلك من جهته)[٢]. وقد بيّنا قبل قليل إن اولئك الأئمة عليهم السلام لا يوحى إليهم لأن الوحي منقطع بإجماع الامة الإسلامية بما فيهم الشيعة، بعد وفاة النبي محمد ﷺ. وأشار الى ذلك سعد بن عبدالله الأشعري (ت ٣٠١هـ) في معرض كلامه عن حصر الوحي في النبي ﷺ حين قال (لأن الوحي من جميع جهاته وفنونه منقطع بعد النبي ﷺ بإجماع الأمة)[٣].

والأئمة الإثنا عشر المعصومون، كما يعتقد الإمامية وأسلافهم من الشيعة، منصوص عليهم بالإمامة، نص عليهم النبي ﷺ جميعاً بأسمائهم، ثم نص المتقدم منهم على من بعده على النحو التالي :

١- أبو الحسن علي بن أبي طالب (المرتضى) المتولد سنة ٢٣قبل الهجرة والمقتول سنة (٤٠هـ) بعدها. ولد بمكة المكرمة وقتل في الكوفة. ومرقده في النجف الأشرف بالعراق. وأمه السيدة فاطمة بنت أسد.

(١) طبع الكتاب المذكور ببغداد سنة ١٩٧٠.

(٢) تلخيص الشافي، ج١، ص ٢٥٣.

(٣) المقالات والفرق، (طهران، ١٩٦٣) ص ٩٧.

٢- أبو محمد الحسن بن علي (الزكي)، ولد في المدينة المنورة سنة (٢هـ) وتوفي سنة (٥٠هـ). وقبره في البقيع بالمدينة المنورة. وأُمه السيدة فاطمة بنت النبيﷺ.

٣- أبو عبد الله الحسين بن علي (سيد الشهداء)، ولد في المدينة المنورة سنة (٣هـ) استشهد بكربلاء سنة (٦١هـ). ومرقده بكربلاء بالعراق وأُمه السيدة فاطمةعليها السلام.

٤- أبو محمد علي بن الحسين (زين العابدين)، ولد في المدينة المنورة سنة (٣٨هـ). توفي فيها سنة (٩٥هـ). قبره في المدينة المنورة في الحجاز وأُمه السيدة شهربانويه[1].

٥- أبو جعفر محمد بن علي (الباقر)، ولد سنة (٥٧هـ) في المدينة المنورة وتوفي فيها سنة (١١٤-١١٩هـ)، وقبره في المدينة المنورة. وأمه السيدة فاطمة بنت الحسن.

٦- أبو عبد الله جعفر بن محمد (الصادق)، ولد سنة (٨٣هـ) في المدينة المنورة وتوفي فيها سنة (١٤٨هـ)، وقبره في المدينة المنورة، وأُمه السيدة أُم فروة.

٧- أبو إبراهيم موسى بن جعفر (الكاظم)، ولد سنة (١٢٨هـ) في قرية (الأبواء) في الحجاز بين مكة والمدينة، وتوفي سنة (١٨٣هـ) في سجن الرشيد في بغداد، ومرقده في الكاظمية جوار بغداد، على بعد (٨) أميال من عاصمة العراق، وأُمه السيدة حميدة.

٨- أبو الحسن علي بن موسى (الرضا)، ولد سنة (١٤٨هـ) في المدينة المنورة، توفي سنة (٢٠٣هـ) بطوس في خراسان، ومرقده في مشهد في خراسان من بلاد إيران،

---

(١) السيدة شهربانويه او شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى. وكانت لشهربانويه اخت نحلها الإمام عليعليه السلام لمحمد بن ابي بكر فولدت له القاسم. فعلي بن الحسين والقاسم بن محمد بن ابي بكر ابنا خالة (المفيد الارشاد، ص ٢٣٧).

وأُمه السيدة ام البنين.

٩- أبو جعفر محمد بن علي (الجواد)، ولد في المدينة المنورة سنة (١٩٥هـ) وتوفي ببغداد سنة (٢٢٠هـ، ومرقده بالكاظمية جوار بغداد، وأُمه السيدة سبيكة.

١٠- أبو الحسن علي بن محمد (الهادي)، ولد في المدينة المنورة سنة (٢١٢هـ) وتوفي بسامراء سنة (٢٥٤هـ)، ومرقد بسامراء في العراق، وأُمه السيدة سمانة.

١١- أبو محمد الحسن بن علي (العسكري)، ولد في المدينة المنورة سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) وتوفي في سامراء سنة (٢٦٠هـ)، ومرقده في سامرء في العراق، وأُمه السيدة حديثة.

١٢- أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي)، ولد بسامراء سنة (٢٥٦هـ) وأُمه السيدة نرجس، وهو الحجة في العصر الحاضر أي الإمام المنتظر، وعند خروجه كما يعتقد الإمامية، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت جوراً.

ومن الجدير بالذكر أننا اعتمدنا فيما قدمناه من معلومات عن الأئمة في هذا الملحق على كتاب المفيد الموسوم بـ (الارشاد)[١]، وسيجد القارئ تفصيلات وافية عن حياة الأئمة المعصومين في الكتاب المذكور، وفي كتاب (مناقب آل أبي طالب)[٢] لابن شهرآشوب وكذلك في كتاب بحار الأنوار[٣] للمجلسي.

---

(١) طبع الكتاب المذكور في طهران سنة ١٣٧٧هـ.

(٢) طبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف سنة ١٩٥٦م.

(٣) طبع الكتاب المذكور في طهران ١٣١٣هـ.



فهارس الكتاب



أولاً : فهرس الآيات القرآنية

(أ)

(ك)

(و)

(هـ)

- هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الامُورُ (البقرة، ٢/ ٢١٠)٣٢.

ثانياً: فهرس الفرق والجماعات

(أ)

(ج)

(ح)

(خ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(و)

ثالثاً : فهرس الأمكنة والبقاع

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ص)

(ط)

(ع)

(ك)

(م)

(هـ)

(ي)

رابعاً: فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٧، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨١، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١١، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥.

- جمال الدين القاسمي

٢٣٧.

- الجنيد (صوفي)

١٢١، ٢٢٨.

- الجورجاني، ابو القاسم الآبندوني...

٧٨.

- الجوزجاني، ابو عبيد...

١٧٦.

- الجوهري (لغوي)

٨٥.

(ح)

(خ)

(د)

(س)

(ض)

(ط)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(ي)

المصادر

أ- المخطوطات:

١. مؤلف مجهول (من علماء القرن العاشر الهجري)

- رسالة في معرفة مشايخ الشيعة. مخطوط ذو رقم (٧٥٩)
- الانساب والتاريخ، مكتبة كاشف الغطاء. النجف.

٢. مؤلف مجهول (من علماء القرن الحادي عشر الهجري)

آداب المتعلمين. مخطوط. خزانة الشيخ محمد علي النجفي آبادي في النجف الاشرف.

٣. الافندي، عبدالله. ت ١١٣٠هـ.

- رياض العلماء وحياض الفضلاء. مخطوط. خزانة كتب الشيخ اغا بزرك الطهراني في النجف.

ب- المطبوعات

١. ابو مخنف (المنسوب) لوط بن يحيى. ت : ١٥٧هـ.

- في مقتل الإمام أبي عبد الله الحسين (النجف، ١٩٥٦م).

٢. المنقري، نصر بن مزاحم. ت: ٢١٢هـ.

- واقعة صفين (القاهرة، ١٣٦٥هـ).

٣. ابن هشام، عبد الملك. ت:٢١٨هـ.

- السيرة. ٤ اجزاء(القاهرة، ١٩٤٨م).

٤. الجاحظ، عمرو بن بحر. ت:٢٥٥هـ.

- البيان والتبيين. ٤ أجزاء(القاهرة، ١٩٤٨م)، وطبعة اخرى (القاهرة، ١٩٣٢م).

- الرسائل، بإعتناء السندوبي (القاهرة، ١٩٣٣م).

- الحيوان، ج١ (القاهرة، ١٩٣٨م)

٥. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم. ت: ٢٧١هـ.

- عيون الاخبار. ج٢ (القاهرة، لا. ت).

٦. البلاذري، احمد بن يحي. ت: ٢٧٩هـ.

- فتوح البلدان (القاهرة، ١٩٠١م).

٧. النعماني، محمد بن إبراهيم (من علماء القرن الثالث).

- الغيبة (طهران، ١٣٨٢هـ).

٨. اليعقوبي، احمد بن واضح. ت: ٢٨٤هـ.

- التاريخ ٣٠ اجزاء (النجف، ١٣٥٨هـ).

- ـــــ البلدان (النجف، ١٩٥٧م).

٩. المبرد، محمد بن يزيد.ت: ٢٨٥هـ.

- الكامل. جزءآن (القاهرة، ١٣٠٨هـ).

١٠ . النوبختي، الحسن بن موسى. ت. ح: ٣٠٠هـ.
فرق الشيعة (استنبول، ١٩٣٧هـ).

١١ . الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
- تاريخ الرسل والملوك ٨٠ اجزاء (القاهرة، ١٩٣٨م).
- ـــــ التفسير. ج١ (القاهرة، ١٣٧٤هـ).

١٢ . الكليني، محمد بن يعقوب. ت: ٣٢٨/ ٢٩هـ.
- الكافي، ٨ اجزاء (طهران، ١٣٧٧هـ)
- وطبعة اخرى ، حجر (تبريز، ١٣١٢هـ).

١٣ . الكشي، محمد بن عمر. ت. ح: ٣٤٠هـ.
- الرجال (بمباي، ١٣١٧هـ).
- وطبعة اخرى (كربلاء، ١٣٨٣هـ).

١٤ . المسعودي، علي بن الحسين. ت: ٣٣٦هـ.
- التنبيه والاشراف (ليدن، ١٨٩٣م).
- ـــــ مروج الذهب. ٤ اجزاء (القاهرة، ١٩٥٨م).
- وطبعة اخرى (القاهرة، ١٣٥٧هـ).
- ـــــ الوصية. (النجف، لا. ت).

١٥ . الاصفهاني، ابو الفرج. ت: ٣٥٦هـ.
- الاغاني. ٢١ جزءاً (بيروت، ١٩٥٦م).

- مقاتل الطالبيين. ٣ اجزاء (بيروت، ١٩٦١م).
- وطبعة اخرى (القاهرة، ١٩٤٩م).

١٦. القمي، حسن بن محمد. ت: ٣٧٨هـ.
- تاريخ قم، بالفارسية، (طهران، ١٣٥٣هـ).

١٧. القمي، محمد بن علي. ت: ٣٨١هـ.
- الامالي (رقم، ١٣٧٣هـ).
- وطبعة اخرى (طهران، ١٣٨٠هـ).
- الخصال (طهران، ١٣٢٠هـ).
- كتاب من لا يحضره الفقيه. ٣ اجزاء (النجف، ١٣٧٨هـ).
- علل الشرائع. (النجف، ١٩٦٣م).
- عيون اخبار الرضا. جزءآن (طهران، ١٣١٨هـ).
- وطبعة اخرى (قم، ١٣٧٧هـ).
- معاني الاخبار (طهران، ١٣٧٦هـ).

١٨. التنوخي، المحسن بن علي. ت: ٣٨٤هـ.
- جامع التواريخ. ج٨ (دمشق، ١٩٣٠م).
- الفرج بعد الشدة (القاهرة، ١٩٥٥م).

١٩. الهمذاني، بديع الزمان. ت: ٣٩٨هـ.
- الرسائل (القسطنطينية، ١٢٩٨هـ).

٢٠. العكبري، الشيخ المفيد. ت: ٤١٣هـ.

- الاختصاص (طهران، ١٣٧٩هـ).
- الارشاد (اصفهان، ١٣١٢هـ).
- وطبعة اخرى (اصفهان، ١٣٦٤هـ).

٢١. الامالي (النجف، ١٣٥١هـ).
- الفصول. جزءآن (ايران، لا. ت).
- وطبعة اخرى (النجف، لا. ت).

٢٢. مسكويه، احمد بن محمد. ت: ٤٢١هـ.
- تجارب الامم. ج٦ (القاهرة، ١٩١٤م).

٢٣. ابن سينا، الحسين بن علي. ت: ٤٢٨هـ.
- القانون. ج١ (القاهرة، لا. ت).

٢٤. الثعالبي، عبد الملك. ت: ٤٢٩هـ.
- يتيمة الدهر. ٤ اجزاء (دمشق، ١٢٨٥هـ).

٢٥. المرتضى، الشريف. ت: ٤٣٦هـ.
- الامالي. جزءآن (القاهرة، ١٩٥٤م)
- تنزيه الأنبياء (النجف، ١٩٦٠م)
- مجموعة في فنون علم الكلام تحقيق محمد حسن آل ياسين (بغداد، ١٩٥٥م).

٢٦. ابن النديم، محمد بن اسحاق. ت:٤٣٨هـ.
- الفهرست. تح. فلوغل (ليبزغ،١٨٧١م)

- وطبعة اخرى (القاهرة، ١٣٤٨)

٢٧. الصابي، هلال بن المحسن. ت : ٤٤٨هـ

- رسوم دار الخلافة (بغداد، ١٩٦٤م)

٢٨. النجاشي، احمد بن علي. ت: ٤٥٠ه.

- الرجال (طهران، لا.ت).

٢٩. الماوردي، علي بن محمد. ت: ٤٥٠هـ

٣٠. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ

- الاسبصار، ٣ اجزاء (لكنهو، ١٣٠٧هـ)
- وطبعة اخرى (النجف، ١٣٧٥هـ)
- الامالي (ايران ـ حجر ـ ١٣١٣هـ)
- وطبعةاخرى (النجف، ١٩٦٤م)
- تهذيب الاحكام. عشرة اجزاء (النجف، ١٩٥٩م)
- الخلاف (ايران، لا. ت)
- الرجال (النجف، ١٩٦١م)
- الفهرست (النجف، ١٩٣٧م)

٣١.الخطيب البغدادي، احمد بن علي. ت: ٤٦٣هـ

- تقييد العلم (دمشق، ١٩٤٩م) ل.
- الكفاية في علم الرواية (حيدر اباد الدكن، ١٣٥٧هـ).
- الغزالي، محمد بن محمد. ت: ٥٠٥هـ.

- احياء علوم الدين. ج١ (القاهرة، ١٩٣٩م).
- المنقذ من الضلال (القاهرة، ١٩٥٢م).

٣٢. الحريري، القاسم بن علي. ت:٥١٦هـ.
- المقامات (القاهرة، ١٣٢٦هـ).

٣٣. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، ت: ٥٤٨هـ.
- الملل والنحل (القاهرة، ١٩٤٧م).

٣٤. الطبرسي، الحسن رضا الدين. ت: ٥٤٨هـ.
- مكارم الاخلاق (القاهرة، ١٣١هـ).

٣٥. الطبرسي، احمد بن علي. (من مشايخ ابن شهر اشوب المتوفي ٥٨٨هـ).
الاحتجاج على اهل اللجاج (النجف، ١٣٥٠ هـ).

٣٦. القزويني، عبد الجليل. ت. ح : ٥٦٠ هـ.
- النقط ، بالفارسية ، (ايران، ١٣٧١ هـ).

٣٧. السمعاني، عبد الكريم. ت : ٥٦٢ هـ.
- ادب الاملاء والاستملاء (ليدن، ١٩٥٦ م).

٣٨. ابن شهر اشوب، محمد بن علي. ت : ٥٨٨ هـ.
- مناقب آل ابي طالب، ٣ اجزاء (النجف، ١٩٥٦ م).
- معالم العلماء (النجف، ١٩٦١ م).

٣٩. ابن الجوزي، عبد الرحمن. ت : ٥٩٧.

- المنتظم. ج ٦، ج ٧، ج ٨ (حيدر آباد الدكن، ١٣٥٧ هـ).

- مناقب الإمام احمد بن حنبل (القاهرة، ١٣٤٩ هـ).

٤٠. الزرنوجي. (من علماء القرن السادس).

- تعليم المتعلم (القاهرة، لا. ت).

٤١. الحموي. ياقوت. ت : ٦٢٦ هـ.

- معجم الادباء، الاجزاء ٣، ٦، ٥، ٧، ١٣ (القاهرة، ١٩٢٣ م).

- معجم البلدان. ج ٤ (بيروت، ١٩٥٥ م).

٤٢. ابن الاثير، علي ابن ابي الكرم. ت : ٦٣٠ هـ.

- الكامل. الاجزاء ١٠، ١١، ١٢ (القاهرة، ١٢٩٠ هـ).

٤٣. ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن. ت : ٦٤٣ هـ.

- المقدمة (حلب، ١٩٣١ م).

٤٤. ابن طاووس، موسى بن جعفر. ت: ٦٤٤ هـ.

- كشف المحجة لثمرة المهجة (النجف، ١٩٥٠ م).

٤٥. ابن الجوزي، سبط. ت : ٦٥٤ هـ.

- تذكرة خواص الامة في معرفة الأئمة (ايران، ١٢٨٧ هـ).

٤٦. ابن أبي الحديد، عبد الحميد. ت: ٦٥٤ هـ.

- شرح نهج البلاغة. ج٢ (حجر، ١٣٠٢ هـ).

٤٧. ابن طاووس، علي بن موسى. ت: ٦٤٤ هـ.

- فرج الهموم (النجف، ١٣٦٨ هـ).

٤٨. ابن خلكان، احمد. ت: ٦٨١ هـ.

- وفيات الاعيان. ج١ و ج٣ (القاهرة، ١٩٤٠).

٤٩. ابن داود الحسين بن علي الحلي (من علماء القرن السابع الهجري)

- الرجال (طهران، ١٣٤٢ هـ).

٥٠. القزويني، زكريا بن محمد. ت: ٦٨٣ هـ.

- آثار البلاد واخبار العباد (بيروت، ١٩٦٠).

٥١. ابن طاووس، عبد الكريم. ت: ٦٩٣ هـ.

- فرحة الغرى (النجف، ١٣٥٨ هـ).

٥٢. الحلي، عبد الحسن يوسف. ت: ٧٢٦ هـ.

- الرجال (طهران، ١٣١١ هـ).
- وطبعة اخرى (النجف، ١٩٦١ م).

٥٣. الديلمي، محمد (من علماء القرن الثامن الهجري).

- ارشاد القلوب جزءان (بيروت، ١٣٨١ هـ).
- وطبعة اخرى (النجف، ١٣٤٢ هـ).

٥٤. ابن قيم الجوزية، محمد بن ابي بكر. ت: ٧٥١ هـ.

- مفتاح دار السعادة. ج١ (القاهرة، ١٣٢٣ هـ).

٥٥. اليافعي، عبد الله. ت: ٧٦٨ هـ.
- مرآة الجنان، ٣ اجزاء (حيدر اباد الدكن، ١٣٣٨ هـ).

٥٦. السبكي، عبد الوهاب. ت : ٧٧١ هـ.
- طبقات الشافعية، ٤ اجزاء (القاهرة، لا ٠ ت).

٥٧. ابن خلدون، عبد الرحمن. ت : ٨٠٨ هـ.
- المقدمة (القاهرة، ١٩٣٠ م).

٥٨. ابن جماعة، محمد بن ابراهيم. ت : ٨١٩ هـ.
- التذكرة (حيدر اباد الدكن، ١٣٥٣ هـ).

٥٩. العسقلاني، ابن حجر. ت: ٨٥٢ هـ.
- نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثر (كلكتا، ١٨٦٢).
- فتح الباري.ج١ (القاهرة، ١٩٥٩ م).

٦٠. الشهيد الثاني، زين العابدين العاملي. ت: ٩٦٥ هـ.
- منية المريد في اداب المفيد والمستفيد (ايران، ١٣١٤ هـ).
- وطبعة اخرى (النجف، ١٩٦٢ م).

٦١. البهائي، محمد بن الحسين. ت: ١٠٣١ هـ.
- الكشكول. جزآن (القاهرة، ١٣٠٢ هـ).
- الفصول (النجف، ١٣٧٨ هـ).
- المخلاة (القاهرة، ١٣١٧ هـ).

- الوجيز- ضمن كتاب الرجال للحلي (ايران، ١٣١١ هـ).

٦٢. الكاشاني، محسن الفيض. ت: ١٠٩١ هـ.

- المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء. ج١ (طهران، ١٣٣٩ هـ).

- النوادر (طهران، لا • ت).

٦٣. المجلسي، محمد باقر. ت: ١١١٠ هـ.

- بحار الانوار. ٢٦ مجلداً (طهران، ١٣١٥ هـ).

٦٤. البحراني، يوسف. ت: ١١٨٦ هـ.

- الكشكول. ٣ اجزاء (النجف، ١٩٦١ م).

ج - المراجع الثانوية.

اولاً : المراجع العربية و المترجمة.

١. الخونساري. محمد باقر.

- روضات الجنان في احوال العلماء والسادات، ٤ اجزاء(طهران، ١٣٦٧ هـ). وطبعة اخرى (اصفهان، ١٣٨٢ هـ).

٢. الشلبي، احمد.

- تاريخ التربية الإسلامية (بيروت، ١٩٥٤ م).

٣. الصدر، حسن.

- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام (بغداد، ١٩٥١ م).

٤. الطهراني، اغا بزرك.

- الذريعة الى تصانيف الشيعة. ج١ و ج١٠ (النجف، ١٩٣٦).
- مصفى المقال في مصنفي علم الرجال (طهران، ١٩٥٩ م).

٥. عواد، كوركيس.

- خزائن الكتب القديمة في العراق (بغداد، ١٩٤٨ م).

٦. عنيمة، محمد عبد الرحيم.

- تاريخ الجامعات الإسلامية (تطوان، ١٩٥٣ م).

٧. فلهاوزن، يوليوس.

- الخوارج والشيعة ـ ترجمة عبد الرحمن بدوي (القاهرة، ١٩٥٨ م).

٨. القاسمي، جمال الدين.

- قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث (دمشق، ١٩٢٥ م).

٩. القمي، عباس.

- الانوار الإلهية (مشهد، لا ٠ ت).
- الكنى والالقاب، ٣ اجزاء (النجف، ١٩٥٦ م).

١٠. كاشف الغطاء، محمد حسين.

- اصل الشيعة واصولها. (بيروت، لا ٠ ت).
- عين العرفان (صيدا، ١٣٣٠ هـ).

١١. كولدزيهر، اجناس.

- العقيدة والتشريع في الاسلام ـ ترجمة محمد يوسف وعبد العزيز عبد الحق(القاهرة، ١٩٤٦ م).

١٢. المظفر، محمد رضا.

- عقائد الشيعة (النجف، ١٩٥٤ م).

١٣. ميستر، آدم.

- الحضارة الإسلامية في لقرن الرابع الهجري ـ ترجمة عبد الهادي ابو ريده ، جزءآن (القاهرة، ١٩٤٠).

ثانيا ـ المراجع الاجنبية

A - Books:

- Donaldson D.M، The Shi'te Religion London، 1933.
- Grunebaum، G.E، Von، Medivial Islam، Chicago، 1956.
- Guillaume، A.، Islam Edinburgh ' 1954.
- Mez، A.، The Renaissance of Islam London، 1937.
- Tritton، A.S.، Materials on Muslim Education in the Middle
- Ages، London، 1957.
- Vloten، G.V.، Recherches sur Ia Domination arabe، Ie
- Chiitisme et Ies Croyances Messianiques Sous Ie
- Khealifta des Omayades، Amsterdam، 1894.
- Watt، W.M.، Islam snd the Integration of Society، London، 1961.

B - Encyclopaedias :

- Goldziher.1.، " Education "، E.R.E.، V.
- Pederson، J.، " Masjid "، Encyclopaedia of Islam، 111.

C - Periodicals:

- Khuda Bukhsh، "The Educational System of the Muslim
- In the Middla Ages "، Islamic Culture، 1، 1927.
- Mu'id Khan، M.A.، " The Muslim Theories of Education
- During the Middle Ages، " Islamic Culture، 18، 1944.
- Tawifiq، M.A.، " A Sketch of the Idea of Education in Islam"، Islamic Culture، 17، 1943.
- Tibawi، A.L.، " Muslim Education in the Golden of the Caliphate "، Islamic Culture.28، 1943.
- Tibawi، A.L.، "Philosophy of Muslim Education "، Islamic Quarterly، 4، 1957.
- Tritton، A.S.، " Muslim Education in the Middle Ages "، Muslim World، 43، 1953.

للمؤلف

١. تاريخ البرامكة (نفد).

٢. تاريخ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ (نفد).

٣. تاريخ العرب ألّفه بالاشتراك مع احد الزملاء.

٤. الجغرافية المتوسطة ألّفه بالاشتراك مع اللجنة.

٥. مرشد طالب البكالوريا الى الجغرافية المتوسطة ألّفه بالاشتراك مع أحد الزملاء.

٦. مشاهداتي في تركيا.

٧. مشاهداتي في إيران.

٨. تاريخ العرب ألّفه بالاشتراك مع لجنة..

٩. الإجازات العلمية عند المسلمين.

١٠. مشكلة الاراضي في في لواء المنتفك (ذي قار).

١١. محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية.

١٢. تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري.

١٣. الحركة الفدائية في الاسلام قديماً وحديثاً.

١٤. تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي.

١٥. مشاهداتي في المانيا الديمقراطية.

١٦. من كتب المؤلف المعدة للطبع

١٧. تدوين التاريخ عند المسلمين.

١٨. الحالة الثقافية في الحجاز في عصر الرسالة.

١٩. السلطة بين الخلفاء والامراء في عهد الخلافة العباسية.

٢٠. تاريخ الكوفة في العصر الاموي.

دراسات في المجلات

١. (تدوين التاريخ عند المسلمين) مجلة الاستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد.

أ- ((تدوين التاريخ عند المسلمين)) مجلة الاستاذ تصدرها دار المعلمين العالية، ببغداد. المجلد الخامس ١٩٥٦م.

ب- نقد وتعليق على كتاب ((محاضرات في تاريخ العرب)) للدكتور صالح احمد العلمي.

٢. ((الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الاسلام)) مجلة الاستاذ. تصدرها كلية التربية/ جامعة بغداد. المجلد العاشر ١٩٦٢م.

٣. ((الزراعة والتجارة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر)) مجلة الاستاذ. العدد الحادي عشر، ١٩٦٣م.

٤. ((التعليم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين)) مجلة الاستاذ العدد الثاني عشر ١٩٦٤م.

٥. أضواء على مشكلات الاصلاح الزراعي في لواء الناصرية. من الابحاث

المقدمة الى المؤتمر الشعبي لمناقشة مشاكل الاصلاح الزراعي ومعالجتها ١٥- ١٧ آب ١٩٦٣م.

٦. ((العقد عند الغزالي)) مجلة رسالة الاسلام، تصدرها كلية اصول الدين ببغداد، العدد الثالث ١٩٦٦م.

٧. ((دور الإمام الصادق في التربية والتعليم عند الإمامية)) رسالة الاسلام، تصدرها كلية اصول الدين ببغداد العددان الخامس والسادس ١٩٦٦ م.

٨. ((كتب الامالي عند الشيعة الإمامية)) بحث القمي في المؤتمر الثقافي لجمعية الرابطة الادبية في النجف الاشرف. نشر ملخصه بكراس اصدرته الجمعية، المذكورة (النجف ١٩٦٦ م).

٩. ((الخلافة العباسية في العهد البويهي)) مجلة رسالة الاسلام. تصدرها كلية اصول الدين ببغداد. العددان الاول والثاني ١٩٦٧ م.

١٠. ((الخلافة العباسية في عهد السلاجقة)) مجلة رسالة الاسلام. تصدرها كلية اصول الدين ببغداد. العددان الثالث والرابع ١٩٦٧.

١١. ((دور الامامين الكاظم والرضا في التربية والتعليم عند الإمامية)). مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية اصول الدين ببغداد. العددان السابع والثامن ١٩٦٨م.

١٢. ((التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس)) القسم الاول، مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية اصول الدين ببغداد. العددان الثالث والرابع ١٩٦٩م.

١٣. ((التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس)) القسم الثاني،

مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية اصول الدين ببغداد. العددان الخامس والسادس ١٩٦٩م.

١٤. ((الفدائيون من اهل الثغور وواجبنا نحوهم)) مجلة رسالة الاسلام. تصدرها كلية اصول الدين ببغداد. العددان التاسع والعاشر ١٩٦٩ م.

١٥. ((الغلو والغلاة وموقف الشيعة الإمامية منهما)) مجلة رسالة الاسلام. تصدرها كلية اصول الدين ببغداد. العددان الثالث والرابع ١٩٧٠ م.

١٦. ((دور العلم وخزائن الكتب في العصر البويهي)) المجلة التاريخية تصدرها الجمعية العراقية للتاريخ والآثار، العدد الاول ١٩٧٠م.

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	السطر	الصفحة
حواد	حوادث	13	91
تغم	تنمّ	18	114
أكثرهن خمسة	أكثرهن من خمسة	4	128
سيعه	سعيه	3	151
عليه	عمم علياً	2	171
عبيد بن بصلة	عبيد بن فضلة	7	198
اما غاية التعليم	اما غاية التعليم الدنيوية	8	220

الرموز المستعملة في الكتاب :

تح : تحرير او نشر

تر : ترجمة

لا ٠ ت : تاريخ الطبع غير موجود

ت : توفي

The Emamite and that of their Forefathers Education From The time of al-Sadiq to that of al-Tusi

By: Abdullah Fayyad

B.A.، M.A.، Ph.D.(A.U.B.)

Associate Professor

Faculty of Arts of the University of Baghdad

Acting Dean of Usul al-din College. Baghdad

Submitted to the Department of History of the

American University of Beirut

In partial fulfillment for the requirements of

The degree of Doctor of philosophy.

As'ad press، Baghdad، 1972



THE ABSTRACT

The present book is a Ph.D dissertation submitted in 1966 to the Department of History of the American University of Beirut.

The dissertation deals with the history of education of the Shi'a Imamete and that of their forefethers from the time of al-Imam Sadiq to that of al-Shikh al-Tusi.

The study consists of on introduction، six chapters two appendices and an introductory preface by Professor Muhammed Tawfiq of the University of Baghdad.

The Introduction، defining the Shi'I sect of Imamete and forefathers، and Iisting the major soirces whvich were used، gives an outline of the main characteristics of the sect، sums up its most important creeds such as politico-religious headship (al-Imamah)، infallibility ('Islam)، concealment or mysterious disappearance (Ghaibah) and other subordinate articles including (Taqiyah) or the (Kitman) according to Islamic techial teems. It has been likewise referred، in the introduction itself، to those minor differences between the Imamete sect and other subordinate Shi;I sects such as Zaidiyah and Islam'iliyah.

The first chapter deals with the factors which have influenced the Imamete education، and that of their forefathers، the most impotant of those factors are the following : 1- The Imamete believe that their infallible Imams had a through knowledge of divine literature ('Ulum Ilahiyah). The Prophet Muhammad had not only taught the the Imams the divine knowledge، but he also induced them to communicate such

knowledge to the shi'a. in spite of the fast that the Imams were not inspired by God، and that they were merely truthful transmitters of the Prophet's utterances، their true traditions (Hadith) are obligatory to the Shi'a. 2- The political pressure to which the Imams and the Shi'a were subjected، lad the Imams to advise the Shi'a to abandon، in the time of (al-Ghaibah) the military resistance against the contemporary rulers، but civil resistance was allowable foe them. The Shi'a، furthermore' were allowed، on necessity، to refuge to what is called in Islamic teshn. terms'al-Taqiwah or 'Kitman'. 3- Funds were partly supplied by the Imams، and later after the elapse of their era، by their envoys، for the professors as well as the students who devoted themseldes for the study of divine 'Ulum according to the Shi'I creed.

The second chapter deals with the Imamete educational institutions. The most important of these institutions were the mosques، including the imams shrines، and professors' own houses. There were other institutions، presides the abovementioned ones، such as public livraries and academies (dur li'ilm) and these were partly used for educational purposes.

Due to the lach of freedom of thought in public mosques، special mention should be made for theteashing which took place in 'Ulama's houses.

The third chapter deals with the teachers' affairs. Elementary teaching in ordinary elementary school (Kuttabs)، was performed by the elementary school teachers. Sons of notables، including those of the Imams، were taught by special non-professional teachers who were called (mu'addibs. Higher courses were taught by either in-fallible

Imams، Shaikhs or lecturers (mudrrisin). It has been dealt with the role played by each of those educators، and 1 have found out that for political and geographical difficulties which hindered the intellectual activities of the Imamas، those mens' educational contribution was important then of the Imami professors and lecturers.

Whether tuition fees were demanded or not، was one of the problems which 1 tackled. Different (Faqihs) held different views concerning this question. 1 have found out that primary school teachers demanded tuition fees for all the subjects they taught، except the teaching of the holy book (the Qur'an). For the teaching of the latter، teachers were allowed to accept gifts.

Tuition fees، theoretically prohibited، for the teaching of the Qur'an were practically replaced by the obligatory gifts. Professors teaching other subject، especially those of divine character ('Ulum Shar'iyah)، except in rare cases، refused to charge fees for their tuition.1 have referred to the means by which those unpaid teachers could earn their living.

The attitude of the community towards the teaching profession was among the problems on which different writers had widely differed.

The public held but little for primary school teaching whereas professors were respected by all classes.

The fourth chapter deals with the ways of lift as well as the problems of learners thought their different academic stages of study. Certain obscure matters I have tackled were the age at which boys، as well as students start the course of education، and the duration of the course of study for the two categories of learners.

Because of the lack of statistics، the conclusions reached are mainly based on available data. Thus the results. I have arrived at in this respect، are rather approximate than exact.In the light of the fact that there were. then، no specialized educational institutes in which student can be enrolled، the relationship between professors and student was based upon personal contact.

Believing that learning of divine knowledge was highly estimated by God (Fardh Kifayah)، the majority of the students were noted for their seriousmess and industry. Due to the silence of sources، our information on other aspects of the student's own life، except their seriousness، is scanty. Thus the results 1 have reached in this respect are also not exact but approximate.

Travelling wide and farfor the sake of knowledge was an established tradition kept by all Muslim students، including the Imamete.

The social position of the student was good ; for he enjoyed not only the respect for the intelligentsia، but also for those who used to endow their money to religious purposes.

The fifth chapter deals with curricula and methods of teaching. Oral deliveru by the Shaikhs or lecture method، was the most imp. Ortant teaching method. the study of Hadith (tradition) had precedence over subjects in Islamic educational system. Reading from a book by the sheikh or by another person in the Shaikh's presence is the second method of teaching. The objections ehich have been raised against the latter method، were discussed in the text of the book، The third method of teaching may be performed when the Shiakh grants his student permission to transmit the former tradition.The above method is called

Ijazah، according to the Islamic techn. It may be pointed out here that the Ijazah was a personal licencc or permission. It was out issued by an educational formal institute. The fourth method of teaching may be performed through the demonstration of the Shakh's opinion. He could do that giving his student a written material or a book of Hadith with permit for transmiting such material. The latter method is also، according to the Islamic techn. terms، called "munawalah". It may be pointed out that the last method، thought recognized among the methods of teaching، was rarely used.

Elementary school teachers were not bound or limited by a curriculum dictated any authority. The former used to choose the curriculum taught by them، the latter were free to adont different books dealing with different subjects، as a result of what has been stated above، the curriculum of higher education was not composed of different subjects، but، should be stated again، tha it was rather composed of different books dealing with different subjects.

It became apparent that what characterizes the Imamete educational system، especially in its higher levels، viz the study of "Ulum " is the religious purposes. The mundane objacts were not neglected as long as they did not conflict with the religious ones.

In so for as examination are concerned، 1 have not of come across any systematic regulations، whether in the early stages of elementary education or in higher levels of ' Ulum teaching.

The sixth chapter deals with found needed for the financing of the Imamete educational system. Funds needed for the financing education were partly paid by the Imams ordy their envoys after the elaps of the

formres' era. The Imams as well as their envoys used to collect a sort of religious taxes (Huquq Shar'iyah) according to Islamic techn. terms، and to receive endowment income from the Shi'a.

The dissertation has two appendices ; the first deals with the holy shrines (al-Mashahid al-Sharifah) of the Shi'I Imams. The Shi'I educational activities which took place in those shrines were referred to on the text of the book as well as in the appendix. The sec and appendix gives a summary of biographies of infoalliable imams.

Although the imamate educational system is a branch of a whole Islamic educational system، it nevertheless has its own characteristics which distinguish it from all other Islamic educational branches.

Sharing the other Muslims in their belief that the text of holy Qur'an is complete، and that the Summa of the Prophet Muhammad dose not only explain it، but also complets it، the Imamete believe that the non-Imamete Muslims failed to get the true meanings of the two divine sources though qualifaied transmitters.The Imamete believe that their infalliable Imams begening with Imam' Ali and ending with Imam al-Mahdi، were the only qualified transmitters for those meaning.

The educational consequences of the abov-mentioned belief are of great importance. The journey in quest of learning assumed، among the Imamites، an additional religious significance. the Imamete students travelled inquest of learning to meet mainly the infalliabl Imams for transmition of their Hasith. Non-Imamete Muslims ' travel، according to the Imamete belief، was destinated to uninfalliable persons who may commit an erroe.

I hope that my investigation into the history of Imamete education

will be of certain contribution to further researches in this field.

The present dissertation might be the first of its kind written on Imamete education. In the light of the lack of sources، and that of rare modern studies on Imamete educational system، the present study may fill a gap in its own filed.



المحتويات

الفصل الثالث
المعلّمون

الفصل الرابع
الطَّـلبة

الفصل الخامس

أساليب التعليم والمناهج

الفصل السادس

تمويل التعليم

فهارس الكتاب